

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ
الْحُمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ
وَاللّٰهُمَّ اذْكُرْنَا مِنْ حَمْدِكَ
وَمِنْ حَمْدِ ابْرَاهِيمَ وَمِنْ حَمْدِ



٣٠١٢٠٠٠٤٠٧٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢
٦

المملكة العربية السعودية ؛

وزارة التعليم العالي ؛

جامعة أم القرى ؛

كلية التربية ؛

قسم التربية الإسلامية والمقارنة ؛

١٤٢٢

الفكر التربوي

عند الحسن البصري

إعداد الطالب

خالد بن زين بن عبدالله باجمال

إشراف الدكتور

عثمان بن أمين نوري

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة

الفصل الدراسي الثاني ١٤٢٢ هـ

(ملخص البحث)

عنوان البحث: الفكر التربوي عند الحسن البصري.

إعداد الباحث: خالد بن زين عبد الله باجمال.

أهداف البحث: التعرف على ملامح حياة الحسن البصري وآثاره العلمية، وعصره الذي عاش فيه على الفكر التربوي لديه وإلى أي مدى يمكن الاستفادة منه.

منهج البحث: المنهج التاريخي.

فصول البحث: الفصل الأول، ويشمل الإطار العام للبحث من التمهيد وموضوع البحث وتساؤلاته وأهدافه وحدوده والمنهج المتبع والدراسات السابقة.

الفصل الثاني، طبيعة حياة الحسن البصري، اسمه ولقبه وكتبه ومولده ونشأته وأسرته وثقافته وصفاته وأخلاقه وشيوخه وتلاميذه ومكانته وآثاره العلمية وأقوال العلماء فيه.

الفصل الثالث: ظروف العصر الذي عاش فيه وتشمل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية.

الفصل الرابع، أهم الأفكار التربوية التي نادى بها الحسن البصري ويشمل هذا الفصل ملامح وخصائص التربية وتأثيره في التربية والفكر التربوي ثم أهداف التربية، مثل: المدف الدين والعرفي والأخلاقي والاجتماعي. وبعض الأساليب التي اتباعها، مثل: التربية بالقدوة والاعتبار والنصيحة ثم مجالات التربية الإمامية والعقلية والخلقية والاجتماعية.

الفصل الخامس وفيه حصاد البحث والنتائج والمقترنات.

نتائج البحث: توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج، من أبرزها:-

١- أن الحسن البصري كان شخصية فعالة ومؤثرة، سواء في الأحداث السياسية أو الأحوال الاجتماعية، وهذا يؤكد لنا أن العلماء العاملين هم الذين يؤدون دورهم في مجتمعهم، ولا يعنون عن الناس ولا ينظرون على أنفسهم.

٢- أن الحسن البصري تأثر في أرائه التربوية بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وأنه استعان بتجاربه وتحليله للواقع الاجتماعي في عصره، لذلك فإن أفكاره ليست مثالية خيالية، وإنما هي أفكار ومفاهيم عملية قابلة للتطبيق.

٣- أن خصائص التربية عند الحسن البصري إسلامية ويستنتج من ذلك أن التربية الإسلامية هي السائدة في عصره، لأن الدولة الإسلامية كانت تحكم الشريعة الإسلامية في شؤون حيائها، وكان للعلماء دورهم البارز، فكان واحداً من هؤلاء العلماء الذين عنوا بالمفاهيم التربوية وصياغتها بأسلوب تربوي عملي يساعد المرين على التطبيق.

٤- أن للعلم والمعرفة أكبر الدور والأثر في بناء الشخصية المسلمة، لأن العلم النافع وحده هو الذي يرفع كرامة الإنسان على بقية الحيوانات، ويهتم كرامته للإنسان.

٥- أنه يمكن الاستفادة من التوجيهات والآراء والمبادئ التربوية للحسن البصري في تربيتنا المعاصرة، من ذلك توجيهاته فيما يتعلق بالتعلم المبكر وآداب العالم والمتعلم، وآداب مجالسة العلماء، والعمل بالعلم والموازنة بين العلم والعبادة، وأن يحسن استغلال المواقف التعليمية.

٦- أظهر البحث أن المصادر التي يجب أن تستقي منها التربية الإسلامية تمثل في: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومأثور الأقوال والأفعال التي تلقيناها عن سلفنا الصالح ومن علمائه المخلصين فقهاء ومحدثين هي مصادر الفكر التربوي عند الحسن البصري.

٧- اعتبر الحسن البصري بالتربيـة المتكاملة الشاملة التي تراعي جميع جوانب الشخصية، باعتبارها وحدة مترابطة تتكامل فيها هذه الجوانب التي تنبـيها التربية بحيث يتحقق للمسلم التوازن.

مقترنات البحث:-

١- في محيط الأسرة:

أن من أهم طرائق تعلم الطفل في أسرته: التقليد والمحاكاة، وهذا ما أكد عليه الحسن البصري في اهتمامه بجانب القدوة ولذلك فإن الأسرة سوف تجد ما يساعدها على تربية الأبناء وتنميـهم تربية متكاملة في جوانـهم العقلية الروحـية والاجتماعـية على ضوء ما ورد من جوانـب التربية لدى الحسن.

٢- في محيط المجتمع المسلم:

ويمكن الاستفادة هنا من جانب التربية الاجتماعية التي تمارس داخل المجتمع، والتي ركز عليها الحسن البصري كثيراً واهتم بها، وكذلك التربية الخلقـية التي تمارس داخل المجتمع وبين أفراده.

٣- القائمون على إعداد المناهج الدراسية:

وعليـهم أن يلتزمـوا بأهداف التربية الإسلامية وأساليـبها وعليـهم أن يراعـوا شمولـية المناهج لمختلفـ نواحيـ التربية التي أورـدهاـ الحسنـ البصـريـ.

عبد الكلبة

أ.د. محمود محمد عبد الله كستاوي

المشرف

د. عثمان أمين نوري

خالد زين الله باجمال

الأهلاك

يسعدني وقد منَّ الله تعالى على إتمام هذا البحث أن أهديه
إلى والدي الغاليين أسد الله في عمرهما عرفاناً بفضلهما بعد الله
تعالى في شحذ همي والدعاء المستمر بالتوفيق
والنجاح.
وإلى أولادي نظير صبرهم وتوفير الجو اللازم وحرماهم
الكثير من الفرص والمتابعة .

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والشكر والامتنان له أولاً وأخراً على أن أعاني على إتمام هذا البحث، والصلوة والسلام على نبينا المصطفى القائل: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)^(١). ثم أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من:

- سعادة الدكتور / عثمان أمين نوري المشرف على هذا البحث، والذي كان له الفضل بعد الله تعالى في إخراج هذا البحث بهذه الصفة وما أولاه لي من رعاية وتوجيهه وما تكبده من جهد وعناء وما أسداه من نصح وإرشاد .
- معايili مدير الجامعة لما يوليه من رعاية واهتمام لكل طلاب العلم.
- سعادة عميد كلية التربية الأستاذ الدكتور / محمود محمد عبدالله كسناوي لما يقدمه من تشجيع لكل الباحثين في هذه الكلية .
- سعادة رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة الدكتور / نايف حامد الشريفي لما لقيناه من تشجيع مستمر ومساندة دائمة ومراعاة لظروف الدارسين.
- صاحب السعادة عضوي لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور / محمود محمد عبدالله كسناوي المناقش من القسم والدكتور / حامد سالم عايض الحربي المناقش من القسم لتفضليهما بقراءة البحث ومناقشة الباحث.
- إلى كل من قدم لي المساعدة لإنجاز هذا البحث ، أقول جزاكم الله خير الجزاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ؟؟؟

الباحث

فهرست الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوعات
أ	- الغلاف
ب	- ملخص البحث
ج	- الإهداء
د	- شكر وتقدير
هـ	- فهرست الموضوعات
١٨ - ١	الفصل الأول : الإطار العام للبحث
٢	أولاً : التمهيد
٦	ثانياً : موضوع البحث وأسئلته
٨	ثالثاً : أهداف البحث
٨	رابعاً : حدود البحث
٩	خامساً : منهج البحث وأدواته
١١	سادساً : الدراسات السابقة وموقع البحث الراهن منها
٥٥ - ١٩	الفصل الثاني: حياة الحسن البصري ومكانته وأثاره العلمية
٢٠	أولاً : اسمه ولقبه وكنيته ونسبة
٢٠	ثانياً: مولده ونشأته وأسرته
٢٢	ثالثاً: ثقافته وفضائله
٢٦	رابعاً : صفاته وأخلاقه
٢٨	خامساً : زهده وورعه وحزنه
٣١	سادساً : شيوخه وتلامذته
٣٦	سابعاً : مكانته وأثاره العلمية وأقوال العلماء عنه
٤٥	ثامناً : مذهبة
٥٢	تاسعاً : أسلوبه ومواعظه وحكمه وفتواه
٨٨ - ٥٦	الفصل الثالث : ظروف العصر الذي عاش فيه الحسن البصري
٥٧	أولاً : الحياة السياسية
٧٣	ثانياً : الحياة الاقتصادية
٧٨	ثالثاً : الحياة الاجتماعية ومظاهرها
٨٣	رابعاً : الحياة الثقافية والتربيوية

فهرست الموضوعات

الفصل الرابع : أهم الأفكار التربوية التي نادى بها الحسن البصري	١٧٢ - ٨٩
أولاً: ملامح التربية في عصر الحسن البصري	٩١
(١) خصائص التربية في عصر الحسن البصري	٩٢
(أ) بساطة التربية وعدم تعقدتها	٩٢
(ب) تركيز التربية على جانب الزهد والتلشف	٩٢
(ج) التربية بين الاهتمام والانشغال	٩٣
(د) تأثير التربية بالفرق والمذاهب	٩٣
(هـ) التربية وقيم الأخوة والمساواة	٩٤
(٢) تأثير الحسن البصري وتأثيره في التربية والفكر التربوي	٩٥
ثانياً : أهداف التربية عند الحسن البصري	٩٨
(١) الهدف الديني	٩٨
(٢) الهدف المعرفي	٩٩
(٣) الهدف الأخلاقي	١٠٠
(٤) الهدف الاجتماعي	١٠١
ثالثاً : أساليب التربية عند الحسن البصري	١٠٢
(١) التربية بالقدوة	١٠٢
(٢) التربية بالأعتبار	١٠٦
(٣) التربية بالنصيحة	١٠٩
رابعاً : مجالات التربية عند الحسن البصري	١١٤
(١) التربية الإيمانية	١١٤
(٢) التربية العقلية	١٣٢
(٣) التربية الأخلاقية	١٤٣
(٤) التربية الاجتماعية	١٦٣
الفصل الخامس : ختام البحث	١٨٩ - ١٧٣
أولاً : نتائج البحث	١٧٤
ثانياً: مفترحات البحث	١٧٨
ثالثاً : المصادر والمراجع	١٨٢
رابعاً : الملحقات	١٩٠

الفصل الأول.

(الإطار العام للبحث).

مخطط الفصل.

(أولاً). التمهيد.

(ثانياً). موضوع البحث وأسئلة.

(ثالثاً). أهداف البحث.

(رابعاً). حدود البحث.

(خامساً). المنهج وأدواته.

(سادساً). الدراسات السابقة.

الفصل الأول.

(الإطار العام للبحث).

يتناول هذا الفصل وفق الترتيب التالي :-

أولاً. التمهيد.

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، ورزقه حسن الفهم ودقة البيان. والصلة والسلام على خير الأنام، سيدنا محمد ﷺ المعلم الأول والمادي إلى الخير قدوة المتقين وإمام المرسلين.

التربية ضرورية للإنسان في بناء نفسه، وتكوين شخصيته، والأخذ بيده على ما يوافق الدين الإسلامي في مجتمعه، وهي بهذا وثيقة الصلة بالمجتمع، حيث تعكس فلسفته، وأهدافه، وظروف حياته، وألوان نشاطه، وقيمه، ومبادئه، وأخلاقه ومعتقداته^(١).

ولما كانت التربية مطلبًا فردياً واجتماعياً، لدى الشعوب والأمم المختلفة منذ وجد الإنسان على هذه الأرض، فال التربية الإسلامية مطلب حتمي لتحقيق عرى الإسلام وركائزه، على الوجه الذي يتغيه الله سبحانه وتعالى.

ولقد جاء اهتمام الإسلام العظيم بالتربية والتعليم، وفقاً لأول ما نزل من القرآن الكريم، قال تعالى: «أَقْرِأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(١) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلْقٍ(٢) أَقْرِأْ وَرَبِّكَ الْأَكْرَمُ(٣) الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَنِ(٤) عَلَمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»^(٥).

فمنذ اللحظات الأولى لبدء نزول الوحي على محمد ﷺ، كانت دار الأرقام بـ أبي الأرقام أول مؤسسة تربوية وكان المعلم الأعظم يجمع القلة التي آمنت به سرّاً.. يعلمها آيات القرآن^(٦).

^(١) السيد الشحات أحمد حسن: دراسات في الفكر التربوي الإسلامي، ط١، مكتبات دار إحياء التراث الإسلامي، المدينة المنورة، ١٤١٢هـ، ص (٥).

^(٥) سورة العلق: (١ - ٥).

^(٦) عبدالعال حسن: التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٨م، ص (٢٦).

وبعد هجرته إلى المدينة كان المسجد النبوي المؤسسة التربوية الثانية ، حيث كانت حياة الرسول وصحابه صورة حية للقرآن.

هذا السلوك يمثل الارتباط الحي، بين العلم والعمل شكلاً ومضموناً^(١). كما أنه كان عليه الصلاة والسلام يشجع على العلم وتعلم الكتابة وذلك بافتداء أسرى بدر بتعليم عشرة من أبناء المسلمين، وبذلك وضع الأساس الحضاري للتربية الإسلامية^(٢).

وامتدَّ عمل الرسول ﷺ من جديد في عهد خلفائه الراشدين فانتشر أصحابه (رضوان الله عليهم أجمعين) يعلمون المسلمين في البلاد المفتوحة أمور دينهم ودنياهم، وكان لاحتياط الفاتحين بأهالي البلاد المفتوحة أثره على تفكيرهم وموافقهم التربوية^(٣). واستمر الاهتمام بالعلم والتربية الإسلامية لدى أبناء الإسلام قرونًا متواالية، وبخاصة في القرون الأربع الأولى. حيث بُرِزَ فيها أئمة أعلام خلفوا لنا تراثاً فكريًا وتربيوياً غنياً يجعلنا نفاخر ونعتز به ونتدارسه^(٤). ذلك أن معرفة أعلام الأمة الإسلامية ودراسة فكرهم وحركة عصرهم الذي تشكل فيه فكرهم السياسي والثقافي والتربوي والاجتماعي له أهميته الخاصة في حث أبناء المسلمين على تقدير أعمالهم والسير على خططهم^(٥). ومن هذا المنطلق رغب الباحث إطلاع شباب أمتنا على جانب من إنتاج أعلامها وسلوكيهم القويم الذي بلغوا به مكانة رفيعة في التربية تعجز عن بلوغه المدارس وتتقاصر عن تحقيقه هم المربين ذلك أن المنبع الذي نهلوا منه هذا الفكر التربوي هو القرآن الكريم والسنة المطهرة وسير صحابته الكرام.

(١) قاسم صالح ناجي: الفكر التربوي عند ابن الأمير الصناعي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ، (المقدمة).

(٢) أحمد فؤاد الأهواي: التربية الإسلامية، دار المعارف مصر، القاهرة، ١٤٠٠هـ، ص (٢٠).

(٣) قاسم صالح ناجي: مراجع سابق، المقدمة، ص (ي).

(٤) عبد الغني عبود: في التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة ١٩٧٧، ص (١٤٨).

(٥) مازن مطيقاني: من أعلام المسلمين عبد الحميد بن باديس، دار القلم، ط١، دمشق، ١٤١٠هـ، ص (٣).

ومن أولئك الأعلام الحسن بن أبي الحسن البصري، الذي يعد موسوعة علمية في علوم عصره، من ثم يتناول الباحث الفكر التربوي عند الحسن البصري يستنبط من تراثه المركز في مواضعه، حكمه، نصائحه، أقواله، رسائله للخلفاء والولاة، وآثاره المنشورة مثل: مرويات الحسن البصري، والتاجي الجليل الحسن البصري لابن الجوزي، وجهاده النفسي والاجتماعي، وكل ما يعن للباحث من آثاره المتباشرة في مختلف الكتب والمراجع منها على سبيل المثال:

التربية بالسلوك:

كان الحسن البصري قدوة حسنة في سلوكه ويمثل قرب عهد النبوة، فلقد كان صورة للأخلاق بل صورة للدعوة الإسلامية، ذا سمت حسن حتى قال يونس بن عبيدة: (كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به، وإن لم ير عمله ولم يسمع كلامه)^(١).

قال ابن الجوزي: (قيل: حاول الحسن الصلاة ليلةً فلم تطاوه نفسه فجلس سائر الليلة ولم ينم فيها حتى أصبح، فقيل له في ذلك فقال: غلبتني نفسي على ترك الصلاة! فغلبتها على ترك النوم – وإن الله – لا أزال بها كذلك حتى تذلل وتطيع).

وكان يقول: إنَّ النَّفْسَ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ، إِنَّ عَصْتَكَ فِي الطَّاعَةِ؛ فَأَعْصَهَا أَنْتَ عَنِ الْمُعْصِيَةِ. وَكَانَ إِذَا أَمْرَ بِشَيْءٍ، أَعْمَلَ النَّاسَ لَهُ، وَإِذَا نَهَى عَنْ شَيْءٍ، أَتْرَكَ النَّاسَ لَهُ^(٢).

من هذه النصوص نتبين أن سلوك الحسن البصري كان له أثره الكبير في حياة الناس وسلوكهم.

التعليم بالاعتبار:

قال ابن الجوزي: (قيل رأى الحسن شيئاً في جنازة، فلما فرغ من الدفن قال له الحسن: ياشيخ أسألك بربك أتظن هذا الميت يود أن يرد إلى الدنيا فيتزود من عمله

^(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ط١، ج٩، ص(٢٨٨)

^(٢) جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي، آداب الشيخ الحسن بن أبي الحسن البصري. ط١، تحقيق سليمان بن مسلم الحرش. دار المراجح الدولية للنشر بالرياض، السعودية، ١٤١٤هـ، ص (٢٨).

الصالح؛ ويستغفر الله من ذنوبه السالفة؟ فقال الشيخ: اللهم نعم! فقال الحسن: فما بالنا لا نكون كلنا كهذا الميت، ثم انصرف وهو يقول: أي موعظة؟ ما أنفعها لو كان بالقلوب حياة، ولكن لا حياة لمن تنادي^(١).

التعليم بالنصيحة:

قال الحسن: يابن آدم، والله إن قرأت القرآن ثم آمنت به ليطولنَّ في الدنيا حزنك، وليشتدَّنَّ في الدنيا خوفك، وليكثرنَّ في الدنيا بكاؤك^(٢).
وكان يقول: أ أصحاب الناس بما شئت أن تصحبهم، فإنهم يصاحبونك بمثله^(٣).

كما حث الحسن البصري على تعلم النحو لتقويم اللسان، كان يقول: (تعلموا وفقكم الله! العلم للأديان، والطب للأبدان، والنحو لتقويم اللسان).

وكان يقول: من لحن في القرآن فقد كذب على الله؛ اللحن أكبر من الباطل^(٤) لأن الله يقول: «لا يأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ يَمِنْ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَزِيلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»^(٥).

سئل رحمة الله عن رأيه في الرجل يتعلم اللغة العربية قال: نعم. يتعلمهـها فإنـ الرجل يقرأ الآية فيعـيا بوجهـها فيهـلك. وعن أبي حمزة قال: قيل للحسنـ في قومـ يتعلـمونـ العـربـيةـ، قالـ: أـحسـنـ بـقـومـ يـتـعلـمـونـ لـغـةـ نـيـبـهـمـ^(٦).

ومن خلالـ هذا التـمهـيدـ وذـكرـ بعضـ الأـفـكارـ التـربـويـةـ لـدىـ الحـسنـ البـصـريـ تـبرـزـ الحاجـةـ إـلـىـ جـمعـهـاـ مـنـ بـطـونـ الـكـتبـ وـدـرـاسـتـهـ وـإـبـراـزـهـاـ مـنـظـمـةـ وـمـرـتـبـةـ عـلـىـ هـجـجـ.

^(١) جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي. المرجع سابق. ص (٢٧).

^(٢) محمد حسن عقيل موسى: نـزـهـةـ الـفـضـلـاءـ تـهـذـيبـ سـيرـ أـعـلامـ النـبـلـاءـ، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، ١٤١٥ـهـ، جـ ١ ص (٤٤٨).

^(٣) محمد حسن عقيل موسى: الـمـرـجـعـ السـابـقـ جـ ١، ص (٤٥٢).

^(٤) عمر يوسف كمال: مـقـدـمةـ تـقـسـيـرـ الـحـسـنـ الـبـصـرـيـ، الجامعة العربية، أحسن العلوم كراتشي، ١٤١٣ـهـ، جـ ١، ص (٦٠).

^(٥) سورة فصلت: آية ٤٢.

^(٦) مصطفى سعيد الحنـ: الـحـسـنـ بـنـ يـسـارـ الـبـصـرـيـ الـحـكـيمـ الـوـاعـظـ، دار القلم دمشق، سوريا، د.ت، ص (٣٣٧).

تربوي لإمكان الاستفادة منها في عصرنا الحاضر وتعريف أبناء جيلنا على فكر أمتنا التربوية، ولعل كل ذلك جعل الباحث أن يختار هذا الموضوع.

ثانياً. موضوع البحث وأسئلته.

من هنا كان لزاماً على الباحث العودة إلى ماضينا المشرق ودراسة سير أعلامها البارزة، وإبراز مكانها في الفكر والتربية والتعليم من ذلك الحسن البصري الذي قدم للقارئ العربي في دراسات علمية مختلفة إلا أن جانب الفكر التربوي عنده لم يحظ بدراسة علمية منشورة، برغم أهميتها في إبراز مكانة الحسن البصري الفكرية والتربوية. لذا كان لا بد لنا من إبراز الفكر التربوي بما يتفق ومبادئ ديننا الإسلامي، ولا يتأتى ذلك إلا بالآتي:-

- ١- البحث عن جهود علماء المسلمين عبر القرون السابقة في مجال التربية.
- ٢- البحث في الفكر التربوي الإنساني أنى وجد نستفيد منه بإضافة ما لا يتعارض منه مع الفكر التربوي الإسلامي.

وإن هذا البحث محاولة للإسهام في إبراز فكرنا التربوي بالنظر في جهود واحد من أبرز علماء المسلمين في القرن الهجري الأول لأنخذ ما يمكن أن نفيده من أعلام التابعين، وهو الحسن البصري للاعتبارات التالية:

- ١- أن الحسن البصري ظل ينشر العلم قرابة نصف قرن من الزمان حيث كان خطيباً في مسجد البصرة، كما كان له حلقة يعلم الناس فيها وله مجلس خلص في منزله. بمعنى أنه وهب حياته للعلم والتعليم.
- ٢- أن الرجل له إسهامات مختلفة لم تقتصر على عامة الناس بل شملت الخاصة وذلك ما نلمسه في رسائله للخلفاء، مثل: عبد الملك بن مروان، والإمام العادل عمر بن عبد العزيز ناصحاً ومرشداً والنصائح جانب من جوانب التعليم.

٣- أن الحسن البصري مارس التعليم سلوكاً و عملاً مما يجعل دراسة جانب الفكر التربوي عنده ذات أهمية ، وذلك من أجل الجمع بين الجانب النظري والسلوكي.

٤- الاستفادة من فكره التربوي وعلى وجه الخصوص في:-

أ- تربية وتوجيه الناشئة.

ب- إبراز الجانب التربوي لشخصية تعلمت من البيت النبوى المربى الأول.

ج- إضافة لبنة تربوية جديدة عن أحد أعلام الأمة الأوائل.

أسئلة البحث:-

وتأسساً على ما تقدم، تحدد موضوع البحث إجرائياً وفق الأسئلة الآتية:

١- ما طبيعة حياة الحسن ومكانته وآثاره العلمية؟

٢- ما ظروف العصر الذي عاش فيه الحسن البصري؟

٣- ما أهم الأفكار التربوية التي نادى بها الحسن البصري وإلى أي مدى يمكن الاستفادة منها؟

ثالثاً. أهداف البحث.

يعد الإمام الحسن البصري علماً من أعلام الإسلام البارزين، وحجّة في علوم عصره، فقهأً، وحديثأً، وتفسيرأً، وقراءات، ولغة، وخطيباً مجيداً فهو الناصح الأمين والمربّي الفاضل لخاصة الناس وعامتهم، وهذا البحث يستهدف إبراز أفكاره التربوية وفق الآتي:

- ١ - التعرف على حياته وآثاره العلمية.
- ٢ - التعرف على ظروف العصر الذي عاش فيه الحسن البصري.
- ٣ - التعرف على الفكر التربوي لدى الحسن البصري وإلى أي مدى يمكن الاستفادة منه.

رابعاً. حدود البحث.

للحسن البصري جهود فكرية متعددة الجوانب، ومتعددة الأهداف، لكن البحث أقتصر على جانب الفكر التربوي عنده. واللامتحن التربوية في عصره، حيث عاش في القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني، ويتحدد البحث بمدة زمنية قوامها نصف قرن من الزمان هي الفترة التي عاشها الحسن البصري طالباً للعلم ومعلماً له، وعلى وجه التقرير منذ عام أربعين هجريه حتى سنة عشرة ومائة من الهجرة، وسوف يقوم الباحث باستخراج بعض أفكاره التربوية من المصادر التي عنيت به من كتب التاريخ، والتفسير، والأدب، وعلم الرجال، والفقه وأصوله، وكتب الغريب بالإضافة إلى ما جمع من آثاره أو كتب عنه قديماً وحديثاً ومن هذه المؤلفات:

- رسائله للخلفاء.
- كتاب ابن الجوزي، التابعي الخليل الحسن البصري.
- تفسير الحسن البصري.
- الحسن البصري وحديثه المرسل.

- الحسن البصري مفسراً.
 - الحسن البصري الحكيم الواعظ الزاهد العالم العابد.
 - موسوعة الحسن البصري في الفقه.
 - إحياء علوم الدين.
 - كتب الأدب، مثل: البيان والتبيين.
 - كتب الأخبار وغيرها من المصادر والمراجع التي يستطيع الباحث الوقوف عليها.
- خامساً. منهج البحث وأدواته.**
- إن طبيعة البحث تحدد نوع المنهج المستخدم في البحث والتحليل والاستنباط، والتصنيف، والتبويب، وهذا يعتمد البحث التاريخي وفق ترتيب يوضح المقصود به وخطواته التي تتسق وأهداف ذات البحث.

المنهج التاريخي.

التاريخ هو (سجل لما حققه الإنسان، وهو سجل له دلالته ومغزاه، وليس مجرد تسجيل للأحداث الزمنية، ففيه يدرس الأشخاص والجماعات) والمنهج التاريخي (يصف ويسجل ما مضى من وقائع وأحداث الماضي، ويحللها ويفسرها على أساس علمية دقيقة، بقصد التوصل إلى حقائق وعمليات لا تساعدنا على فهم الماضي فحسب، وإنما تساعدنا -أيضاً- في فهم الحاضر بل والتوقع بالمستقبل)^(١).

^(١) حابر عبداً لحميد حابر، وكاظم أحمد خيري: مناهج البحث في التربية وعلم النفس. دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨، ص (١٠٤).

ولهذا يستخدم الباحث المنهج التاريخي عن الحياة الفكرية والسياسية والاقتصادية، والاجتماعية، والتربوية في ذلك العصر، ومعرفة حياة وأفكار الإمام الحسن البصري التربوية في ضوئها، والكشف عن تراثنا التربوي الأصيل في مجال النظرية والتطبيق، وإظهار الصلة الوثيقة بين التربية والمجتمع بكل مكوناته والعوامل التي حدثت. وكذا إبراز مكانة الحسن البصري التربوية، وتقديمه كمرب عاش في بيت النبوة.

على أنه يجب أن نوضح هنا أن استخدام المنهج التاريخي لا يعني أن الغاية من استخدامه هي جمع الحقائق والأحداث والبيانات، وإنما هي جعل ذلك أساساً تقوم عليه عمليات مثل التحقق والإثبات والتفسير والوصول إلى نتائج معينة، و沐ـلـومـأنـ فـهـمـ الـعـلـاقـاتـ وـالـتأـثـيرـاتـ الـمـتـبـادـلـةـ بـيـنـ الـأـحـدـاثـ وـالـأـشـخـاصـ وـالـزـمـانـ وـالـمـكـانـ وـالـحـيـاةـ بشـتـىـ جـوـانـبـهـاـ أـمـرـ لـهـ أـهـمـيـةـ فـيـ بـيـانـ الـحـقـيقـاتـ الـتـارـيـخـيـ

الـوـاعـيـ لـلـأـحـدـاثـ التـارـيـخـيـةـ وـتـحـلـيلـهـاـ عـلـىـ نـحـوـ دـقـيقـ.

(والبحث التاريخي يساعد على حل مشكلات نواجهها في الحاضر في ضوء خبرات الماضي ويساعد على إلقاء الضوء على اتجاهات حاضرة ومستقبلية، لأن الحاضر وليد الماضي والمستقبل يبني على الحاضر) ^(١) كما أن هذا المنهج يساعدنا على فهم وتفسير العلاقة بين التربية والظروف الثقافية والاجتماعية التي تقوم فيها هذه التربية.

وتأسيساً على ذلك، حرص الباحث على أن يسير هذا البحث وفق خطوات البحث التاريخي على النحو التالي:

(١) موضوع البحث هو: الفكر التربوي عند الحسن البصري.

(٢) القيام بجمع المادة المتعلقة بالموضوع، وعرضها وتفسيرها.

(٣) صياغة الموضوع بأسلوب موضوعي سليم في فصوله الخمسة.

^(١) عبد الرحمن بدوي. مناهج البحث العلمي. دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص (١٨٣).

أدوات البحث.

يقوم الباحث بالتنقيب في المصادر والمراجع التي عنيت بالحسن البصري لاستخلاص الأفكار التربوية على النحو الآتي:

- قراءة ما كتب عن الحسن البصري في المصادر والمراجع التي استطاع الوصول إليها ، ثم التركيز على الموضوعات المشتملة على أفكاره التربوية بالدرجة الأولى.
- استخراج الأفكار والمفاهيم التربوية من ثنايا رسائله، وحكمه، ومواعظه، وخطبته.

سادساً: الدراسات السابقة.

بعد الاطلاع والبحث في ملخصات رسائل الماجستير والدكتوراة في التربية الإسلامية، وبعد الرجوع إلى معهد البحث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمقابة المكرمة^{*} وكذا إفادحة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، لم يجد الباحث، أي دراسة منشورة تناولت جانب الفكر التربوي عند الحسن البصري، وإنما نشرت دراسات لرسائل علمية جامعية ليست لها صلة مباشرة بالتربية وإنما تتعلق بال المجالات المتخصصة، مثل: التفسير والحديث. ونعرض لهذه الدراسات وفق المنهجية التالية:

١- الموضوع (المشكلة).

٢- المنهج.

٣- المهد.

٤- أهم النتائج والمقترنات.

^{*} الملحقات: الإفادة، آخر الرسالة.

(الدراسة الأولى). أحمد إسماعيل البسيط^(١).

موضوع البحث.

دار الموضوع حول التساؤلات الآتية:

- ما مكانة الحسن البصري في التفسير؟

- وما المدرسة التي ينتمي إليها؟

- وما منهجه في التفسير؟

- وما رأيه في الناسخ والمنسوخ والقراءات؟

- وكيف كانت عناته بأسباب التزول؟

ونظراً لمكانة الحسن البصري في التفسير أخذ شخصية الحسن البصري مفسراً ليقدمها للقارئ العربي وبخاصة أنه عاش في القرن الأول ولم يوجد تفسير مكتوب^٢، إلاً ما كان من تفسير الرسول ﷺ لبعض الآيات. وتأثره في التفسير بعض الصحابة، وفي مقدمة ابن عباس.

منهج البحث.

اتخذ الباحث في دراسته: المنهج التاريخي، وهو الذي يقوم الباحث من خلاله بوصف وتسجيل ما مضى من وقائع وأحداث^(٣) بالإضافة إلى أن الباحث استخدم المنهج الاستباطي، وهذا المنهج يربط بين الأشياء، ويبدأ بالكلمات ليصل منها إلى الجزئيات^(٤).

^(١) أحمد إسماعيل البسيط. الحسن البصري مفسراً. رسالة ماجستير. ط١، طبع دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٩٨٥م.

^(٢) حابر عبد الحميد حابر، وكاظم أحمد خيري: مرجع سابق. ص (١٠٤).

^(٣) عبد الباسط بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه. دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٥، ص (٢٣٤).

أهم النتائج.

- ١- توصلت الدراسة إلى أنَّ الحسن البصري اقتفى في تفسيره بشكل عام منهج الصحابة في التفسير ، الذي يرتكز على أسس ثلاثة :-
 - أ- تفسير القرآن بالقرآن.
 - ب- تفسير القرآن بالسنة.
 - ج- تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد، إذا لم يسعفهم كتاب الله وسنة نبيه.
- ٢- أنَّ تدوين التفسير لم يكن متبوعاً في العصر الأول حيث كان اعتماد المفسرين في الغالب على السمع والرواية والحفظ.
- ٣- توصل الباحث إلى أنَّ الحسن البصري ترك بذرةً عن الناسخ والمنسوخ قامت على أساسها بعض المدارس التي ترى جواز النسخ للتلاوة دون الحكم.
- ٤- توصل الباحث إلى منهج الحسن البصري في القراءات، وأنَّه كان يعتمد على بعض القراءات الشاذة.
- ٥- توصل الباحث إلى ترجيح نسبة الحسن البصري إلى أهل السنة والجماعية وبطلان ادعاء أهل الفرق نسبة الحسن البصري إليها.

(الدراسة الثانية). عمر عبدالعزيز الجغير^(١).

موضوع الدراسة.

يرى من أهم موجبات دراسة حياة الحسن البصري وعلمه أنه لم يختلف مصنفات في مختلف الفنون - وعلمه منتشر في كتب العلوم المتنوعة - فإبراز علم الحسن ونظرته وفكره في كتب مستقلة من مهامات طلبة العلم، خاصة أنَّ الرجل مليء

^(١) عمر عبدالعزيز الجغير: الحسن البصري وحديثه المرسل، ط١، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأدن، ١٤١٢ هـ،

وله أثر كبير في حفظ كيان الأمة في أحطر فترة من فتراتها، على أن الموضوع أثار التساؤلات التالية:

- ما الظروف التي عاش فيها الحسن البصري؟

- كيف كانت حياته العلمية وبيئته وشخصيته؟

- ما المصنفات التي نسبت إليه؟

- ما موقف الحسن البصري من الحديث المرسل؟

منهج البحث.

استخدم المنهج التاريخي والاستنباطي بالإضافة إلى المنهج الوصفي.

الهدف من البحث.

إبراز مكانة الحسن البصري، في الحديث، والذي يعتبر بحق رائداً في علومه الشريفة، مكثراً لروايتها، روى له كل أصحاب كتب السنة المعتمدة. ومن منطلق أن يصرف الحق إلى أهله مع زيادة تعريف بشخصية الحسن وتقريرها لأهل هذا الزمان حاجتهم إلى القدوة وإلى فكر الشخصيات المتوازنة من شخصيات هذه الأمة.

أهم النتائج، والمقررات.

من النتائج.

١- موقف الحسن البصري من الناحية السياسية موقف الحريص على دينه الناصح للحاكم دون اصطدام مع تأدية رسالة العلماء في ذلك من غير إخلال بأي مقصود شرعي.

٢- الأحاديث المرسلة عنده كثيرة منها صحيحة المعنى قوية المتن لها متابعات وشواهد.

٣- أهمية الفهرسة والتحقيق لكثير من كتب السنة، من أجل التسهيل على الباحثين وفتح الباب أمام الطلبة الجادين وتوفيراً لوقتهم.

٤- شمول شخصية الحسن البصري وعصريته فهو فقيه، ومحدث، ومفسر، ونحوي، ولغوی، وحکیم، وواعظ، وداعیة إلى الله.
ومن المقتراحات.

١- دراسة الجانب السياسي لدى الحسن البصري، حاجة الأمة إلى ذلك ولفتح الباب أمام الشبيبة المسلمة وتسهيل أمر القدوة لهم في هذا الأمر.

٢- دراسة الجانب الأخلاقي والنفسي.. وبحبذا لو تناوله الباحثون بدراسة مستقلة، فهو بحق صاحب مدرسة متميزة نادرة، ويجب أن يؤدی حقه في هذا الجانب.

٣- دراسة القرن الأول وشخصياته، وإبراز أثرهم في العلوم، كونهم قریبي عهد بالنبوة وتلاميذها من الصحابة.

(الدراسة الثالثة). عمر يوسف كمال^(١).

وتنقسم هذه الدراسة إلى قسمين.

القسم الأول: يشتمل على ستة أبواب.

القسم الثاني: المرويات، (تفسير الحسن البصري) في أربعة مجلدات.

موضوع الدراسة.

تعنى بإخراج مآثر المفسر الأثري الحسن البصري، في التفسير، وذلك بجمعها ودراستها وتحقيقها - من مختلف المراجع التي عنيت بالحسن البصري وتقديمها للقارئ

^(١) عمر يوسف كمال: مرويات الحسن البصري جماعة وتحقيقاً ودراسة، طبع الجامعة العربية أحسن العلوم، كراتشي، باكستان، ١٤١٣ هـ.

العربي كشاهد على عصر الحسن البصري التابعي الجليل الذي عاش في القرن الهجري الأول، وباعتبار تفسير الحسن البصري من أقدم التفاسير بالتأثير. وكذا من أجل التسهيل على القارئ العربي وذلك بجمع مرويات الحسن البصري في كتاب واحد.

منهج الدراسة.

استخدم المنهج التاريخي والمنهج الوصفي فقد قام الباحث بجمع المادة العلمية المعاشرة من: أمهات الكتب في التفسير والحديث وكتب العلوم الأخرى ثم ترتيبها ووصفها وتفسيرها وإخراجها في سفر واحد.

الهدف من الدراسة.

إبراز مكانة الحسن البصري في التفسير أسوةً بأقرانه من التابعين الذين لهم باع في التفسير مثل: مجاهد، وعكرمة، وتلامذة قتادة، و تلاميذه كسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، فكان من الواجب أن تجمع مروياته في مؤلفٍ مستقلٍ، لأن الحسن علم من أعلام مدرسة البصرة، بل أطلق عليه العلماء (إمامية العراق)، ومقامه في الصف الأول من المفسرين التابعين.

أهم النتائج.

خلص الباحث إلى النتائج الآتية.

- ١- أن الحسن البصري في مقدمة المفسرين من التابعين.
- ٢- أن تفسيره من أقدم التفاسير، بعد التفسير المروي عن ابن عباس، ومجاهد، ومن أحسن التفاسير بالتأثير.
- ٣- أثبت الباحث تميز الحسن بمنهجه الذي ذكر فيه بالرد على القدرية، والمعزلة، والمرجنة، والرواوض.
- ٤- أن تفسيره يحوي فوائد جمة، واستنباطات دقيقة.
- ٥- أن تفسيره احتوى على كم كبير من شرح الكلمات العربية.

٦- اهتماء الحسن الدقيق بسبب نزول الآيات وكذا الناسخ والمنسوخ والمكفي والمدعي.

٧- أن تفسير الحسن يعد من أقدم مراجع التفسير، وأهم المصادر للمتقدمين والمتاخرين.

موقع البحث الراهن من الدراسات السابقة.

- يتفق هذا البحث مع الدراسات السابقة في اتخاذ شخصية الحسن البصري محوراً للدراسة على اختلاف فيما بينها في الجانب الذي تتناوله كل دراسة بالبحث والدرس ضمنها ما اهتم بدراسة جانب التفسير لدى الحسن البصري، ومنها ما اهتم بدراسة الحديث المرسل عنده، ومنها ما توسع فدرس مرويات الحسن في التفسير والحديث معاً، ثم يأتي هذا البحث ليتناول الفكر الستربوي عنده، فيبرزه إلى الضوء لتكتمل الصورة.

- كما أن هذا البحث يتفق مع الدراسات السابقة في الهدف العام لها جمعاً والتمثل في إبراز جوانب الاستفادة من شخصية الحسن البصري، ثم تختص كل دراسة بالهدف الخاص لها من دراسة الجانب التفسيري إلى دراسة جانب الحديث إلى دراسة الفكر التربوي عنده.

- ويتفق بحثنا هذا كذلك مع الدراسات السابقة في استخدام المنهج التاريجي، والسبب في ذلك كون هذه الدراسات تدور حول جانب يختص بشخصية الحسن البصري، ومعلوم أن دراسة سير الشخصيات تعتمد المنهج التاريجي في البحث، وقد انفردت دراسات باستخدام المنهج الوصفي أو الاستباطي إلى جانب المنهج التاريجي.

- كما يتفق البحث مع الدراسات السابقة في جزء من النتائج والمقترنات مثل: شمول شخصية الحسن البصري، وأهمية ما خلفه من آثار، وضرورة

دراسة الجوانب المختلفة لهذه الشخصية، مع الاختلاف بين هذه الدراسات كل بما يخص الجانب المدروس فيها من نتائج ومقترنات.

وهذا يتضح لنا كون هذا البحث حلقة من الحلقات التي تكمل سلسلة الدراسات الناشئة حول الحسن البصري، ولا شك أن المعرفة الإنسانية مع تنوعها وتشبعها متکاملة متداخلة يخدم بعضها بعضاً من أجل حصول المعرفة والفائدة للإنسانية للنهوض بها إلى حياة أفضل.

الفصل الثاني

(حياة الحسن البصري ومكانته وآثاره العلمية).

مخطط الفصل.

(أولاً). اسمه ولقبه وكنيته ونسبه.

(ثانياً). مولده ونشأته وأسرته.

(ثالثاً). ثقافته وفصاحته.

(رابعاً). صفاته وأخلاقه.

(خامساً). زهده وورعه وحزنه.

(سادساً). شيوخه وتلامذته.

(سابعاً). مكانته وآثاره العلمية، وأقوال العلماء عنه.

(ثامناً). مذهبة.

(تاسعاً). أسلوبه ومواعظه وحكمه وفتواه.

الفصل الثاني.

(حياة الحسن البصري ومكانته وآثاره العلمية).

إذا كان الفصل الأول قد أبان الإطار العام المنهجي الذي يسير عليه البحث، فإن الفصل الراهن يتناول حياة البصري موضحاً آثاره العلمية على مدار حياته العلمية، وفق الترتيب التالي:

أولاً. اسمه ولقبه وكنيته ونسبه.

هو الحسن بن يسار الملقب بالبصري نسبة إلى البصرة^(١)؛ لأنَّه عاش وتوفي بها، والأنصاري؛ لأنَّه مولى الأنصار^(٢)، ويدعى تارة بابن أبي الحسن. وقيل إنه من أهل اليمن، وسماه الذهبي شيخ الإسلام^(٣)، وكنيته أبو سعيد^(٤)، وهو من القلائل الذين عُرِفَ أبوهم بهم.

ثانياً. مولده ونشأته وأسرته.

ولد الحسن بالمدينة المنورة ونشأ ببيت أم المؤمنين أم سلمة زوج النبي ﷺ سنة إحدى وعشرين للهجرة النبوية قبل نهاية خلافة عمر بن الخطاب عليه السلام بستين، من أبوين مملوكيْن تقلبا في الرق، والده يسار يشتغل فيما يشتغل به سواه من المصالح، غالباً كان شغله في الخدمة والزراعة، وأمه خيرة كانت تعمل في خدمة أم المؤمنين أم

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت، جـ١، ص(٤٣٠).

انظر أيضاً:

ابن منظور: لسان العرب، (بصَّر)، طبعة مصورة عند مطبعة بولان، وطبع المؤسسة المصرية د.ت، جـ٤، ص ٦٧.

النووي: قذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، جـ١، ص ١٦١.

(٢) أحمد إسماعيل البسيط: مراجع سابق، ص ص (٤٠ - ٤١).

(٣) مصطفى سعيد الخن: مراجع سابق، ص ص (٨١ - ٨٢).

(٤) جمال الدين أبو الفرج ابن الحوزي: مراجع سابق، ص (٧).

سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ؛ وبصحبته ابنتها الحسن يقول ابن الجوزي: إن الحسن رُبِّي في حجر أم سلمة، وأرضعه بلبنها، ودرَّ عليه ثديها لرأفتها به ومحبتها له، فعادت عليه برَّة النبوة فتكلمت بالحكمة، وارتقت في الصلاح والمعْرفة إلى أفضل رتبة، وكان – رحمه الله – زاهد المتقين ومن أولياء الله الصادقين^(١)، كما يروى أن عمر بن الخطاب ﷺ حنكه بيده، وكانت أمه تخرجه إلى أصحاب النبي ﷺ فيدعون له وهو صغير، دعا له عمر بن الخطاب ﷺ فقال: (اللهم فقهه في الدين وحبه إلى الناس).

فنشأة الحسن في تلك البيعة العامة في صباحه له الأثر الكبير في تربيته وسلوكه، حفظ القرآن الكريم وهو ابن اثنين عشرة سنة، ويروى أنه كان له يوم مقتل عثمان عليه السلام أربعة عشر عاماً. قال: كنت في المدينة يوم مقتل عثمان عليه السلام وكنت ابن أربع عشرة سنة^(٢).

كما ذكرت المصادر أنه عرف سبعين رجلاً من رجال غزوة بدر، وروى عن عدد من هؤلاء الصحابة، وأكثر مروياته عن أنس بن مالك، وأخذ عن الصحابي سمرة المتوفى سنة ٦٠ هـ، عن طريق الكتابة^(٣).

لقد نشأ بعض سنين عمره في وادي القرى – كما نقل – والظاهر أن والده انتقل لعدة سنوات إلى مكة ثم عاد بعدها إلى المدينة المنورة، ثم انتقل يسار بأسرته إلى البصرة بعد أن غاب عنها قرابة عشرين عاماً^(٤).

تزوج – رحمه الله – وأنجب ثلاثة أولاد (ابنين وبنت) أحدهما سعيد وبه يكنى، والآخر عبد الله، أما أم أولئك فلم يعرف أصلها ولا نسبها، والظاهر أنها من الموالى، وكان الحسن يخاطبها بقوله يا علجة، نافياً عنها صفة العروبة ويبدو أنها

^(١) أحمد غسان: الحسن البصري، أarah، معتمداته، آدابه وزهده، ط١، دار قتبة، دمشق، سوريا، ١٩٨٢م، ص ص (٨-٩).

^(٢) عمر عبدالعزيز الجعبي: مراجع سابق، ص ص (٨٣ - ٨٤).

^(٣) فؤاد سوسكين: تاريخ التراث العربي. طبع جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، السعودية، د.ت، ج١، ص ص (١٤-٩).

^(٤) عمر عبدالعزيز الجعبي: مراجع سابق، ص ص (٨٣ - ٨٤).

*العلج: الرجل الشديد الغليظ، والعلج رجل من كفار العجم، والأثني علجة، وناقة علجة كثيرة اللحم، ابن منظور: لسان العرب (علج)، ج٢، ص (٣٢٦).

كانت كبيرة السن، ولم تكن بمستوى الحسن الشخصي والثقافي والنفسـي^(١)، حيث كان سخياً في بذل المال، فكانت تتضائق من فعله. كما ساق ابن سعد في طبقاته قصة زواج الرجل فقال: نعم، قال مولى عتاقة هو قال: نعم، قال فكان أصحابه وجدوا عليه من ذلك، فقال: اذهب فزوجه. كم أعطاك؟ قال: أعطاني عشرة آلاف، قال: عشرة آلاف.. عشرة آلاف! إذا أخذت منه عشرة آلاف فأي شيء يبقى؟ دع له ستة آلاف وخذ منه أربعة آلاف. قال، فقال له رجل: يا أبا سعيد إن له معي مائة ألف. قال: مائة ألف.. مائة ألف، قال: لا والله ما في هذا خير، لا تزوجه.

قال: فجاءت أم الجارية فقالت: إيش، تحمنا رزقاً ساقه الله إلينا. قال أخرجي أيتها العلجة. وقال راوي الخبر وكأني أنظر إليها، عجوز طويلة^(٢).

ثالثاً. ثقافته وفصاحتـه.

يعد الحسن البصري بحقِّ دائرة معرفية متحركة، ذلك لما عرف عنه من استلهام ثقافة عصره، ونبوغه فيها كأحسن ما يكون عطاءً وعملاً، مع دقة في العبارة وفصاحة بلغة، بالإضافة إلى تنوع ثقافته، فنجدـه في ميدان علم التفسير مثلاً يحتلـ الحسن البصري مكاناً بارزاً أو قـل في المصادف الأول من التابعين في مدرسة العراق التفسيرية، والتي كان رائدها الصحـابي الجليل عبد الله بن مسعود رض^(٣). وهذا مما فطنـ إليه القدماء؛ قال أبو حيان: (ومن المتكلمين في التفسير في التابعين الحسن ابن أبي الحسن...).

وقال بن عطيـة: (ومن المبرزـين في التابعين الحسن)^(٤).

^(١) عمر عبدالعزيز الحـغير: مرجع سابق، ص (٨٦).

^(٢) محمد ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، دـ١، جـ٧، ص (١٧٢).

^(٣) أحمد البسيط: مرجع سابق ص ص (٨٤ - ٨٥).

^(٤) القرطي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكـام القرآن ، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ١٩٦٧م، جـ١، ص (٣٦).

وقال بن جزى الكلبي: (كان الحسن البصري أحسن التابعين كلاماً في تفسير القرآن الكريم)^(١).

وفي الحديث النبوي، يعتبر الحسن رأس أهل الطبقة الثالثة، رواية، ثقة، ثبتاً في الحديث، فقد عرف عنه أنه كان على اتصال بسبعين بدرياً، وكان عمدته في الحديث أنس بن مالك^(٢)، اشتهر الحسن بقوه الحفظ.

وفي مجال الفقه، كان للحسن باع طويل في أبواب الفقه حتى قال حميد، ويونس بن عبيد: (قد رأينا الفقهاء، فما رأينا منهم أجمل من الحسن)^(٣). والحق أن أبرز العلوم نبغ فيها الحسن عليه السلام وتميز به، علم الفقه، حتى شهد له بذلك العلماء بالسبق والتقدم.

قال قتادة: (ما جالست فقيهاً قط إلا فضل الحسن عليه)^(٤) ، وقال بكر بن عبد الله المزني: (من سره أن ينظر إلى أفقه من رأينا فلينظر إلى الحسن)^(٥) ، وقال أیوب لرجل: (ما رأيت عيناك قط أفقه من الحسن)^(٦).

كما يعد الحسن البصري مؤسس مدرسة الزهد والتصوف في مدينة البصرة تلك المدرسة التي تهدف إلى ترويض النفس على العبادة وتنمية الصلة الروحية بين العبد وربه، فلقد كان - رحمه الله - أزهد أهل زمانه من علماء التابعين^(٧).

(١) ابن الجوزي : التسهيل لعلوم التعزيل، د ١، ج ١، ص (١٠).

(٢) عمر يوسف كمال: مرجع سابق: ج ١، ص (٩٥).

(٣) محمد رواس قلعجي: موسوعة الحسن الفقهية، ط ١، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٤٠٩ هـ، ج ١، ص (١٩).

(٤) الإمام الذهبي: مرجع سابق، ج ٤، ص (٥٧٣).

(٥) الإمام الذهبي: مرجع السابق، ج ٤، ص (٥٧٨).

(٦) محمد بن سعد: مرجع سابق، ج ٧، ص (١٦٥).

(٧) محمد عبدالرحيم: مرجع سابق.

والحق أن إسهامات الحسن المعرفية لا تخفي، فقد أسمهم بنصيب وافر في مختلف مناحي الثقافة المعروفة في عصره، وما يعوض ما نذهب إليه، أقوال العلماء التي تعتبر شهادة قوية على غزارة علمه واتساع ثقافته وتنوعها وكذا فصاحته وبلاعته.

قال أنس بن مالك: (سلوا الحسن، فإنه حفظ ونسينا) ^(١).

وروى ابن الجوزي: (كان أهل البصرة إذا قيل: من أعلم أهلها، ومن أورعهم، ومن أزدهرهم، ومن أجملهم، بدأوا به وثنوا بغيره، وكانوا إذا ذكروا البصرة قالوا: شيخها الحسن...). ^(٢)

قال محمد بن سعد: كان الحسن - رحمه الله - جاماً، عالماً، رفيعاً، فقيهاً، ثقةً، حجة، مأموناً، عابداً، ناسكاً، فصحيحاً، جميلاً، وسيماً). ^(٣).

وقال سليمان التيمي: (الحسن شيخ البصرة)، وقال مطر الوراق: (كان جلبر بن زيد رجل أهل البصرة، فلما ظهر الحسن جاء رجل كأنما كان في الآخرة، فهو يخبر بما رأى وعاين).

وقال العجلي: (تابع ثقة، ورجل صالح صاحب سنة). وقال ابن حجر: (وكان من أفعى أهل البصرة وأجملهم وأعبدهم وأفقهم). ^(٤). كما قال حماد بن زيد: سمعت أيبوب يقول: (كان الحسن يتكلم بكلام كأنه الدر، فتكلم قوم من بعده بكلام يخرج من أفواههم كأنه القيء). ^(٥).

^(١) ابن حجر العسقلاني: تمذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، جـ ٢، ص(٢٦٤).

انظر أيضاً مصطفى سعيد الخن: مراجع سابق، ص (٥).

^(٢) الإمام ابن الجوزي: مراجع سابق، ص (٨).

^(٣) محمد بن سعد: مراجع سابق جـ ٧، ص(١١٥).

انظر أيضاً مصطفى سعيد الخن: مراجع سابق، ص (٥).

^(٤) ابن حجر العسقلاني: مراجع سابق جـ ٢، ص ص (٢٦٤ - ٢٦٥).

انظر أيضاً محمد عبد الرحيم: مراجع سابق ، جـ ١، ص(٢٥).

^(٥) مصطفى سعيد الخن: مراجع سابق، ص (٥).

ومن شهد له بالفصاحة أحد أعلام اللغة العربية، وأحد القراء السبعة فها هو
ذا أبو عمر بن العلاء يقول: (ما رأيت أفعى من الحسن البصري)، ومن الحاج بن
يوسف الثقفي، فقيل له: أيهما أفعى؟ قال الحسن^(١).

وقال الشافعي: (لو أشاء إن أقول أن القرآن نزل بلغة الحسن لقلت
لفصاحته)^(٢). كما يقول ابن خلkan: (جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة)^(٣).

وعده بعض الباحثين المعاصرین (منارة أضاءات طريق الإسلام في انتقاله من
القرن المجري الأول ودخوله في القرن الثاني)^(٤).

وقال ثابت بن قرة: (كان الحسن من دراري النجوم علماً وقوياً، وزهداً
وفصاحة؛ مواعظه تصل إلى القلوب وألفاظه تلتبس بالعقل، وما أعرف له ثانياً، قريباً
ولا مدانياً، كان منظره وفق مخبره، وعلاناته وزن سريرته، يجمع مجلسه ضروب الناس
وأصناف اللباس لما يوسعهم من بيانه، هذا يأخذ عنه الحديث، وهذا يلقن منه التلوييل،
وهذا يسمع الحلال والحرام، وهذا يتبع في كلامه العربية، وهذا يجرد له المقالة، وهذا
يحكى الفتيا، وهذا يتعلم الحكم والقضاء، وهذا يسمع الموعظة، وهو في جميع هذا
كالبحر العجاج تدفقاً، وكالسراج الوهاج تألقاً، يجلس تحت كرسية قنادة، صاحب
التفسير، وواصل صاحب الكلام، وابن أبي إسحاق صاحب النحو، وفرقد السبني
صاحب الرقائق، وأشباه هؤلاء ونظرائهم، فمن ذا مثله ومن يجرئ مجراه)^(٥).

ما سبق يتضح أن البصري قد جمع بين بلاغة اللسان وقوة الإيمان مع الإمام
يمختلف العلوم في عصره من تفسير، وحديث وفقه، وقراءات، ورقائق، ولغة، ونحو،
وبيان، ومنطق، وكلام، وغير ذلك^(٦).

^(١) مصطفى سعيد الخن: المراجع السابق, ص (٥).

^(٢) عمر عبدالعزيز الجعبي: مراجع سابق, ص (٨٦).

^(٣) ابن خلkan: مراجع سابق, جـ ٢، ص (٢٦).

^(٤) محمد عبدالرحيم: مراجع سابق, جـ ١، ص (٢٦).

^(٥) أبو الحسن الندوی: رجال الفكر والدعوة في الإسلام, مطبعة جامعة دمشق، دمشق، د.ت، ص ص (٧٠-٧١).

^(٦) محمد عبدالرحيم: مراجع سابق, جـ ١، ص (٢٧).

رابعاً. صفاته وأخلاقه.

كان الحسن بن يسار البصري رحمة الله جسماً، طويلاً، جميلاً، محباً، مشهوراً بالجمال، من أجمل أهل البصرة صورة معروفاً بها مقبولاً عند الناس، قال الأصمي عن أبيه: (ما رأيت زنداً أعرض من زند الحسن البصري، كان عرضه شبراً) ^(١).

كما قال ابن حجر: (كان من أفعى أهل البصرة وأجملهم) ^(٢). وبهذا قال ابن خلkan - أيضاً - وجاء عن الأشعث بن سوار أنه قال: (أردت أن أقدم البصرة لألقى الحسن، فأتيت الشعبي، فسألته، فقلت يا أبا عمرو إني أريد أن ألقى الحسن فصفه لي: قال نعم أنا أصفه لك. إذا دخلت البصرة فادخل مسجد البصرة فأدمر ببصرك، فإذا رأيت في المسجد رجلاً ليس مثله، أو لم تر مثله، فهو الحسن. قال الأشعث: فأتيت مسجد البصرة فما سألت عن الحسن أحداً حتى جلست إليه بنعت الشعبي) ^(٣).

وقال الذهبي: (قلت: كان رجلاً تام الشكل، مليح الصورة، هياً، وكان من الشجعان الموصوفين). وقالت أمّة الحكم: (كان الحسن يجيء إلى حطان الرقاشي، فما رأيت شاباً قط كان أحسن وجهها منه) ^(٤). قال أبو العلاء: (نشأ الحسن بوادي القرى، وكان من أجمل أهل البصرة، حتى سقط عن دابته، فحدث بأنه ما حدث) ^(٥) وعن مبارك بن فضالة قال: (رأيت الحسن يضع طبلسانة على شقه الأيسر في الصلاة).

وكان صاحب شعر طويل يتركه ويحلقه يوم النحر. ويحمل عصاً في يده. وكان يتبع أفعال الصحابة - رضي الله عنهم - فيفعلها. قال أبو بردة: (ما رأيت

^(١) الإمام الذهبي: مرجع سابق جـ٤، ص(٥٧٢).

^(٢) ابن حجر العسقلاني: مرجع سابق ، جـ٢، ص(٢٧٠).

^(٣) ابن خلkan: مرجع سابق جـ٢، ص(٧٠).

^(٤) الإمام الذهبي: مرجع سابق جـ٤، ص(٥٧٣).

^(٥) ابن خلkan: مرجع سابق جـ٢، ص(٧٠).

طلسانة: ضرب من الأكسية جمعه طيالس أو طيالسة وهي ليست عربية وأنما فارسية.

رجالاً قط لم يصحب النبي ﷺ أشبه بأصحاب رسول الله ﷺ من هذا الشیخ يعني الحسن^(١).

كان الحسن البصري صاحب هيبة، عن حماد بن زيد قال: (سمعت أیوب يقول: كان الرجل يجلس إلى الحسن ثلاث حجج ما يسأله هيبة له)^(٢)، ومع هيبته هذه كان كامل المروءة، قال حميد الطويل: (رأينا الفقهاء فما رأينا أحداً أكمل مروءة من الحسن، وكان يقول: لا دين إلا مروءة)^(٣). وفوق هذا كله كان كريماً سخياً رفيقاً بالفقراء والأصحاب، عن قتادة قال: (دخلنا على الحسن وهو نائم وعند رأسه سلة، فجدبناها فإذا خبز وفاكهه، فجعلنا نأكل، فاتبه فرآنا، فسره فتبسم وهو يتحدث: (أو صديقكم لا جناح عليكم)^(٤). وسئله رجل عن حُسْنِ الخلق. ما هو؟ فقال: البذل، والعفو، والاحتمال^(٥).

وكان ييكي ويقول: ولقد رأيت أقواماً يسي أحدهم، ولا يجد عنده قوتاً فيقول: لا أجعل هذا كله في بطني؛ لأجعلن بعضه لله عز وجل^(٦).

قال حزم بن أبي حزم: سمعت الحسن يقول: (بئس الرفيقان الدنيا والدرهم، لا ينفعانك حتى يفارقاك)^(٧).

كما أن أحاديث سخائه وكرمه وكرم شمائله طويلة فهو رجل لم يجعل للدنيا والدرهم وزناً^(٨). قال مالك بن دينار: قلت للحسن: ما عقوبة العالم إذا أحب الدنيا؟ قال: موت القلب^(٩).

^(١) محمد بن سعد: مرجع السابق، جـ٧، ص ص (١٦٠-١٩٦).

^(٢) محمد حسن عقيل موسى: مرجع سابق ٤٤٨/١.

^(٣) ابن كثير: مرجع سابق، جـ٩، ص ٢٨١.

^(٤) محمد حسن عقيل موسى: مرجع سابق جـ١، ص ٤٤٩.

^(٥) الإمام ابن القيم الجوزي: مرجع سابق، ص (٢١).

^(٦) عمر عبدالعزيز الجغبي: مرجع سابق، ص (٨٨).

^(٧) محمد حسن عقيل موسى: مرجع سابق، جـ١، ص ٤٩.

^(٨) محمد حسن عقيل موسى: المراجع السابق، جـ٢، ص (٤٤٩).

^(٩) محمد بن سعد: مرجع سابق، جـ٧، ص (١٧١).

لقد انعكست صفات الحسن على صفاته الأخلاقية فكانه صورة للأخلاق بل صورة للدعوة الإسلامية، ذو حسن حتى قال يonus بن عبيد: كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به، وإن لم ير عمله ولم يسمع كلامه^(١). روى ابن الجوزي أن الحسن قال: أصحاب الناس بمحكم الأخلاق فإن الشواء بينهم قليل^(٢). قال الحافظ: (كان الحسن يُستثنى من كل غاية فيقال: فلان أزهد الناس إلا الحسن، وأفقه الناس إلا الحسن، وأفصح الناس إلا الحسن، وأخطب الناس إلا الحسن)^(٣). وإذا كان ما تقدم قد أبان لنا صفات وأخلاق البصري خلال ما ذكر في هذا الصدد، فإن الصفحات التالية يحاول فيها البحث إبراز جوانب أخرى تمثل في ورمه وزهده وحزنه.

خامساً. زهده وورعه وحزنه.

كان الحسن البصري داعية الزهد والتقوى، كما كان رجلاً ممزوناً، قال إبراهيم بن عيسى البشكري: (ما رأيت أحداً أطول حزناً من الحسن، وما رأيته قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة)^(٤).

وقال حمد بن جحادة: قلت لأم ولد الحسن البصري : ما رأيت من الحسن؟ فقالت رأيته فتح المصحف فرأيت عينيه تسيلان وشفتيه لا تتحرّكان.^(٥) وقال عبد الواحد زيد: لو رأيت الحسن لقلت: (صُبَّ على هذا حزن الخلاق من طول تلك الدمعة وكثرة ذلك النشيج)^(٦).

كان منزله متربّل العلماء والزهاد ليس فيه من المتع إلا أدنى احتياجاته مما يقي من الحر والبرد، روى مطر قال: (دخلنا على الحسن نعوده، فما كان في البيت شيء، لا فراش

(١) ابن كثير: مرجع سابق، جـ ٩، ص (٢٨٨).

(٢) الإمام ابن القيم: مرجع سابق ص (٣٩).

(٣) عمر عبدالعزيز الجعفري: مرجع سابق، ص (٨٩).

(٤) أبو نعيم أحمد عبدالله الحنبلي حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، جـ ٢، ص (١٣٣).

(٥) علي الحمادي: ساحة للتأمل، ط ١، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ، ص (٣٩).

(٦) الحسن البصري: الزهد، تحقيق محمد عبد الرحمن محمد، دار الوليد، جدة ١٩٩١م، ص (٦٠).

ولا بساط، ولا وسادة، ولا حصير إلا سرير مرمول^{*} هو عليه^(١). كما قال أحد البلحين المحدثين: (إذا كنت قد أطلعتك على أن ابن سيرين كان أورع أهل زمانه، فإني أستطيع أن أقول: (إن الحسن كان أزهد أهل زمانه من علماء التابعين. والزهد عند القوم متزلة فوق الورع. فإن الورع أن تكف عن حمار الله وأن تختاط وتحرج في طلب الدنيا حتى تتقى الشبهات خشية الوقوع في المحرمات... وأما الزهد فإنه ترك الدنيا، وعدم الطلب إلا لما أوجبه الشرع الكريم من حفظ الحياة بمقدار الضرورة)^(٢).

انظر إليه كيف يصف الدنيا وينهى عن التعليق بها في رسالته لعمرو بن عبد العزيز: (فاحذر هذه الدار الصارعة الخادعة الخاتلة، التي قد تزيست بخدعها وغررت بغورها، وقتلت أهلها بأملها وتشوّقت لخطاها فأصبحت كالعروس المخلوقة، والعيون إليها ناظرة، والنفوس لها عاشقة، والقلوب إليها والمهة، والألباب بها دامغة، وهي لأزواجها كلهم قاتلة... فاحذرها الحذر كله، فإنها مثل الحياة، لين مسها وسمها يقتل فأعرض عنها وأيقنت به من فراقها وشدّ ما أشد منها لرخاء ما يصيّبك، وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون له فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور له أشخصته عنها يمكروه، وكلما ظفر بشيء منها، وثنى رجلاً عليه انقلب به فالسار في عازٍ والنافع فيها غداً ضار، وصل الرخاء فيها بالبلاء، واجعل البقاء فيها إلى فناء، سرورها مشوب بالحزن، وآخر الحياة فيها الضعف والوهن).

ثم استرسل الحسن محدراً خليفة المسلمين من الدنيا فيقول: (فاحذرها فإن أمانها كاذبة، وإن آمالها باطلة، عيشها نكد، وصفوها كدر، وأنت منها على خطرو، إما نعمة زائلة، وإما بلية نازلة، وإما مصيبة موجعة، وإما ممية قضية)^(٣).

* مرمول : قلت من سعف النخل.

^(١) الإمام الذهبي: مرجع سابق ، جـ٤ ، ص (٥٨٢).

انظر أيضاً محمد رواش قلعجي: مرجع سابق ، جـ١ ، ص (٩).

وأيضاً مصطفى سعيد الخن: مرجع سابق ص (١٨).

^(٢) مجلة الأزهر في ٩٣٥/٧ مجلد ، الأزهر الشريف ، القاهرة ، مصر ، ٢٥ رجب ١٣٧٣ هـ.

^(٣) أبو حامد الغزالى: إحياء علوم الدين ، المكتبة التجارية ، مصر ، د.ت ، ج ٣ ، ص ١٩٩.

وقال - أيضاً - : المؤمن الفطن اللبيب في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها،
ولا يأنس بقربها، ولا يأسى ببعدها ولا يأمن غيرها للناس حال وله حال^(١).

ولعل الحزن الذي كان يأخذ لب الحسن معاده إلى زهده في الدنيا ورفضه لها
حيث تروي لنا كتب السيرة والترجم أن الحسن البصري كان مستلزم الحزن، منها:
ما ذكره الذهبي على لسان علقة بن مرشد قال: (وأما الحسن فما رأينا أحداً أطول
حزناً منه، ما كنا نراه إلا حديث عهده بمصيبة)^(٢).

قال ابن الجوزي: (كان الحسن دائم الحزن كثير البكاء، مطالباً نفسه بالحقائق،
بعيداً عن التصنع، لا يظهر التقشف وإن كان بادياً عليه ولا يدع التحمل، ولا يمتنع
من لبس جيد الثياب، ولا يتخلّف عن مخالطة الناس، ولا يتأخر عن إجابة الداعي إلى
ال الطعام)^(٣).

ولله در الحسن انظر إليه كيف وضع يده على سبب حزنه حيث قال: (إن
المؤمن يصبح حزينًا، ويمسي حزيناً، ولا يسعه غير ذلك؛ لأنَّه بين مخافين، بين ذنب قد
مضى لا يدرِّي ما الله يصنع فيه، وبين أجل قد بقى لا يدرِّي ما يصيِّب فيه من
المهالك)^(٤).

كما قال - أيضاً رحمه الله - : (يتحقق لمن يعلم أن الموت مورده، وأن الساعة
موعده، وأن القيام بين يدي الله مشهده، أن يطول حزنه)^(٥).

(١) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي ، مرجع سابق، ص(٥٤).

(٢) محمد حسن عقيل موسى: مرجع سابق ، جـ ١، ص(٤٥٠).

(٣) جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي: مرجع السابق ص ص (٧، ٢٧).

(٤) أبو نعيم: مرجع السابق ، جـ ٢، ص(١٣٣).

انظر أيضاً محمد عبد الرحيم: مرجع السابق ، جـ ١، ص(٢٩).

(٥) أبو نعيم: مرجع السابق ، جـ ٢، ص(١٣٣).

ويمكن القول بأن زهد الحسن البصري كان معتدلاً فهو (لم ينفك جسمه ولا نفسه بصلة أو صوم أو عزلة، وكانت له حال من التقوى الصالحة والورع العلقل: يؤدي العبادات على وجهها ويخش الله فلا يقترب من حرام)^(١).

سادساً. شيوخه وتلامذته.

ما لا ريب فيه أن الحسن البصري - رحمه الله - عاصر كثيراً من الصحابة، ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب، أن الحسن رأى علياً عليه السلام وطلحة عليه السلام وعائشة - رضي الله عنها - وروى عن أبي بن كعب، وسعد بن عبادة، وعمر بن الخطاب، ولم يدركهم، وروى عن ثوبان، وعمار بن ياسر، وأبي هريرة، وعثمان بن أبي العاص، ومعقل بن سنان - رضي الله عنهم -، وروى عن عثمان وعلي - رضي الله عنهمَا - وأبي موسى، وأبي بكرة، وعمران بن حصين، وجندب البجلي، وابن عمرو، ومعاوية - رضي الله عنهم -، ومعقل بن يسار، وأنس، وجابر، وخلق كثير من الصحابة والتبعين).

ومسألة اللقاء الحسن بالصحابة بل بالجمع الغفير منهم، مسألة الخلاف فيها شكلي حول العدد، وجوهري يتعلق بمن التقى بهم ومن لم يلتقط بهم، حيث عاش - رحمه الله - الجزء الأكبر من عصر الصحابة حتى سنة مائة هجرية^(٢).

والحق أن الحسن البصري تلميذ الصحابة النجيب، وابن المدينة البار، فقد أخذ علمه وأفاد من أصحاب النبي صلوات الله عليه وسلم وفي طريقهم سار ولهديهم اتبع، ونعرض عدداً من شيوخه البارزين دون الخوض في التفاصيل^(٣).

أولاً. أنس بن مالك: بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأننصاري،

الخزرجي^(٤) عليه السلام، كانت وفاته على المشهور سنة ٩٣ هـ. ويعد من أبرز شيوخ الحسن

^(١) عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ط١، دار العلم للملاتين، بيروت، ١٩٧٢، ص (٢١٨).

^(٢) ابن حجر العسقلاني: مرجع سابق، جـ٢، ص (٢٦٣ - ٣٣١).

^(٣) عمر عبدالعزيز الجعبي: مرجع سابق ص (١١٨).

^(٤) ابن حجر العسقلاني: مرجع سابق، جـ١، ص (٣٢٩).

وأهفهم، حيث كانت الصلة بين سيدنا أنس بن مالك والحسن البصري وشيخه، بل كانت بينهما محبة كبيرة، وأنس كما هو معلوم خادم رسول الله ﷺ كنيته أبو حمزة وثبوت سماع الحسن من أنس أكيدة لا مرية فيها أثبت ذلك أصحاب التراجم والمؤرخون^(١).

كما كان أنس يجلُّ الحسن أياً إجلال بلغت درجة الإعجاب، قال عنه: (إن لأبغط أهل البصرة بمندين الشيفين الحسن وابن سيرين).

وكذلك شهد له برسوخ قدمه وعلو مكانته وفضله في العلم، حيث كان أنس بن مالك عليه السلام إذا سُئل، قال لسؤاله: أسأل مولانا الحسن، فيقال له: يا أبا حمزة نسألك فتقول: أسألكم مولانا الحسن، فيقول أنس عليه السلام تقديرًا لعلم الحسن وفضله، وثقة في نقله ورأيه: (إن الحسن سمع وسمعنا وحفظ ونسينا)^(٢).

وقد نهج الحسن البصري نهج سيدنا أنس في أقواله وأفعاله، بل تشبه به. إذ قال بعد جواز الجمع في عرفة ومذلة استشهاداً بفعل أنس بن مالك. كما روى الحسن عن أنس.

ثانياً. جندب بن عبد الله بن سفيان البيجلي العقلي الصحافي الجليل كانت وفاته بعد الستين من هجرة الرسول ﷺ كما كان يقال له جندب الخير. روى عنه الحسن البصري^(٣).

ثالثاً. حطان بن عبد الله الرقاشي البصري^(٤) كان - رحمه الله - صاحب زهد وورع وعلم روى الحديث عن عمر بن الخطاب عليه السلام وعلي بن أبي طالب كرم الله

^(١) محمد بن سعد: مراجعة سابق جـ٧، ص(١٥٦).

أيضاً ابن حجر العسقلاني: مراجعة سابق جـ١، ص(٣٢٩).

^(٢) محمد بن سعد: مراجعة سابق جـ٧، ص(١٥٦).

أيضاً ابن حجر العسقلاني: مراجعة سابق جـ١، ص(٣٢٩).

^(٣) ابن حجر العسقلاني: المراجع السابق، جـ٢، ص(١٠١).

^(٤) ابن حجر العسقلاني: المراجع السابق، جـ٢، ص(١٠١).

أيضاً عمر يوسف كمال: مراجعة سابق، جـ١، ص(١٥٤).

وجهه كما كان ثقة قليل الحديث وكانت وفاته بعد السبعين بخلافة عبد الملك بن مروان، قال ابن المديني: (حطان ثقة، قرأ عليه الحسن البصري)، وقال ابن حبان: (ثقة من الثقات).

رابعاً. سمرة بن جندب بن هلال بن جرير بن مرة الغزارى، وكنيته أبو سعيد

كانت وفاته سنة تسع وخمسين من هجرة الرسول^(١).

خامساً. عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عيد شمس وكنيته أبو سعيد: دخل

الإسلام يوم الفتح وصاحب رسول الله^ﷺ وكان اسمه عبد الكعبة فسماه النبي^ﷺ

عبد الرحمن، وكانت وفاته سنة خمسين وقيل إحدى وخمسين من هجرة الرسول^ﷺ،

خرج مجاهداً في سبيل الله ومعه الحسن البصري برفقة المهلب بن أبي صفرة، وكذا

قطري بن الفجاءة، ورفقة الحسن لعبد الرحمن في هذه الرحلة الطويلة أثر بالغ في

حديث الحسن^(٢).

سادساً. عبد الله بن قيس بن نخرق بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلي. كانت

وفاته سنة ثلاثة وسبعين من هجرة الرسول^ﷺ عمل والياً على الكوفة ثم البصرة، ثم

رحل إلى المدينة قاضياً. سمع منه الحسن، وقد روى الحديث عن أبيه، وأبي هريرة^(٣).

سابعاً. عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أحد شيوخ الحسن على

الأصح، كانت وفاته بعد السبعين من هجرة الرسول^ﷺ^(٤).

(١) ابن حجر العسقلاني: مرجع سابق جـ ٤، ص (٢٠٧).

(٢) ابن حجر العسقلاني: مرجع سابق، جـ ٦، ص (١٧٣).

انظر أيضاً عمر يوسف كمال: مرجع سابق، جـ ١، ص (١٦٠، ١٦١).

(٣) ابن حجر العسقلاني: مرجع سابق، جـ ٥، ص (٣١٨).

(٤) ابن حجر العسقلاني: مرجع سابق، جـ ٥، ص (٢٤٤).

انظر أيضاً عمر عبدالعزيز الجغير: مرجع سابق، ص (١٢٠).

تلاميذه:

كانت حياة الحسن البصري هي العلم طالباً وناشرًا له المسجد مكاناً لتعلمـه وتعليمه خطيباً فيه ومحدثاً، وله حلقات في المسجد الجامع، وجلس خاص في بيته، إذ كان تلاميذه يتحلقون حوله حيث انتقل علمـه بالرواية من خلال هؤلاء التلاميذ الذي أسهـمـ في تربيتهم إسهاماً كبيراً، تخرج على يديـه جماعة من الأعلام، الذين لهم جهود متميزة في شـتـ مـيـادـينـ الإـسـلـامـ، إذـ كانـ رـحـمـهـ اللهـ مـتـنـوـعـ العـطـاءـ فيـ مـخـتـلـفـ عـلـومـ عـصـرـهـ، مثلـ الـحـدـيـثـ، الـفـقـهـ، الـتـفـسـيرـ، الـلـغـةـ...ـ وـغـيـرـ ذـلـكـ منـ عـلـومـ عـصـرـهـ.

وسوف نعرض بعض تلاميذه الذين بـنـجـدـ فيـ سـيـرـهـمـ آـثـارـاـ فيـ التـرـبـيـةـ مثلـ:

أولاً. أيوب السختياني بن أبي تميمة: وكتـيـتهـ أبوـ بـكرـ، مـولـىـ لـعـتـرةـ. قالـ عنـهـ ابنـ سـعـدـ:ـ كـانـ أـيـوبـ ثـقـةـ كـثـيرـ الـحـدـيـثـ، جـامـعاـ، عـدـلاـ، وـرـعـاـ كـثـيرـ الـعـلـمـ، حـجـةـ. ولـدـ عـلـمـ سـتـةـ وـثـانـيـنـ، عـاشـ فـيـ الـبـصـرـةـ، وـالتـقـىـ بـالـإـلـامـ الـحـسـنـ الـبـصـرـيـ وـجـلـسـ فـيـ حـلـقـتـهـ، قـالـ عـنـهـ الـحـسـنـ:ـ سـيـدـ الـفـتـيـانـ، كـماـ قـالـ عـنـهـ:ـ سـيـدـ شـبـابـ أـهـلـ الـبـصـرـةـ.ـ وـهـذـهـ بـلـاشـكـ شـهـادـةـ عـظـيمـةـ مـنـ الـحـسـنـ لـتـلـمـيـذـهـ، وـهـوـ الـذـيـ قـامـ بـغـسلـهـ عـنـدـ مـوـتـهـ، كـمـاـ كـانـ لـهـ شـعـرـ كـشـيـخـهـ الـحـسـنـ يـحـلـقـهـ كـلـ عـامـ.ـ وـكـانـ أـيـوبـ يـجـرـ قـمـيـصـهـ مـخـالـفاـ بـذـلـكـ النـسـاكـ، وـكـانـ يـقـولـ:ـ كـانـتـ الشـهـرـةـ فـيـ الـمـاضـيـ بـتـذـيلـهـاـ، وـالـشـهـرـةـ الـيـوـمـ فـيـ تـشـمـيرـهـاـ وـاـشـتـهـرـ بـكـثـرـةـ الرـجـاءـ فـيـ رـحـمـهـ اللـهـ.ـ وـكـانـ يـقـولـ:ـ لـأـنـ يـسـتـرـ الرـجـلـ زـهـدـهـ خـيـرـ لـهـ مـنـ أـنـ يـظـهـرـهـ،ـ وـكـانـ يـرـوـيـ قـرـاءـةـ الـحـدـيـثـ^(١).

ثانياً. حميد بن أبي الطويل البصري، كانت وفاته سنة اثنتين وأربعين ومائة من الهجرة، واسم أبيه طرخان، كان طويلاً جداً، ويُعتبر من أكبر أصحاب الحسن، كما

^(١) محمد بن سعد: مرجع سابق، جـ٧، ص(٢٤٦).

أيضاً ابن حجر العسقلاني: مرجع سابق، جـ١، ص(٣٤٨).

أيضاً أحمد إسماعيل البسيط: مرجع سابق، ص(٦٥).

كان ثقةً كثير الحديث، أخذ كتب الحسن ونسخها ثم ردها عليه، واشترك مع أيوب في غسل الحسن، وسار في جنازته، وقال يونس عنه: أكثر الله فينا مثل حميد^(١).

ثالثاً. حماد بن سلمة بن دينار البصري: كان يكنى بأبي سلمة، وأبواه يكنى أباً صخر، كما كان مولى لبني تميم، وحاله حماد الطويل. وكان ثقةً كثير الحديث، ورعاً حدث بالمناقير، مواظباً على الأعمال الصالحة وأعمال الخير، وتلاوة القرآن، عابداً في مجال الدعوة^(٢).

رابعاً. حميد بن هلال بن هبيرة، كان ثقةً، التقى بالحسن وسمع منه وتلمس ذي مدرسته كان يثنى على الحسن ويقول: قد رأينا الفقهاء، فما رأينا أجمع من الحسن وأكمل مروعة منه^(٣).

خامساً. عمرو بن عبيد المعتزلي، ويقال كيسان التميمي البصري، والمتوفى سنة اثنين وأربعين ومائة، وقيل ثلاثة وأربعين ومائة هجرية، جالس الحسن وحفظ واعتزل مع واصل بن عطاء. وقال بالقدريه، كان له سمّت الزهاد، وكان يهم في الحديث فيكذب، كما كان يكذب على الحسن، وصفه الحسن عندما سُئل عنه، قال: لقد سألتني عن رجل كان الملائكة أدبه، وكأن الأنبياء ربته، إن قام بأمر قعد به، وإن أمر بشيء كان ألزم الناس به، بين عينيه أثر السجود، و Ashton بجهة للجادل وكثرة العلم، قال بآراء واصل، وخالقه في بعض الأمور^(٤).

^(١) محمد بن سعد: مرجع سابق، جـ٧، ص(٢٥٢).

انظر أيضاً ابن حجر العسقلاني: مرجع سابق، جـ٣، ص(٣٤).

انظر أيضاً أحد إسماعيل البسيط: مرجع سابق، ص(٦٣).

^(٢) محمد بن سعد: مرجع سابق، جـ٧، ص(٢٨٢).

انظر أيضاً ابن حجر العسقلاني: مرجع سابق، جـ٣، ص(١١).

^(٣) محمد بن سعد: مرجع سابق، جـ٧، ص(٢٨٢).

انظر أيضاً ابن حجر العسقلاني: مرجع سابق، جـ٣، ص(٤٥).

^(٤) محمد بن سعد: المراجع السابق، جـ٧، ص(٢٨٢).

انظر أيضاً ابن حجر العسقلاني: مرجع سابق، جـ٨، ص(١٢٢).

انظر أيضاً عمر عبدالعزيز الجعفري: مرجع سابق، ص(١٢٢).

سادساً: واصل بن عطاء الملقب بالغزالى وكنيته أبو حذيفة، ولد عام ٥٨١هـ في المدينة، (وتربى في مدرسة أولاد ابن الحنيفة حين كان يدرس الحسن البصري الذي استمع إليه حيث كان مجلس الحسن يعتبر أكبر مجمع علمي في البصرة)^(١) فجالس واصل الحسن البصري بعد أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنيفة^(٢) ثم اختلف معه في مسألة مرتكب الكبيرة.

سابعاً. فرقد السبحي أبو أيوب البصري، كان نصرانياً وأسلم. من كبار زهاد المسلمين في عصر الحسن، مما اشتهر به كثرة العبادة، جالس الحسن وسمع منه، واشتغل بالعبادة عن روایة الحديث، كما اشتهر أيضاً بكثرة الجوع، كان يقول: (ويلي لذي بطنه من بطنه، إن أضاعه ضعف، وإن أشبعه ثقل). وكان يلبس الصوف وينصحه الحسن في ذلك، إذ كان يقول له: (دع عنك نصرانيك هذه)^(٣).

سابعاً. مكانته وأثاره العلمية وأقوال العلماء عنه.

١- مكانته.

يعد الحسن بن يسار البصري علماً بارزاً في علوم مختلفة من علوم عصره إذ أن فترة صباه الذي عاشها في مدينة رسول الله ﷺ بل في بيته عليه أفضل الصلاة، وكذا تربيته على يد الجمع الغفير من الصحابة، من خالاتهم كان له أكبر الأثر في تكوينه العلمي وبناء شخصيته العلمية فهو بحق دائرة معرفية متحركة شاملة أحاطت بجمل العلوم والثقافات المعرفية في زمانه.

فهو مفسر بارز، ومحدث عالم، وقارئ مجيد، وواعظ بارع، وغير ذلك من هذه الجوانب المتعددة من جوانب حياته العلمية والثقافية. وهذا - بلا مزية - وليد ثقافته التي ثقفت حياته كلها.

^(١) علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفى، ط٨، دار المعرفة، مصر، ١٣٩٧، ص (٣٨٢).

^(٢) طاش كيرى زاده: مفتاح السعادة ومصباح السعادة ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد ، الهند ، ١٣٩٧هـ - جـ ٢، ص (٣٤) ..

^(٣) محمد بن سعد: مراجع سابق ، جـ ٧، ص (٢٤٣).

فقد جاء تفسيره مرآة عاكسة لشخصية مؤلفه الفكرية وتعدد ثقافته وتنوعها.

ففي علم التفسير مثلاً يعتلي الحسن البصري الذروة من التابعين في مدرسة العراق التفسيرية، وهي المدرسة التي رأسها الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه^(١).

والحسن البصري معدود ضمن طبقة أهل العراق من المفسرين، قال ابن سعد فيه: (كان ثقة مأموناً، وعالماً جليلاً، وفصيحاً حمياً، وتقيناً نقيناً، حتى قيل إنه سيد التابعين)^(٢).

الحسن والحديث. أخذه عن جمِعٍ من الصحابة – رضوان الله عليهم – فلـه
قدم راسخة في رواية الحديث النبوى الشريف فقد ذكرت المصادر والمراجع أنه كان
على صلة بسبعين رجلاً من الصحابة الكرام من الذين شهدوا بدرأً، فقد كان – رحمه
الله – ثقة في نفسه ثبتاً لا يستطيع أحداً أن يطعن في دينه وضبط ثقته، روى له
البخاري ومسلم في صحيحهما جملة من الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ وكما
هو معلوم فالشيخان لا يرويان إلا عن ثبت ثقته، وعدالته.

ومن الذين سمع منهم، أنس بن مالك، وعبد الله بن مغفل، وعمرو بن تغلب،
وأبوبزرة، وعبد الرحمن بن سمرة، وعمران بن حصين، وأبو الأحوص، وأحمر، وعثمان
بن عفان فقد رأاه وحضر معه بعض خطبه. فقد روى شعيب بن الحجاج عن الحسن
قال: شهدت عثمان جمعاً تباعاً يأمر بذبح الحمام وقتل الكلاب^(٣).

ورأى جمعاً من الصحابة – رضوان الله عليهم – ولم يسمع منهم من ذلك:
علي بن أبي طالب، وطلحة بن عبد الله، وعائشة أم المؤمنين – رضوان الله عنهم
أجمعين – بالإضافة إلى غير هؤلاء.

^(١) محمد عبدالرحيم: مرجع سابق، جـ ١، ص (٢٣).

وهناك ثلاث مدارس للتفسير في عهد التابعين: مدرسة مكة، ومدرسة المدينة، ومدرسة الكوفة والبصرة، عمر عبدالعزيز الجغيري: مرجع سابق، ص ١٤٦، ١٤٧.

^(٢) محمد عبدالعظيم الزرقاني: منهاج العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٨٠، ص (٢١).

^(٣) مصطفى سعيد الخن: مرجع سابق ص (١٧٣، ١٧٤).

انظر أيضاً محمد رواس قلعجي: مرجع سابق، جـ ١، ص (١٥).

يؤيد ذلك ما قال أبو سعيد لرجلٍ، قال له: يا أبا سعيد إنك تحدثنا فتقول: قال رسول الله ﷺ، فلو كنت تنسنه لنا إلى من حدثك، قال: يقول الحسن: أيها الرجل ما كذبنا ولا كذبنا، ولقد غزونا غزوة إلى خراسان ومعنا فيها ثلاثة من أصحاب محمد ﷺ، وكان الرجل منهم يصلبي بنا، وكان يقرأ الآية من السورة ثم يركع^(١). وقد روى عن عدد من الصحابة ولم تكتحل عيناه لرؤيتهم، كان منهم سيدنا أبي بن كعب ، وعلى رسوخ قدمه وسعة علمه ومتانة تقواه إلا علماء الجرح والتعديل نال منهم نصيه، وما قالوا عنه أنه كان يُحدث بالمعنى، ويُرسل الأحاديث وهذا ما ثبت عنه فقد كان يُرسل الأحاديث، وأنه يدلس. قال عنه الذهبي هو مدلس^(٢)، ونقل عن ابن حبان أنه قال فيه كان يدلس ومهما يكن فللحسن قدم راسخة في الحديث.

الحسن والفقه. تدل المصادر والمراجع على رسوخ قدم الحسن البصري في الفقه وطول باعه فيه. يقول الذهبي: قال سليمان التيمي: كان الحسن يغزو، وكان مفتى البصرة جابر بن زيد أبو الشعفاء، ثم جاء الحسن فكان يفتي^(٣). ومعلوم أن الفقه هبة ربانية ومنحة إلهية فقد أراد الله بالحسن خيراً ففقه في الدين، فقد كان رحمة الله فقيه أهل البصرة.

قال قنادة: (مارأيت أعلم بالحلال والحرام من الحسن البصري). وقال أبوبالسختياني: (ما رأي عيناي رجلاً قط أفقه من الحسن ولكثره علمه وتقد قريحته كان يتوقف في كثير من المسائل ويتتعجل في إجابة السائرين. كما أنه يرى أنه الفقيه كالعنقاء لا يوجد إلا نادراً^(٤)).

(١) المزي يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف: قذيب الكمال ، مطبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، جـ ١، ص (٢٥٩).

(٢) الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان: تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، دن، ١٣٧٤هـ، ص (٧٢٨).

(٣) محمد حسن موسى عقيل: مراجع سابق ، جـ ١، ص (٤٤٨).

(٤) عمر يوسف كمال: مراجع سابق ، جـ ١، ص (١٠٢ - ١٠١).

وقد أفاض العلماء على سعة علمه وفقهه وسرعة بديهته بل كان أعلم أهل زمانه. قال الشعبي: (ما رأيت من أهل تلك البلاد رجلاً قط أفضل من الحسن). بل كان علم الفقه أبرز ما نبغ فيه الحسن البصري. من ذلك قول قتادة: (ما جالست فقيهاً قط إلا فضل الحسن عليه). وقال بكر بن عبد الله المزني: (من سره أن ينظر إلى أفقه من رأينا فلينظر إلى الحسن)، بل كان طريق تفكيره الفقهي على نمط تفكير سيدنا عمر، وعبد الله بن مسعود حيث كان يلتمس مقاصد الشارع ويتجه نحوها في الأحكام.

قال مورق العجمي: قال لي أبو قتادة: (الزم هذا الشيخ – يقصد الحسن البصري – وخذ عنه، فوالله ما رأيت رجلاً أشبه رأياً بعمر بن الخطاب منه)^(١).

كما أنها نستطيع القول إنه رجل مجتهد وله مسائل فقهية اجتهادية – انفرد بها عمن عاش قبله ومن عاصره من الفقهاء منها:

– عدم وجوب الخداد على المعتدة وأجاز لها أن تبيت حيث شاءت، وأن تنزّن وتتطيب وتلبس المعصر.

– إيجاب الغسل على الحرم.

– قوله بأن القتل لا يجب إلا بشهادة أربعة رجال، كالزنا سواءً كان القتل قصاصاً أم حداً.

– ألا يقتل الذكر بالأنثى في العمد، بل تجنب في ذلك الديمة.

– يمنع المبارزة في الحرب ولو كانت بإذن الإمام.

– وجوب استئناف الطواف إذا قطعه لصلة الفريضة أو غيرها.

^(١) محمد رواس قلعي: مرجع سابق، جـ. ١، ص ص(٢٠-١٩) فما بعدها.

- وجوب إعادة السعي على من سعى جنباً، ما لم يتحلل من إحرامه بالحلق، فإذا حلق سقطت الإعادة.

- إيجاب المبيت بمعنى وعدم جواز التعجل لمن أذن عليه العصر وهو بمعنى.

- إيجاب الحلق في التحلل من الإحرام لمن كان حجه أول حجة.

- إيجاب الحجاب على الأمة كالمحرة إن هي زوجت، أو اتخذها سيدها لنفسه.

- وجوب إجراء الخلع أمام القاضي.

وخلاصة القول أن الحسن البصري كان إماماً مجتهداً في الفقه يُرجع إليه في معرفة الأحكام.

(٢) آثاره العلمية.

يذهب الإنسان ويفقى أثره خالداً، ما بقيت الحياة والأحياء والأوفىء لسلفهم الصالح الذين لا يألون جهداً وجهاداً في إبراز ما لسلفهم الصالح من فضل ومكانة علمية، يتجلى ذلك في خدمة الخلف للسلف ولا يكون إلا بالبحث والتنقيب عن مناقب أعلام الأمة وكذا ما تركوه من آثار علمية مكتوبة. والحق أن الحسن لم يودع علمه الكتب وحدها بل أودعه صدور الرجال، فقد خرجت مدرسته آلافاً من العلماء نفع الله بهم الأمة.

لقد ظل الحسن البصري قرابة نصف قرنٍ ينشر الدين حتى (مأْ الدنيا علماً وحكمًا وفقهاً، وكان من أجلّ ما ورثه للأجيال رقائقه التي ظلت على الأيام ترقيقاً للقلوب، ومواعظه التي ما زالت تدلّ التائبين على الله)^(١) وحيث توجه المؤلفات لم تكن بشكلها الحاضر إلا نادراً، وقد ظهر التدوين والتأليف بعد عصر الحسن، ولا يعتبر هذا عيباً للحسن فهو يمثل ابن عصره، كما أن تربيته تربية زهدٍ وبعدٍ عن الشهوة. وهناك مرويات تقول إنه كان كثير الكتابة، وكان عنده كتب مثل كتاب

^(١) عبد الرحمن رأفت باشا: صور من حياة التابعين، ط٥، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٨هـ، ص (١٠٧).

سمرة بن جندب^(١). قد نقلها لنفسه، وقال بعض تلاميذه: إن علم الحسن كان صحيفة مثل هذه وعقد الرواية بالإيمان والسبابتين^(٢)، ولكنه أحرقها قبل وفاته. روى ابن سعد في الطبقات عن سهل بن حصين بن مسلم الباهلي أنه أرسل إلى عبد الله بن الحسن البصري: (ابعث إلي بكتب أيك، فكتب إليه إنه لما أتقل عليه المرض قال: أجمعها لي – أي الكتب – قال فجمعها له، وما نdry ما يصنع بها، فأتيته بها، فقال للخادم: اسجر التنور – أي أحmine – ثم أمر بها فأحرقت غير صحيفة واحدة).

وكذا الكتب التي نقلها تلاميذه ، روى بن سعد أن حميد الطويل: أخذ كتب الحسن فنسخها ثم ردتها عليه، وكذلك فعل حفص بن سليمان^(٣)، أو الرسائل التي أرسلها إلى الأمراء والحكام وأصدقائه.

وعن الحسن قال: (ما قيد العلم بمثل الكتاب).

وعن ثما بن نجح عن الحسن: (أنه كان يكتب للناس العلم ويعرضه عليهم)^(٤). وبعد هذا كله بقي للحسن بعض المؤلفات ذكرها أصحاب الاختصاص، منها:

١. تفسير القرآن الكريم.

٢. نزول القرآن.

٣. عدد آي القرآن.

٤. فضائل مكة والسكن فيها.

٥. رسالة في القدر^(٥).

٦. أربع وخمسون فريضة.

^(١) عمر يوسف كمال: مراجع سابق ، جـ ١، ص(١٨٢).

^(٢) محمد بن سعد: مراجع سابق ١٥٩/٧.

^(٣) محمد بن سعد: مراجع سابق ، جـ ٧، ص(١٥٩).

^(٤) عمر عبدالعزيز الجغبير: مراجع سابق ، ص (١٨١).

^(٥) ابن النديم: الفهرست ، ص ص (٥٧-٥١).

انظر أيضاً فؤاد سوسكين: مراجع سابق ، جـ ٤، ص ص (١٠-١١).

□ طبع في الكويت ١٩٨٠ م بعنابة /سامي العناني ، وأعيد.طبعها ضمن كتاب قرة العين في فضائل الحرمين بعكة ١٤١٧ هـ.

٧. رسالة في التكاليف.
 ٨. شروط الإمامة.
 ٩. وصية النبي لأبي هريرة.
 ١٠. الاستغفارات المنقذة من النار.
 ١١. الأسماء الإدريسية.
 ١٢. رسالة كتبها إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز.
 ١٣. خطبة ذكرها الجاحظ في البيان والتبيين.
 ١٤. الأحاديث المتفرقة^(١).
- (٣) أقوال العلماء وأهل الفضل عنه.
- كثيرون هم الذين شهدوا للحسن البصري بسعة واتساع الثقافة ورسوخ قدمه في المعرفة والفضل، يأتي في مقدمتهم الصحابي الجليل: أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ قال: (سلوا مولانا الحسن فإنه قد سمع وسمعنا، فحفظ ونسينا)^(٢). وقال عمر بن سليمان كان أبي يقول: (الحسنشيخ أهل البصرة)^(٣). وقال الذهبي: (الحسن سيد التابعين في زمانه بالبصرة)^(٤). كما قال مطر الوراق: كان جابر بن زيد رجل أهل البصرة، فلما ظهر الحسن جاء رجل كأنما كان في الآخرة فهو يخبر عمّا رأى وعاين)^(٥).

^(١) فؤاد سوسكين: مرجع سابق، جـ٤، ص(١١، ١٣).

^(٢) ابن حجر العسقلاني: مرجع سابق، جـ٢، ص(٢٦٣-٢٦٤).

انظر أيضاً الإمام الذهبي: مرجع سابق، جـ٤، ص(٥٧٣).

^(٣) محمد حسن موسى عقيل: مرجع سابق جـ١، ص(٤٤٨-٤٧٧).

^(٤) الإمام الذهبي: مرجع سابق، جـ١، ص(٢٥٧).

انظر أيضاً محمد عبد الرحيم: مرجع سابق تفسيره، جـ١، ص(٢٥).

^(٥) البخاري: التاريخ الكبير، دار الفكر ، طبعة حديثة ، وطبعة المند حيدر آباد، د.ت، جـ٣، ص(٢٩).

انظر أيضاً محمد عبد الرحيم: مرجع سابق، جـ١، ص(٢٥).

كما وصفه تلميذه قتادة بقوله: (ما جالست فقيهاً قط إلا رأيت فضل الحسن عليه). وقال أئوب السختياني: (ما رأيت عيناي رجلاً قط أفقه من الحسن). كما قال بكر بن عبد الله المزني: (من سره أن ينظر إلى أعلم عالمٍ أدركتناه في زمانه فلينظر إلى الحسن فما أدركتنا الذي هو أعلم منه)^(١). وقال ابن سعد: (كان الحسن جاماً، عالماً، رفيعاً، فقيهاً، ثقةً مأموناً، عابداً، ناسكاً، كثير العلم، فصيحاً، حمilaً، وسيماً)^(٢).

قال الحاج بن أرطأة: (سألت عطاء بن أبي رباح، فقال لي عليك بذلك - يعني الحسن - ذلك إمام ضخم يقتدي به)^(٣). وقال العجلبي: (تابعى ثقة)، ورجل صالح صاحب سنة)^(٤). قال يونس بن عبيد: (رأينا الفقهاء، فما رأينا أحداً أكمل مروعة من الحسن). وقال يونس بن عبيد وحميد الطويل: (رأينا الفقهاء فما رأينا منهم أحداً أجمع من الحسن)^(٥). كما قال قتادة: (جالست الحسن اثنى عشرة سنة. أصلى معه الصبح ثلاث سنين، قال: ومثلي أخذ عن مثله)^(٦). وقال أبو قتادة العدوي: (عليكم بهذا الشيخ - يعني الحسن - فما رأيت رجلاً أشبه بعمر بن الخطاب منه)^(٧). وقال أبو عمر بن العلاء: (ما رأيت أفصح من الحسن والحجاج بن يوسف الثقفي. فقيل له: فائيهما كان أفصح قال: الحسن)^(٨).

^(١) ابن حجر العسقلاني: مرجع سابق، جـ ٢، ص (٢٦٥).

انظر أيضاً عمر يوسف كمال: مرجع سابق، جـ ٢، ص (١١١ - ١١٢).

^(٢) ابن سعد: مرجع سابق، جـ ٧، ص (١١٥).

انظر أيضاً مصطفى الحزن: مرجع سابق ص (٥٠).

^(٣) ابن حجر العسقلاني: مرجع سابق، جـ ٢، ص (٢٦٥).

^(٤) ابن سعد: مرجع سابق، جـ ٢، ص (٢٧٠).

انظر أيضاً محمد عبدالرحيم: مرجع سابق، جـ ١، ص (٢٥).

^(٥) ابن حجر العسقلاني: مرجع السابق، جـ ٢، ص (٢٦٥).

^(٦) ابن سعد: مرجع سابق، جـ ٧، ص (٢٩).

انظر أيضاً عمر يوسف كمال: مرجع سابق، جـ ١، ص (١١١).

^(٧) ابن سعد: مرجع سابق، جـ ٢، ص (٧٠).

انظر أيضاً عمر يوسف كمال: مرجع سابق، جـ ١، ص (٢٦).

^(٨) الإمام الذهبي: مرجع سابق، جـ ١٢، ص (٥٧٨).

انظر أيضاً عمر يوسف كمال: مرجع سابق، جـ ١، ص (١١٢).

وقال ثابت بن قرة: (كان الحسن من دراري النجوم علماً وتقى ولهذاً
وفصاحة؛ مواضعه تصل القلوب، وألفاظه تلتبس بالعقول، وما أعرف له ثانياً، قريباً
ولا مدانياً، كان منظره وفق مخبره، وعلاناته وزن سريرته، يجمع مجلسه ضروب الناس
وأصناف اللباس لما يوسعهم من بيانه، هذا يأخذ عنه الحديث، وهذا يلقن منه التأويل،
وهذا يسمع الحلال والحرام، وهذا يتبع في كلامه العربية، وهذا يجرد له المقالة، وهذا
يحكى الفتيا، وهذا يتعلم الحكم والقضاء، وهذا يسمع الموعظة)^(١).

وما قيل في الحسن من الأقوال شيء كثير، إلا أننا نكتفي بما سبق فللحسن
رحمه الله بلا شك شخصية راسخة القدم في مختلف العلوم والثقافات المعروفة في
عصره، من تفسير، وفقه، وحديث، وقراءات، ورقائق، ولغة، ونحوٍ وبيانٍ ومنطقٍ
وعلم كلامٍ.

^(١) ياقوت الحموي: مرجع سابق، جـ ١٦، ص(٩٦).

انظر أيضاً عمر يوسف كمال: المراجع السابق، جـ ١، ص(١١٣-١١٢).

انظر أيضاً محمد عبد الرحيم: مرجع سابق، جـ ١، ص(٢٧-٢٦).

ثامناً. مذهبة.

مذهب الحسن بن يسار البصري - رحمه الله - هو مذهب أهل السنة والجماعة، فهو العالم الفقيه، المفسر، المحدث المتكلم، الذي يعرف بواطن الأمور وظواهرها.

فالحسن البصري، يعتبر بحق قطب الرحمي لمختلف الفرق الإسلامية التي ظهرت في عصره، وقد احتلت لنفسها موقعاً في المجتمع إثر الفتنة بمقتل سيدنا عثمان بن عفان عليهما السلام وما بعدها، وقطب الرحمي ثابت دائماً والخلافات بين الفرق قائمة، والملل والنحل التي ساعدت على وجودها العقائد والأفكار التي وفدت من خارج الإسلام إلى الدولة الإسلامية يتفشى ويستفحلاً خطراً، ويشتد عودها، ومذهب أهل السنة مذهب السلف الصالح الذي يمثله الحسن البصري العلمية، فرضت عليه أن يكون ذا شأن تجاه هذه الفرق، وتلك الملل والنحل.

والحق أن كل فرقة من هذه الفرق تدعي نسبة الحسن البصري أنه منها وهذا بلا شك يؤكّد المزلة العلمية الرفيعة التي يتبعوها وكذلك ثقله في مجتمعه. فقد نسب إلى الحسن البصري - مثلاً - أنه كان عثمانياً، وهذا ليس بصحيح فهو لم يكن راضياً عما أصابه أو أخر حكم عثمان من تدخل الأمويين، وبنحده في نفس الوقت يجزع جزاً شديداً للنهاية التي أودت بحياة ثالث الخلفاء الراشدين.^(١)

كما نسب إلى الحسن أنه كان شيعياً، والواقع أنه كان يجل سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وما كل من يجل علياً بشيعي، وكذلك لم يكن أموياً؛ لأنَّه أنكر مقتل الحسن بن علي وبعض آل البيت معه، بل كان الحسن البصري يرى من خلال موقعه كسيد من سادات التابعين، فقد أنكر الفتنة التي جرت على الدولة الإسلامية الويالات.

وموقفه من الخوارج لا يحتاج إلى بيان، فهم يرون أن مرتکب الكبيرة كافر وقد نبتت هذه الفكرة أثر قبول الإمام على التحكيم، ولذا حكموا بكفره ومن معه

^(١) عمر عبدالعزيز الجغبير: مرجع سابق، ص ص(١٦٨-١٦٩).

على اعتبار أن التحكيم كبيرة من الكبائر، ومرتكب الكبيرة عند الحسن البصري منافق فحسب، فالناس عنده – كما يقول – ثلاثة أصناف: مؤمن، وكافر، ومنافق، فأمّا المؤمن فقد ألمحه الخوف وقومه ذكر العرض، وأمّا الكافر فقد قمعه السيف، وشرده الخوف، فأذعن بالجزية وسمح بالقرية، وأمّا المنافق ففي الحجرات والطرقات يُسررون غير ما يعلنون، ويضمرون غير ما يظهرون، فاعتبروا إنكارهم رهم بأعمالهم الخبيثة^(١).

أمّا المعتزلة: فالحسن البصري كان أول عالم يرد عليهم، وهم في الأصل انشقوا عليه واعتزلوا مجلسه وذلك عندما خالف واصل بن عطاء أحد تلاميذ الحسن في حكم مرتكب الكبيرة، بأنه ليس بمؤمن ولا بكافر، وقد تبعتها مسائل الصفات وكذا القدر، وأفعال العباد، والمترلة بين المترلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه هي الأصول الخمسة للمعتزلة الذي بنت هذه الفرقـة دعوتها عليها^(٢).

الحسن ووسمه بالقدرية.

الإيمان بالقدر معناه: أن كل شيء بقضاء الله وقدره، أي: إن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى، على صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها الله سبحانه وتعالى، وأن الله خالق أفعال العباد، قال تعالى: «إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ بِقَدْرٍ» * وقال تعالى: «وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا» *.

^(١) أحد إسماعيل البسيط: مرجع سابق، ص ص (١٤٣، ١٤٤).

انظر أيضاً مصطفى سعيد المحن: مرجع سابق، ص (٣٩) فما بعدها.

^(٢) عمر يوسف كمال: مرجع سابق ١٢٤/١،

انظر أيضاً عمر عبدالعزيز الجغير: مرجع سابق، ص (١١٦٩) فما بعدها.

سورة القمر: آية ٤٩.

سورة الفرقان: آية ٢.

وأن الله تعالى: يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشاؤه كوناً، ولا يرضاه ديناً^(١). هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، وهو ما عليه الحسن البصري، كما أسلفنا في مطلع البحث.

وقد تعددت الروايات والأقوال بنسبة الحسن للقدر ن VN فندها على النحو التالي:

١- فمنهم من يسند إلى الحسن القول بالقدر، روى الذهبي في سيرة عن إبراهيم أن الحسن تكلم في القدر^(٢). وقد أخذ بعض من تلمنذ عليه ذلك، بل تبنوا آراءه وعملوا على نشرها بين الناس. منهم قتادة^(٣)، وعمرو بن عبيد، وكان اعتمادهم على قول الحسن نفسه المروي عن داؤد بن أبي هند قال: (سمعت الحسن يقول: كل شيء بقضاء الله وقدره إلا المعاصي)^(٤).

وقول الحسن: (من زعم أن العاصي من الله جاء يوم القيمة مسوداً وجهه).

وقول أيوب تلميذ الحسن قال: (أنا نازلت الحسن في القدر غير مره حتى خوفته السلطان فقال: لا أعود بعد اليوم). وكذلك نقل عن أيوب قوله: (لا أعلم أحداً يستطيع أن يعيب إلا به). وقال حمد لأيوب: (لوددت أنه قسم علينا غرم وأن الحسن لم يتكلم به) قال أيوب: يعني القدر^(٥).

وكان عطاء بن يسار قاضياً ويرى القدر وكان يأتي الحسن هو ومعبد الجهنمي – وهذا من أول من ذاع بالقدر – فيسألان ويقولان يا أبا سعيد إن هؤلاء الملوك

^(١) أبو العز الحنفي: علي بن علي بن محمد : شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق عبدالله التركي وشحيب الأنوروطى ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤١٣هـ، ص(٦٩٧).

^(٢) محمد حسن عقيل موسى: مرجع سابق، جـ١، ص(٤٥٠).

^(٣) عمر عبدالعزيز الجغببر: مرجع سابق، ص (١٦٩).

^(٤) محمد بن سعد: مرجع سابق، جـ٧، ص(١٦٦٧).

— يريدون الأمويين — يسفكون دماء المسلمين، ويأخذون أموالهم، ويقول إن يجري الحال على قدر الله تعالى، فقال: (كذب أعداء الله)^(١).

وللحسن أقوال تؤكد إيمانه بالقدر، قال: (كيف يطمئن ويسكن من يؤمن بالقضاء والقدر؟ كيف يتعب في طلب الرزق، والتنصيب، ولمن يؤمن بالنار كيف يعمل الخطايا لا إله إلا الله محمد رسول الله)^(٢).

٢- وهناك من يسمه بالقول بالقدر ثم الرجوع عنه، روى الذهبي في سيره، (قال سليمان التيمي، رجع الحسن عن القول بالقدر)^(٣). وقد أسلفت بذكر نقل قول أئوب وقناة وإثبات رجوع الحسن عنه، الحق أن شهادة التلميذ لأستاذه تعد قوية، بالإضافة إلى أنهم كانوا يلزمون ابن سيرين ويكرهون القدرة والقول بالقدر، كما أنهم لو وجدوا وسيلة لنفي التهمة بغير هذه الردود، وقد خوفوا الحسن بالسلطان، لأن في عقيدة نفي القدر خطراً على سياسة السلطان، الذي كان على مذهب الجبرية؛ لأن في ذلك خدمة لأغراضهم، أو لكون السلطان وازعاً للحق، وقد قام بقتل أول من جاهر بالقدرة وهو عبد الجهي، والذي قتله الحاج في البصرة، والثاني غيلان الدمشقي، أمر بقتله هشام بن عبد الملك بدمشق^(٤).

٣- وأقوال تذهب إلى أن الحسن لم يقل بالقدر مطلقاً، وإنما أهل القدر يعدونه منهم لتزيد بذلك مكانتهم ويرتفع شأنهم، قال حميد الطويل: (قلت للحسن: من خلق البشر؟، فقال: سبحان الله هل من خالق غير الله جل وعز، خلق الخير والشر)^(٥).

وقال حميد: (قيل للحسن بمكة، يا أبا سعيد من خلق الشيطان؟ قال: سبحان الله! الله خلق الشيطان وخلق الخير والشر).

(١) أبو الفلاح عبدالحي بن الع vad الحنبلي: شنرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الآفاق ، بيروت ، د.ت، جـ ١، ص(١٣٨).

(٢) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مراجع سابق، ص (٦٧).

(٣) محمد حسن موسى عقيل: مراجع سابق، جـ ١، ص(٤٥٠).

(٤) أحمد إسماعيل البسيط: مراجع سابق، ص (١٤٤)، (١٤٥).

(٥) عمر يوسف كمال: مراجع سابق، جـ ١، ص(١٣١).

قال الحسن: قال النبي ﷺ: (القدرية محبوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودونهم، وإن ماتوا فلا تشهدونهم)^(١). وقال أيضاً: (من كذب بالقدر فقد كذب بما أنزل على محمد ﷺ)^(٢). وهناك رواية عن أئوب قال: (أدركت الحسن والله ما يقوله)^(٣). كما حذر الحسن البصري الناس عن معبد الجهنمي القدرية وقال: (إياكم ومعبد الجهنمي فإنه ضال مضل)^(٤). وقال الحسن: (من كفر بالقدر فقد كفر بالإسلام، إن الله قدر قدراً، إن الله خلق الخلق بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم الأرزاق بقدر، وقسم العافية بقدر، وأمر ونهى)^(٥). قال بن عون: كنت أسير بالشام، فناداني رجل من خلفي، فالتفت فإذا رجاء بن حبيبة، فقال: يا أبا عون! ما هذا الذي يذكرون عن الحسن؟ قال قلت: (إنهم يكذبون على الحسن كثيراً)^(٦). وقال حبيب بن الشهيد ومنصور بن زادان: سألنا الحسن عما بين «الحمد لله رب العالمين»، إلى «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»، ففسره بالإثبات. وكذلك قال حماد بن سلمة عن حميد: قرأت القرآن على الحسن البصري، ففسره على الإثبات، يعني إثبات القدر، وكان يقول من كذب بالقدر فقد كفر^(٧). قال عثمان البني: ما فسر الحسن آية قط إلا عن الإثبات^(٨).

^(١) أحمد بن الحسين بن علي البيهقي: سنن البيهقي الكبرى، مكتبة دار ال�از، مكة المكرمة، السعودية، ١٤١٤هـ. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، جـ ١٠، ص (٢٠٣). آخرجه أبو داود في كتاب السنة.

^(٢) علي بن أبي بكر الهيثمي: مجمع الروايد، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، ١٤٠٧هـ، جـ ٧، ص (٢٠٥).

^(٣) محمد بن سعد: مراجع سابق، جـ ٧، ص (٦٧).

^(٤) عمر يوسف كمال: مراجع سابق جـ ١، ص (١٣٤).

^(٥) المرجع السابق: جـ ١، ص (١٣١)، والأثر رقم ٩٩١ في تفسيره.

^(٦) المراجع السابق: جـ ١، ص (١٣٤).

انظر أيضاً عمر عبدالعزيز الجبیر: مراجع سابق ص (١٧٠).

سورة الفاتحة: آية (١).

سورة الناس: آية (١).

^(٧) ابن حجر العسقلاني: مراجع سابق، جـ ٢، ص (٢٧٠).

^(٨) عمر يوسف كمال: مراجع سابق، جـ ١، ص (١٣٥).

نتبين مما سبق اختلاف الأقوال عن قدرية الحسن أو القول به أو عدم القول.
وملتفحص لذلك يجعلها تدور لصالح الحسن كما أن القارئ لسيرته وحاله وما ينطوي
عليه هذا الشيخ من زهد وورع وقوة تمسكه بالآثار والاقتداء بالصحابة تفضي بنا إلى
الآتي:-

أولاً. إن السبيل لمن وسم الحسن بالقول بالقدر هو سؤال عطاء بن يسار،
ومعبد الجهنمي للحسن سؤال تصدق لا بد أن تكون الإجابة مثل: إجابة الحسن. فقد
وجها إليه سؤالاً جبارياً فأجابهم جواب نفي ولا أعتقد أن إجابة الحسن التي تنفي
الجبرية تجعله يحسب في القدر، قال صاحب الشدرات: (فتعلق عليه بمثل هذا
وأشباهه)^(١).

ثانياً. إن اختلاف الأقوال والروايات لدى الرواة أنفسهم، فها هو ذا أيوب
يروي قوله في القدر، ورجوعه عنه، بل هو نفسه يروي: (أدركت الحسن والله ما
يقوله)^(٢). ورواية بعض تلاميذه بأنه فسر القرآن بالإثبات، وقرعوا عليه التفسير بإثبات
القدر^(٣).

كما أني أسلفت قبل قليل بذكر رواية للحسن من كذب بالقدر فقد كفر،
بالإضافة إلى تحذيره ونصحه الشدريين من مجالسة أهل الأهواء والبدع^(٤).

وما يؤكّد إيمان الحسن بالقدر قول عمرو بن عبيدة: قال فيه سمعت الحسن
يقول: (كتب الله على قوم القتل فلا يموتون إلا قتلاً، وكتب على قوم الهدم فلا

(١) عمر يوسف كمال: مرجع سابق، جـ ١، ص(١٣٥).

(٢) محمد بن سعد: مرجع سابق، جـ ٧، ص(١٦٧).

(٣) محمد بن سعد: مرجع سابق، جـ ٧، ص(١٦٢).

(٤) عمر عبدالعزيز الجغبي: مرجع سابق ص (١٧١).

يموتون إلا هدماً، وكتب على قوم الغرق فلا يموتون إلا غرقاً، وكتب على قوم الحريق فلا يموتون إلا حرقاً، فقال له عثمان الطويل: يا أبا عثمان ليس هذا قولنا، قال عمرو: قد قلت أريد أن أخبرك برأي الحسن، فأنا أكذب على الحسن^(١).

كل هذا يلقي بين يدي البحث تصحيحاً لتلك التهمة، بالإضافة إلى أنه من المستبعد أن يخالف الحسن الذي تربى على يد الصحابة منهج السلف ومذهبهم في الإيمان بالقدر خيره وشره من الله عز وجل.

ثالثاً. من المعلوم أن القوانين والاصطلاحات المحددة والضوابط الدقيقة في التعريف قد وضعت بعد مضي الحسن، وجعلت مقاييس بعده بمدة طويلة، ولم تكن شائعة بعد في عصره، لذا فإنه من الإجحاف أن تنسب تلك الاصطلاحات والألقاب المستحدثة بعده إلى الحسن وتأویل كلامه وتحريفيه عن ظواهر الكتاب والسنة، فـهذا ليس منهجاً علمياً.

رابعاً. إن قلت إن بعض أقوال الحسن يمكن أن توجه على أنها موعظةٌ ونحوه، لا على أنها منهجٌ علميٌ ومبدأ عقديٌ، فقد كانت صيحات الحسن يقصد بها حفاظه للأمة من الضياع، والأخذ بيدها لطريق الصلاح والفلاح، ولا تعني بعض كلماته وإن دل ظاهرها بالقول بنفي القدر، والواقع أنها تعالج واقعاً عملياً انغمست به الأمة، فالMuslimون يبررون وقوعهم في الذنوب بالقدر، وعلى اعتبار الحسن عالماً دينياً تصدى لهذه الظاهرة بالنصوص التي تؤدي هذا المعنى التربوي، وإن كانت هذه النصوص مقالة خصبةً لاستغلال القدرة، فلا يعني استشهاد الحسن البصري في بعض الحادثات بنصوص تؤيد القدرة أنه قدرى، وقبل هذا كله فالحسن عالم أمة سلفي المعتقد بل هو صاحب حديثٍ وقدوةٍ، ولعل للقدوة أكبر الأثر في حياة الحسن العلمية.

^(١) عمر عبدالعزيز الجبير: مرجع سابق ص (١٧١).

(وليس للحسن البصري آراء خاصة مخالفة لأهل السنة والجماعة^(١)).

يفهم من تلك الملاحظات أنها لن تقلل من قيمة الحسن ادعاء القدرة له، كما لم يرفعه ادعاء الصوفية، فللحسن ظروفه النفسية والاجتماعية، وكذا العصرية، وهي بلا شك ظروف خاصة فالواجب أن تناقش الأمور التي تخصه تحت هذه الظروف.

تاسعاً. أسلوبه ومواعظه وحكمه وفتواه.

ما لا يختلف فيه هو أن أسلوب الحسن البصري كان رفيع المستوى قوي العبرة ثابت القدم، لقد كان واعظاً مؤثراً، وخطيباً مصقاً، ومتكلماً أخاذأً ومتحدثاً حكيمأً، والأدل على ذلك أن كتب الأدب توشي كتبها بنقل كلامه ومواعظه، بل تعد كلامه في الطبقة الرفيعة في البلاغة والأسلوب والمكانة العالية من الفصاحة.

قال أبو الحسن الندوبي: (ومواعظ الحسن البصري تجمع بين القوة والسهولة التي عرف بها كلام عهد الصحابة وهي تدور غالباً حول قصر الحياة، وغدر الدنيا، وخلود الآخرة، والبحث على الإيمان والعمل الصالح، والتقوى والخشية، والتحذير من غرور النفس. ولا شك أن المجتمع الذي افترسته المادية واستحوذت عليه الشهوات، وأصيب بالإغراء في الترف، والإمعان في الأماني، كان في حاجة ملحة إلى مثل هذه الموعظ التي تكشف الغطاء عن العيون، وتمس القلوب، وكان يصور في أكثر موعظه عصر الصحابة وما اتسم به من أخلاق وصفات ويقارن بين عصرهم وعصره، ويوصف التدهور الذي أصيب به المجتمع الإسلامي في الإيمان والأخلاق، وكان إذا وصل إلى هذه النقطة أثار الأحزان، فأهاج الوجدان، ومواعظه مثال جليل للنشر البليغ والأدب الرفيع وموضع دراسته الأديب والناقد)^(٢).

وحقاً لقد كان الحسن البصري صاحب أقوال بليغة وحكم سائرةً ومواعظ تخترق القلوب وتذيب النفوس عذوبةً ودلالةً حيث كان لفصاحته تأثير يشبه بكلام

^(١) عمر فروخ: مرجع سابق، ص (٢١٨).

^(٢) أبو الحسن الندوبي: مرجع سابق، ص (٧٢).

النبوة، ولقد ضمنت أقواله وحكمه ومواعظه كتب الأدب والترجم والسير كان يقول: (الواعظ من وعظ الناس بعمله لا بقوله)، وكان ذلك شأنه إذا أراد أن يأمر بشيء بدأ بنفسه فعله، وإذا أراد أن ينهى عن شيء انتهى عنه^(١).

قال هشام بن حسان: (سمعت الحسن يحلف بالله ما أعز أحداً الدرهم إلا أذله الله)^(٢).

كما كان يقول: (أيها الناس إني أعظمكم ولست بخيركم ولا أصلحكم ولأني لكثير الإسراف على نفسي غير محكم لها، ولا حاملها على الواجب في طاعة ربها ولو كان المؤمن لا يعظ أخاه إلا بعد إحكام أمر نفسه لعدم الوعظ، وقل المذكر، ولما وجد من يدعوا إلى الله عز وجل ويرغب في طاعته، وينهى عن معصيته، ولكن في اجتماع أهل البصائر ومذاكرة المؤمنين بعضهم بعض حياة لقلوب المتقيين ودكار من الغفلة وأمان من النسيان، فالزموا عافاكم الله مجلس الذكر، فرب كلمة مسومة ومحترِّ نافع، اتقوا الله حق تقاته ولا تموتون إلا وأنتم مسلمون).

أيها الناس أصبّتكم والله في أجل منقوصٍ، وعملٍ محضٍ محروس، الموت فوق رؤوسكم والنار بين أيديكم.

أيها الناس إنما لأحدكم نفسٌ واحدةٌ إن بحث من عذاب الله لن يضرها من هلك، وإن هلكت لم ينفعها من نجا، فاحذرُوا عافاكم الله التسويف فإنه أهلك من قبلكم، وإنكم لا تدرُون متى تسيراون؟ ولا إلى أي شيء تصيرون؟ فرحم الله عبداً عمل ليوم معاده قبل نفاذ زاده.

وكان يقول ابن آدم: (إن المؤمن لا يصبح إلا خائفاً وإن كان محسناً ولا يصلح أن يكون إلا كذلك؛ لأنَّه بين مخافتين ذنبٌ مضى لا يدرِي ما الله صانعُ فيه؟ وأجلٌ

^(١) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مراجع سابق, ص (١٢٣).

^(٢) مصطفى سعيد الخن: مراجع سابق, ص (٢٩٧).

قد بقي لا يدرى ما الله مبتليه فيه؟ فرحم الله عبداً فكر واعتبر، واستبصر فأبصر، ونهى النفس عن الهوى).

وقال أيضاً: (ما في جهنم وادٍ، ولا سلسلةٌ، ولا قيدٌ، إلا واسم صاحبه مكتوب عليه ما حكم في القضاء، فكيف إن اجتمع كل ذلك على عبدٍ، اتقوا الله أيها الناس واحذروا مقتنه، ولقت الله أكبر لو كانوا يعلمون)^(١).

فتاواه:

انفرد الحسن عن سابقيه ومن عاصره من الفقهاء بعض الاجتهادات الفقهية

والتي منها:

- أنه انفرد بعد وجوب الحداد على المعتدة، وأجاز لها أن تبيت حيث شاءت، وتتزين وتتطيب وتلبس المعصفر.
- أنه انفرد بإيجاب الغسل على المحرم.
- أنه انفرد بمنع وطء الأمة الكافرة - كتابية كانت أو غير كتابية - بملك اليمين حتى تسلم.
- أنه انفرد بالقول بأن القتل لا يجب إلا بشهادة أربعة رجال، كالزناء، سواء كان القتل قصاصاً أم حداً.
- أنه انفرد بوجوب استئناف الطواف إذا قطعه لصلة الفريضة، وغيرها.
- أنه انفرد بإيجاب الحلق في التحلل من الإحرام لمن كان حججه أول حجة.
- أنه انفرد بإيجاب الحجاب على الأمة كالمحرة، إن هي زوجت أو اتخذها سيدها لنفسه.
- أنه انفرد بوجوب إجراء الخلع أمام القاضي^(٢).

(١) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مرجع سابق ص ١٢٥ - ١٢٦.

(٢) محمد رواس قلعجي: مرجع سابق، جـ ١، ص ٢١ - ٢٢.

هذه بعض انفراداته الفقهية التي تدلنا على رسوخ قدم الحسن وإمامته في الفقه
ولمن أراد المزيد فعليه الرجوع إلى المصادر التي روت أخباره^(١).

وإذا كان البحث قد انتهى في هذا الفصل إلى إبراز حياة الحسن البصري
ومكانته وآثاره العلمية، على النحو الذي تمت مناقشته، فإنه بذلك قد أجاب عن
السؤال الأول من البحث، ما طبيعة حياة الحسن ومكانته وآثاره العلمية؟

^(١) أحمد إسماعيل البسيط، مراجع سابق، ص (١٤٦)
وأيضاً، جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي، مراجع سابق ، ص (٦٨).

الفصل الثالث

(ظروف العصر الذي عاش فيه الحسن البصري).

مخطط الفصل.

(أولاً). الحياة السياسية.

(ثانياً). الحياة الاقتصادية.

(ثالثاً). الحياة الاجتماعية ومظاهرها.

(رابعاً). الحياة الثقافية والتربيوية.

الفصل الثالث

(ظروف العصر الذي عاش فيه الحسن)

ولد الحسن في وقت تميز بتقلب كثير من الأمراء والحكام. وفي سبيل الكشف عن أثر هذا الإمام العظيم ولتعرف مواطن شخصيته، كان لابد أن نعرف نبذة عن عصره بكل نواحيه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربية فإن عصر الإنسان صانعه وظروف عصره لابد أن تحكم عليه^(١).

(أولاً). الحياة السياسية.

استقرت الحياة في عهد رسول الله ﷺ وفي عهد أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وانتشرت الهدایة في الأرض، حيث تجاوزت الدعوة الإسلامية آفاق الجزيرة العربية، والفتوات الإسلامية تواصل انتصارها على دولتي القياصرة والأكاسرة بعد أن تمت السيطرة الكاملة على الجزيرة العربية بالانتهاء من حروب الردة. لكن هذا الاستقرار السياسي للدولة بدأ يختل توازنه في أواخر عهد عثمان رضي الله عنه عام خمسة وثلاثين من الهجرة. لقد حاصر عثمان رضي الله عنه نحو ثمانين يوماً ثم قتل صابراً ثانية أيام التشريق وكانت سن الحسن البصري يومئذ أربعة عشر عاماً^(٢). وقد عاصر الحسن البصري أحداث هذه الفتنة، وشهد مقتل عثمان مما يدل على ذلك قوله: (رأيت يوم مقتل عثمان ذراع امرأة من أزواج النبي ﷺ قد أخرجت من بين الحائط والستر وهي تنادي. (ألا إن الله ورسوله بريئان من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيئاً). فيكون بهذا

^(١) عمر الحبشي: مرجع سابق، ص (١١).

^(٢) عمر فروخ. مرجع سابق، ص (٢١٦).

قد شهد أول فتنة ظهرت في عهد الصحابة مما كان له أكبر الأثر في نفسه^(١). وبعد مقتل عثمان أصبحت الحالة تقتضي وجود خليفة قوي يعيد الأمور إلى نصابها، فلما مضت خمسة أيام على وفاته اجتمع كثير من أهل المدينة وأتوا علياً وأخذوا يلحون عليه في قبول إمارة المسلمين فقبلها خشية الفتنة لكن ما لبث أن لقي معارضه قوية من بني أمية بالشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان^(٢) فكانت خلافة عليّ بداية لمرحلة جديدة من القلق السياسي وبعد ستة أشهر من خلافة عليّ حدثت موقعة الجمل المشهورة. وكان النصر لجيش عليّ وكان الثمن باهظاً حيث بلغ عدد القتلى من المسلمين بين ثلاثة وثلاثين ألفاً وبين أحد عشر ألفاً وكان من بين القتلى من أنصار عائشة الصحابيyan الجليلان: طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه والزبير بن العوام رضي الله عنه.

وفي سنة ست وثلاثين، وبعد بضعة شهور من موقعة الجمل^(٣) ولم تكن دماء المسلمين قد جفت بعد، حدثت معركة صفين بين جيش معاوية وجيش عليّ وقد ذكرت كتب التاريخ أن عدد القتلى من الفريقين بلغ ثلاثة وسبعين ألفاً وكان من القتلى عمار بن ياسر^(٤) وفي تلك المعركة شعر معاوية بالهزيمة فرفع المصحف مطالباً بحكم كتاب الله فقبله جيش عليّ رضي الله عنه.

ولم تقف المأساة عند هذا الحد بل تجاوزته حيث انقسم الناس أقساماً وتصدعت الوحدة فرقة رضيت بالتحكيم، وفرقة رفضته فأصبح الناس فئات: الخوارج الذين رفضوا التحكيم، والشيعة الذين وقفوا مع علي وشاعواه ونصروه وأهل الشام مع معاوية ، وجمهور المسلمين الذين كان فيهم البدريون والعلماء والمفتون^(٥).

وفي سنة أربعين من الهجرة أستشهد عليّ على يد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي وبعدها سار الحسن بن علي بجيشه لمقابلة معاوية في الشام لكنه لم يلبث أن

^(١) عمر الجغبي: مرجع سابق، ص (١١).

^(٢) محمد عبد الرحيم: مرجع سابق، جـ ١، ص (٤٨).

^(٣) ابن سعد: مرجع سابق، جـ ٣، ص ص (٢٥٩ - ٢٥١).

^(٤) أحمد إسماعيل البسيط: مرجع سابق ص (٢٠).

^(٥) عمر عبد العزيز الجغبي: مرجع سابق ص (١٤).

غير موقفه وأثر حقن دماء المسلمين وتنازل عن طلب الخلافة لمعاوية ومضت أعوام عشرون في هدوء نسي إلى أن وقعت معركة كربلاء بين جيش الحسين بن علي وجيشه يزيد بن معاوية وفيها سالت دماء المسلمين هدراً واستشهد الحسين بن علي وعد من آل البيت وبعد عامين وقعت معركة الحرة حيث خرج أهل المدينة على يزيد فجهز لهم جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة فقتل أولاد المهاجرين والأنصار من خيرة البقية من أصحاب الرسول ﷺ ثم توالت المعارك بين المسلمين وكانت الكوفة آنذاك مكان ثورات متصلة خلال العهد الأموي وقد كان المختار بن أبي عبيد قائداً لثورتها دون أن تكون له أهداف واضحة وكثرت الصراعات بين خلفاء بين أمية مما كان له الأثر الأكبر في سقوط الدولة الأموية^(١).

لقد اختلف المسلمون نظرياً على منصب الخلافة:

(قال أهل السنة والجماعة: (من المهاجرين والأنصار، أهل مكة والمدينة) إن الخلافة منصب دنيوي، ولكن لا بد منها لإقامة أمور الدين والدنيا، وال الخليفة ينتخب انتخاباً، فمن أجمع أهل الحل والربط عليه وجبت طاعته على المسلمين، وقال الخوارج: الخلافة منصب دنيوي غايته إقامة الأحكام، فإذا اتفق المسلمون على إقامة الأحكام لم يبق حاجة إلى نصب خليفة، أما الشيعة فقالوا: الإمامة (الخلافة) منصب ديني، وتكون بالنص والتعيين، في علي بن أبي طالب وأبنائه من فاطمة بنت محمد عليه السلام، وتشعبت الآراء السياسية فيما بعد، واحتللت الآراء الدينية، ونمّت في ذلك الأقوال حتى أصبح للخلافة نظريات دينية وقومية وسياسية ليس فيها شيء من الدين، ولكن الجدال والقتال كثراً حولها)^(٢).

وهكذا كانت الحالة السياسية في الدولة الإسلامية منذ مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى بداية عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بذلك يكون الإمام الحسن

^(١) محمد عبدالرحيم: مرجع سابق ص (٥١).

^(٢) عمر فروخ: مرجع سابق، ص ص (٢٠٦ - ٢٠٧).

البصري شهد الأحداث الجسام التي هزت كيان الأمة الإسلامية ولكن التاريخ لم يذكر أن له موقفاً فيها، لقد كان مشغولاً بالعلم والزهد.

وبرغم هذا الوضع إلا أن الفتوحات لم تتوقف فقد فتحت الأندلس وأفريقيا وغزا المسلمون الترك وعديداً من بلاد الفرس، كما أن الحركة العلمية لم تتأثر بل على العكس فإن الخصومات السياسية التي كان طرفاً فيها الشيعة والخوارج والمعزلة أدت إلى تشيشط الحركة العلمية وازدهارها^(١). (واعصر الحسن فتح السندي الهندي وشمال أفريقيا والأندلس وغزو الترك في زمن معاوية)^(٢)

موقف الحسن البصري من الحجاج ورجال الحكم:

الحسن البصري - رحمه الله - ابن الرعيل الأول فكراً ومنهجاً وعملاً، ذو حنكة وبصيرة ورؤى واضحة مدركة للأمور فموقفه مع الحجاج كان موقفاً متحرزاً فيه السلامة والتوجاه، والبراءة للذمة كارهاً للفتن.

كما كان كارهاً للخروج من غير توان، أو تقصير بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث كان محتسباً، أمراً، ناهياً، عالماً مرشدًا، إماماً، داعياً للخير عملاً به جمع أطراف الحكمة وعمل بما وقف مواقفها فكان ناصحاً أميناً مخلصاً لولاة الأمر. كان لسان العامة عند الحكام، ولسان الحكام عند العامة، لا يرى الفتنة ولا يعرض عليها.

قال حماد بن زيد عن يونس: كان الحسن - والله - من رؤوس العلماء في الفتن والدماء^(٣). فنجد له يكره الفتن وينكرها ويفر منها، أخرجه ابن الأشعث للقتال عنوة، فخرج فلما غفلوا عنه ألقى بنفسه في بعض تلك الأهوار حتى يخافهم وكادت هذه الحادثة تودي به ذلك لأنه خرج مكرهاً ولم يمانع فهرب^(٤).

^(١) أحمد إسماعيل البسيط: مرجع سابق ص (٢٢).

^(٢) يحيى بن إبراهيم اليحيى : الخلقة الراشدة والدولة الأمورية من فتح الباري، جمعاً وتوثيقاً ، ط١، دار المجرة ، ١٤١٥هـ ، ص (٧٢).

^(٣) محمد بن سعيد مرجع سابق ، جـ ٧، ص (١٦٣).

^(٤) إحسان عباس: الحسن البصري سيرته وشخصيته، دار الفكر العربي، د، ١٩٥٢ ص (٣٩).

كما كان الحسن جريئاً في قول الحق صادعاً به شجاعاً برغم عنف وقساوة الحكومات والولاة، وأخذهم بالظنة والشيبة، وسرعة تورهـم في القضاء على الخصوم.

فقد روى ابن حلكان لما ولـي عمر بن هبيرة الغزارـي العـراق، وأضيفت إليه خراسان وذلك في أيام يـزيد بن عبدـاللهـ، استدعي الحـسن البصـريـ، ومـحمدـ بن سـيرـينـ، والـشـعـيـ وـذـلـكـ فيـ سـنـةـ ثـلـاثـ وـمـائـةـ فـقـالـ لـهـمـ: إـنـ يـزـيدـ خـلـيـفـةـ اللهـ اـسـتـخـلـفـهـ عـلـىـ عـبـادـهـ، وـأـخـذـ عـلـيـهـمـ الـمـيـثـاقـ بـطـاعـتـهـ، وـأـخـذـ عـهـدـنـاـ بـالـسـمـعـ وـالـطـاعـةـ، وـقـدـ وـلـافـيـ مـا تـرـوـنـ، فـيـكـتـبـ إـلـيـ بـالـأـمـرـ مـنـ أـمـرـهـ فـأـقـلـدـ مـاـ تـقـلـدـ مـنـ ذـلـكـ الـأـمـرـ فـمـاـ تـرـوـنـ؟ـ قـالـ اـبـنـ سـيرـينـ وـالـشـعـيـ قـوـلـاـ فـيـهـ تـقـيـةـ، قـالـ اـبـنـ هـبـيرـةـ: مـاـ تـقـولـ يـاـ حـسـنـ؟ـ فـقـالـ: يـاـ اـبـنـ هـبـيرـةـ خـافـ اللـهـ فـيـ يـزـيدـ، وـلـاـ تـحـفـ يـزـيدـ فـيـ اللـهــ. إـنـ اللـهـ يـمـنـعـكـ مـنـ يـزـيدـ، وـإـنـ يـزـيدـ لـاـ يـمـنـعـكـ مـنـ اللـهــ، وـأـوـشـكـ أـنـ يـعـثـ إـلـيـكـ مـلـكـاـ فـيـزـيلـكـ عـنـ سـرـيرـكـ، وـيـخـرـجـكـ مـنـ سـعـةـ قـصـرـكـ إـلـىـ ضـيقـ قـبـرـكـ، ثـمـ لـاـ يـنـجـيـكـ إـلـاـ عـمـلـكــ. يـاـ اـبـنـ هـبـيرـةـ!ـ إـنـ تـعـصـ اللـهـ إـنـماـ جـعـلـ اللـهـ هـذـاـ السـلـطـانـ نـاصـرـاـ لـدـيـنـ اللـهـ وـعـبـادـهــ، فـلـاـ تـرـكـنـ دـيـنـ اللـهـ وـعـبـادـهـ لـسـلـطـانـ اللـهــ؛ـ فـإـنـهـ لـاـ طـاعـةـ لـمـخلـوقـ فـيـ مـعـصـيـةـ الـخـالـقــ، فـأـجـازـهـمـ اـبـنـ هـبـيرـةــ، وـأـضـعـفـ جـائـزةـ الـحـسـنــ، فـقـالـ الشـعـيـ لـابـنـ سـيرـينـ: سـفـسـفـنـاـ لـهـ فـسـفـسـفـ لـنـاـ^(١).

وروى ابن سعد في طبقاته، بإسناد عن مسلم بن أبي الذيـالـ، قال: سـأـلـ رـجـلـ الـحـسـنـ وـهـوـ يـسـمـعـ وـأـنـاسـ مـنـ أـهـلـ الشـامـ فـقـالـ: لـاـ تـكـنـ مـعـ هـؤـلـاءـ وـلـاـ مـعـ هـؤـلـاءــ، فـقـالـ رـجـلـ مـنـ أـهـلـ الشـامـ: وـلـاـ مـعـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ يـاـ أـبـاـ سـعـيدـ؟ـ فـغـضـبـ، ثـمـ قـالـ بـيـدـهـ فـخـطـرـهـاـ، ثـمـ قـالـ وـلـاـ مـعـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ يـاـ أـبـاـ سـعـيدـ، نـعـمـ!ـ وـلـاـ مـعـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ^(٢).

^(١) أبو الحسن الندوـيـ: مـرـجـعـ سـابـقـ، جــ1ـ، صـ(٧٤ـ).

^(٢) محمدـ بنـ سـعـدـ: مـرـجـعـ سـابـقـ، جــ7ـ، صـ(٢١٩ـ).

(١) الحسن و معاوية.

الحسن ربي نفسه تربية روحية وزهدية أخذت فترة طويلة وكذا مواقفه العملية والاجتماعية والسياسية. فصلاته بمعاوية أميراً للمؤمنين ضمت المصادر بها فلم نشر إليها إلا بنتفٍ صغيرة وبصورة إجمالية، منها رسالته إلى معاوية الذي يقول فيها: (أما بعد، فإن الله بعث محمداً صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمةً للعالمين وكافة للناس أجمعين ليذر من كان حياً ويحقق القول على الكافرين^(١)). فلعل اشتغال الحسن بالغزو حلال تلك المرحلة شغله عن ذلك.

(٢) الحسن و الحجاج.

هذان رجلان عاشا في مدينة البصرة يمثلان جانبيين من الحياة الإسلامية في تلك الحقبة.

فالحسن مثل جانب الخير والصلاح بمختلف أبعاده، والحجاج يمثل جانب الشر بمختلف أبعاده، فالكلمة الطيبة والسلوك السوي والدعوة بالحكمة والوعظة الحسنة تجده ذلك كله لدى الحسن البصري. وحدة السيف وغضبه، والجرأة على الله لدى الحجاج الذي أعمته الدنيا وزخرفها وأغواه الملك والسلطان.

كان كلاهما من البلاغة والفصاحة في مكان ساحق، وقد سبق القول أن أوضح من في البصرة الحسن والحجاج، والحسن أوضح منه.

كما كان للحسن مع الحجاج مواقف جريئة تدل على شجاعته فلقد كان - رحمه الله - لا يخشى في الله لومة لائم، من ذلك: انتقاد الحسن الظلم بشكل عام وعلى وإكثاره من ذلك، إلا أنه يقصد في كثير من الأحيان الحجاج، والحجاج يفهمه ويغضب ويستدعيه وينصحه بالسكتوت ويطلب منه أن يكتف عن ذلك ويختتم قوله: (أما إنا على ذلك لا نتهم نصحتك)^(٢).

^(١) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندى: صبح الأعشى، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، مصر، د.ت، جـ ١، ص (١٩٠).

^(٢) أبو حامد الغزالى: مراجع سابق، جـ ٣، ص (٢٨٣).

وروى ابن الجوزي موقفاً آخر جاء فيه: سمع الحسن - رحمه الله - الحجاج يخطب على منبر البصرة، ويقول للناس: (إن الله تبارك وتعالى قد كتب على الدنيا
الفناء وعلى الآخرة البقاء، فلا فناء لما كتب عليه البقاء، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء،
فلا يغرنكم شاهد الدنيا على غائب الآخرة، واقهروا طول الأمل بقصر الأجل). فقال
الحسن: عجباً للحجاج! كيف عرف ما عرف ثم صرف عن الحق كما صرف)^(١).

وهناك موقف آخر: حيث روى أن الحجاج بن داراً بواسطه وأحضر الحسن
ليراهما، فلما دخلها قال: (الحمد لله إن الملوك ليرون لأنفسهم عزاً وإنما لترى فيهم كل
يوم عيراً. يعمد أحدهم إلى قصر فيشيده، وإلى فرش فينحده، وإلى ملابس ومراكب
فيحسها، ثم يحف به ذباب طمع وفراش نار، وأصحاب سوء. فيقول انظر ما صنعت
فقد رأينا أيها المغرور فكان ماذا يا أفسق الفاسقين؟ أما أهل السموات فقد مقتوك،
وأما أهل الأرض فقد لعنوك، بنيت دار الفناء وخربت دار البقاء، وغرت في دار
الغرور لتذل في الحبور، ثم خرج وهو يقول: إن الله سبحانه أخذه عهده على العلماء
ليبينه للناس ولا يكتمنه، وبلغ الحجاج ما قال فاشتد غضبه، وجمع أهل الشام.
فقال: أيشتموني عبيد أهل البصرة وأنتم حضور، فلا تنكرؤن! ثم أمر بإحضار الحسن،
فجاء وهو يحرك شفتيه بما لم يسمع حتى دخل على الحجاج. فقال: يا أبا سعيد أما
كان لإمارتي عليك حق، حين قلت ما قلت. فقال: يرحمك الله أيها الأمير: إن من
خوفك حتى تبلغ أمنك أرفق بك، وأحبّ فيك من أمنك حتى تبلغ الخوف، وما
أردت الذي سبق إلى وهمك، والأمران بيديك العفو والعقوبة. فافعل الأولى بك وعلى
الله فتوكل وهو حسينا ونعم الوكيل. فاستحيا الحجاج منه واعتذر إليه وأكرمه
وحياه.

والواقع أن الحسن كان موقفه موقف الناصح الأمين، الذي لا يدخل
بالنصيحة، على مختلف الظروف والأحوال، والركيزة في ذلك الحكمـةـ والوعظـةـ
الحسنةـ، إذ كان كثيراً ما ينصح الحجاج: مرة بالتصريح وأخرى بالتلبيح، بل كان

^(١) الإمام ابن القيم: مرجع سابق، ص ص (٥٧).

يعرض بالحجاج في خطبه، منكراً عليه نفاقه، ومخالفة قوله لعمله، فيقول: (ما زال النفاق مقموعاً حتى عمَّ هذا عمامة، وقد سيفاً)، ويقول: (يتلو كتاب الله على خم وجذام، ويعظ وعظ الأزارقة، ويطش بطش الجبارين). ويقول: (اتقوا الله فإن عند الله حجاجين كثيراً)^(١).

وبرغم ما فشى من ظلم الحجاج إلا أن الحسن كان لا يدع بالخروج عليه ولم يحرض أحداً بل كان ينصح بعدم الخروج أو الدعاء. وقد سأله جماعة من القراء في قتال الحجاج حيث قالوا: يا أبا سعيد: ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام وأخذ المال وترك الصلاة و فعل و فعل، فقال الحسن: (أرى إلا تقاتلوه فإنهما إن تكون عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكם، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وحده وهو خير الحاكمين)^(٢).

وحقيقة الأمر أن الحجاج كان يعتقد أن بطيشه بالحسن يعني زيادة غضب المجتمع عليه وبالتالي ضياع ملكه، ولهذا كان بينه وبين دماء الحسن حاجز اسمه زوال الملك. وأنه تم موقفه بموقف رواه صاحب الإحياء وهو موقف جريء. فيما روي عن ابن عائشة أن الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة، فدخلنا عليه ودخل الحسن - رحمه الله - آخر من دخل فقال الحجاج: مرحباً بـأبي سعيد، إلى إلى، ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره فقد عد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذا ذكر علي بن أبي طالب رض فنال منه ونلت منه مقاربة له ومن مأمن شره، والحسن ساكت عاض على إهامه. فقال: يا أبا سعيد: مالي أراك ساكتاً؟ قال: ما عسست أن أقول؟ أخبرني بربك في أي تراب؟ قال سمعت الله عزوجل يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِيلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِتَعْلَمَ مَنْ يَتَبَعِّدُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقُلِبُ عَلَى عَقِبِيهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾

^(١) أبو عثمان عمر بن بحر الماجستظ: البيان والتبيان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٩٦٠، ص (١٤٧).

^(٢) محمد ابن سعد: مراجع سابق، ج ٧، ص (١٦٩).

انظر أيضاً عمر عبدالعزيز الجعفري: مراجع سابق ص (١٠١).

إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ.

فعليه من هدى الله من أهل الإيمان، فأنا أقول: ابن عم النبي ﷺ وختنه على ابنته - رضي الله عنها - وأحب الناس إليه، وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله، لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه، ولا يحول بينه وبينها. وأقول إن كانت لعلي هنات، فالله حسبي. والله ما أجد فيه قولًا أعدل من هذا. فتغير وجه الحاج وقام من السرير مغضباً، فدخل بيته وخرجنا. قال عامر الشعبي: فأخذت بيد الحسن فقلت: يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره، فقال: إليك عني يا عامر، يقول الناس: عامر الشعبي عالم أهل الكوفة. هل اتقيت إن سئلت فصدقت. أو سكت فسلمت. قال عامر: يا أبا سعيد، قد قلتها وأنا أعلم بما فيها. قال الحسن: فذا أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة^(١).

(٣) موقف الحسن من ثورة ابن الأشعث.

رفض الحسن البصري - رحمه الله - الاشتراك بثورة ابن الأشعث، الذي خرج على الدولة الأموية وظلم وطغى الحاج بن يوسف بالرغم من خروج عامة أهل البصرة وخاصتهم مثل: عطاء، ومجاهد، وسعيد بن جبير، حتى سعيد الأخ الأصغر للحسن كان ضمن الخارجين بل كان هذا يرى الخروج ويبحث الناس عليه. وبالرغم من كل ذلك لم يخرج الحسن بل نهى عن الخروج على الدولة، بل على ظلم الحاج نفسه.

ولم يكن عدم خروج الحسن جنباً وهو الذي يملك الشجاعة النفسية والبدنية وكذا العلمية، كما أنه لم يكن جنباً في الحاج، وقد سبق موقف الحسن من الحاج كذلك لم يكن عدم خروجه رغبة في علو منزلته عند الحكومة فهو من الزهد يمكن سامق راغباً في الآخرة تاركاً الدنيا خلف ظهره، بل إن اشتراك الحسن وخروجه يعتبر

* سورة البقرة: آية (١٤٣).

(١) أبو حامد الغزالي: مرجع سابق، جـ ٢، ص (٣٤٦).

فرصة لشهرته عند الناس وال العامة إن أراد ذلك، فهو أسلوب الوصو利ين الذين يستغلون مشاعر الناس وعواطفهم ورغبتهم في المحالفة الذي يكون بالتالي شهرة لمن أراد المحالفة. فلم إذا لم يشترك الحسن بهذه الثورة وهذا الخروج؟

الإجابة سهلة عند من سير غور نفسية الحسن البصري وخبر منهجه وأسلوبه الذي اخذه مساقاً يسير عليه. فالحسن - رحمه الله - كان يرى عدم الخروج على الولاة وإيكال أمرهم إلى الله فهو المحاسب وليس الإنسان، ومهما يكن من شدة جورهم وظلم الظالم فيهم، فإن الله يفعل ما يريد ويختاره. بل كان الحسن يتمثل بقوله تعالى: «وَلَا تَحْسِنَ اللَّهُ عَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ»^(١). فهو يرى أن الدعاء والتفرغ إلى الله وتغير الأعمال مع بذل الجهد بالنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أفضل من الثورة والسيف، بل إن الثورة تجلب المفاسد والفتنة وكذا الانشقاق.

ولعل هذه النظرة تمكنت من الحسن الشاب عند مقتل سيدنا عثمان، فلقد عاصر أحداث تلك الثورة وذلك الانشقاق، ورأى بنفسه ما أحدثت بالأمة من تصدع وتشقق، ولا تزال آثارها إلى يوم الناس هذا في أمّة المسلمين.

هذا وجه، والوجه الآخر نصيب الحسن في الخروج مع الثوار، ومساندهم، وهو من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، الشجاع المسالم بل لم يكن من رجال هذه الثورات.

قال يزيد العيدي: سمعت الحسن يقول: (لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يفرج الله عنهم، ولكنهم يفزعون إلى السيف فيوكلون إليه، فوالله ما جاءوا اليوم خيراً قط)^(٢).

^(١) سورة إبراهيم: آية (٤٢).

^(٢) أبو الفلاح عبد الحفيظ ابن العماد الحنبلي: مرجع سابق، جـ ١، ص (١٣٧).

ونقل عنه قوله: (ما سلط الحاجاج إلا عقوبة، فلا تعتربوا عقوبة الله بالسيف، ولكن عليكم بالسکينة والتضرع).^(١)

وعندما سئل عن مقاتلة الحاجاج بقولهم: يا أبا سعيد: ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، وترك الصلاة و فعل.. و فعل؟ فقال الحسن أرى ألا تقاتلوا؛ فإنما إن تكون عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكם، وإن يكن بلاء فاصبروا، حتى يحكم الله والله خير الحاكمين).

لقد كان الحسن – رحمه الله – يعلم أثر خروجه مع ابن الأشعث، وصاحب الدعوة يعلم ذلك القدر وتلك المكانة. قال الناس لابن الأشعث: إن سررك أن يقتل الناس حولك كما قتلوا حول جمل عائشة رضي الله عنها فأخرج الحسن – فأخرجه مكرهاً – ولما كان بين الجسرتين رأى غفلة من الناس فألقى نفسه في بعض تلك الأهوار حتى نجا منهم، وكادت هذه الفعلة تودي بحياته^(٢)، فنرى الحسن وكأنه على مفترق طرق يوازن أي الطرق أصلح، فنظر إلى العلم الذي يحمله فمال إلى المسالمة، ونظر إلى المجتمع الذي يعيش، والمفاسد والترف الذي يزاوله الناس فتبين له أن الإسلام لدينه ودين الناس أن تبني علاقتهم بالحكام على السمع والطاعة. وأغلب الظن في ذلك رغبة الحسن في الزهد العملي، وعدم طمعه بأي أرب شخصي.

(٤) موقف الحسن من عمر بن عبد العزيز.^(٣)

الحسن البصري وال الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز نموذج فريد قلما أن يوجد الزمن بمثلهما. أما الأول فقد كان كما أسلفنا على قدر كبير ومكان عالي من العلم والزهد في الدنيا فجاء الخليفة ليتحقق حلمًا نشهده ذلك العالم طوال فترة حياته الماضية فلعلني لن أكون مخطئاً إن قلت إن الحسن تحقق هدفه بهذا الخليفة الزاهد العادل.

(١) ابن سعد: مرجع سابق، جـ ٧، ص ص (١٣١-١٦٤).

(٢) عمر عبد العزيز الجعبي: مرجع سابق ص (١٠٩).

(٣) جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي ، مرجع سابق، ص (١١٣).

فلقد كانت بينهما مكاتبات ومراسلات دونتها كتب التاريخ والستراجم
ونروي من ذلك: روي أن عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - كتب إلى الحسن -
رحمه الله - اكتب إلى أبي سعيد موعظة فأوجز فكتب إليه:-

(أما بعد: يا أمير المؤمنين فكان الذي كان لم يكن، وكأن الذي هو كائن قد
نزل، وأعلم يا أمير المؤمنين: أن الصبر وإن أذاقت تعجيل مرارته فلننعم ما أعقبك من
طيب حلاوته وحسن عاقبته، وإن الهوى وإن أذاقت طعم حلاوته، فلبيس ما أعقبك
من مرارته وسوء عاقبته، وأعلم يا أمير المؤمنين أن الفائز من حرص على السسلامة في
دار الإقامة وفاز بالرحمة فادخل الجنة) ^(١).

وقيل كتب عمر بن عبدالعزيز إلى الحسن اكتب إلى أبي سعيد بذم الدنيا فكتب
إليه رسالة مطولة نذكر منها ما يلي:-

(أما بعد يا أمير المؤمنين فإن الدنيا دار ظعنٍ وانتقال، وليس بدأر إقامة على
حال، وإنما أنزل إليها آدم عقوبة فاحذرها، فإن الراغب فيها تارك، والغنى فيها فقير،
والسعيد من أهلها من لم يتعرض لها، إنها إذا اختبرها الليبب الحاذق وجدها تذلل من
أعزها، وتفرق من جمعها، فهي كالسم يأكله من لا يعرفه، ويرغب فيه من يجهله،
وفيه والله حتفه فكن يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه يختتمي قليلاً مخافة ما يكون
طويلاً، والصبر على لأوائتها أيسر من احتمال بلائها، والليبب من حذرها ولم يغتر
بزيتها؛ فإنها غدارة ختالة خداعية، قد تعرضت بآمالها، وتركت لخطابها، فهي كالعرس
العيون إليها ناظرة، والقلوب عليها والهة. وهي الذي بعث محمدًا بالحق لأزواجها
قاتلها، فاتق يا أمير المؤمنين صرعتها، واحذر عثرها، فالرخاء فيها موصول بالشدة
والبلاء. والبقاء مؤد إلى الهملة والفناء...).

والرسالة طويلة في باب ذم الدنيا وقد رد عليه عمر بن عبدالعزيز بقوله:
(وصلت مواعظك النافعة، فأشفيت بها، ولقد وصفت الدنيا بصفتها، والعاقل من

^(١) جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، المرجع السابق، ص(١١٤).

كان فيها على وجل، فكأن كل ما كتب عليه الموت من أهلها قد مات والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته.

والتابع لرسائل الحسن لل الخليفة يلمس وكأن الحسن قد تبني الخليفة بل كأنه
واقفاً معه مدافعاً عنه.

كما أن مواعظ الحسن في هذه الحقبة مالت إلى الزهد في الدنيا وذمها
وابتعدت عن النقد العام إلى التخصيص ولعل هذه الأعوام القليلة هي التي توجه الحسن
فيها إلى العلم بفنونه^(١).

وقد طلب الخليفة من الحسن البصري أن يصف له الإمام العادل حتى يتتفق
بهذا الوصف ويأخذ به من بعده فأفاده بما يأتي:

- الإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغاراً،
ويعلمهم كباراً، ويكسب لهم في حياته ويدخر لهم بعد مماته.

- الإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيفة الرقيقة بولدتها، حملته كرهماً،
ووضعته كرهماً، وربته طفلاً تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة،
وتقطمه أخرى، تفرح بعافيتها، وتغتم بشكايته.

- الإمام العادل يا أمير المؤمنين جعله الله قوام كل مائل، وقصد كل جائز،
وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصيف كل مظلوم، وفرز كل
ملهوف.

- فلا تكن يا أمير المؤمنين في ملك الله كعبد اثتمنه سيده واستحفظه ماله
وعياله، فبدد المال، وشرد العيال فأفقر أهله، وفرق عياله.

- واذكر يا أمير المؤمنين إذا حصل ما في الصدور يوم يبعث ما في القبور
فالأسرار ظاهرة، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

(١) ابن سعد: مرجع سابق، جـ ٧، ص ص (١٦٥-١٧٠).

والآن يا أمير المؤمنين أنت في مهل قبل طول الأجل، وانقطاع الأمل، لا تحكم عباد الله بحكم الجاهلية، ولا تسلك سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكرين على المستضعفين، فتبوء بأوزارك، وأوزار مع أثقالاً مع أثقالك، لا تنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غداً، وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والمرسلين والنبيين وقد عنت الوجوه للحي القيوم^(١).

بهذا الأسلوب وأمثاله كان الحسن البصري يتلمس الطريق ويحدّد خطاه ويعطي كل شيء قدره.

وهكذا شارك الحسن البصري في توطيد عرى الدولة الإسلامية في عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز.

(٥) موقف الحسن من ثورة يزيد بن المهلب:

وقف الحسن البصري - رحمه الله - وقفه شجاعة ضد دعوة يزيد بن المهلب الذي هرب من السجن والتوجه إلى البصرة وأعلن خروجه على الدولة الأموية، وقد استجتمع أهل البصرة على قتال أهل الشام، ودخل الحسن وسيطاً مع وفد أرسله عدي بن أرطأة إلى المهلبة من أجل إقناعهم بالعدول عن الخروج والثورة. تكلم الحسن كلاماً عجيباً بليناً يقنع كل مخلص، حتى قال أحد الرجال في الوفد: (ما سمعت كلاماً قط أحفظه إلا كلام الحسن يومئذ)^(٢).

وقد زاد الحسن بمحاسبته ليزيد قائلاً: (والله لقد رأيناك ولينا، وموالينا علينا، مما ينبغي لك ذلك). فوثب أصحاب يزيد إلى الحسن فأخذوه بفمه وأجلسوه ثم أخرجوه من المسجد^(٣). وبرغم ذلك لم يسكن الحسن ومر بالناس والرايات قد رفعت وهم يتظرون خروج يزيد، وهم يقولون: (تدعونا إلى سنة العرميين) فقال الحسن: وكان يزيد بالأمس يضرب أنفاس هؤلاء الذين ترون، ثم يرسلها إلى بني

^(١) جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي: مرجع سابق ص ٨٢، ٨٣.

^(٢) أبي عمر بن بحر الجاحظ: مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٧.

^(٣) ابن الأثير: مرجع سابق، ج ٤، ص ١٧٠.

مروان يريد رضاهما، فلما غضب نصب قصباً ثم وضع عليها خرقاً، ثم قال: قد
خالفتم فخالفوهم، فقال هؤلاء: نعم^(١).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل كان الحسن البصري يشبط الناس عن الخروج
مع يزيد لقتال أهل الشام. روى ابن الأثير ما نصه:

(وكان مروان بن المهلب بالبصرة يبحث الناس على حرب أهل الشام -
ويسرح الناس إلى يزيد - والحسن البصري يشبطهم. فلما بلغ ذلك مروان قام في الناس
يأمر بالجذ والاحتشاد)، ثم قال: (بلغني أن هذا الشيخ الضال المرائي - ولم يسمه -
يشبط الناس، والله لو أن جاره نزع من خص داره فصية لظل يرعنف أنفه، وأئم الله
ليكفن عن ذكرنا وعن جمعه إليه سقط الابلة، وعلوج فرات البصرة، أو لأنحين عليه
مريد اخشنا، فلما بلغ ذلك الحسن قال: (والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه). فقال
ناس من أصحابه: لو أرادك ثم شئت لمنعناك، فقال لهم: فقد خالفتكم إذ ذاك إلى ما
هنيتكم عنه، أمركم ألا يقتل بعضكم بعضاً مع غيري، وامركم أن يقتل بعضكم
بعضاً دوني، فبلغ ذلك مروان فاشتد عليهم وطلبهم وتفرقوا وكف عن الحسن^(٢).

ويزيد الحسن في مواضعه للناس وكراهيته للخروج والثورة كان يقول: (أيها
الناس الزموا رحالكم وكفوا أيديكم، واتقوا الله مولاكم، ولا يقتل بعضكم بعضاً
على دنيا زائلة، وطمع فيها يسير، ليس لأهلها باقٍ، وليس الله عنهم فيما اكتسبوا
براضٍ، إنه لم يكن فتنه إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التيه
والحبلاء، وليس يسلم منها إلا المجهول الخفي، والمعروف التقى، فمن كان منكم
خفياً فليلزم الحق ولبيس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا فكفاء الله بمعرفة الله
إيه بالخير شرفاً، وكفى له به من الدنيا خلفاً، ومن كان منكم معروفاً شريفاً فترك ما
يتنافس فيه نظراً من الدنيا إرادة الله بذلك فواها لهذا ما أسعده، وأرشده وأعظم

(١) محمد عبدالرحيم: مرجع سابق، جـ ١، ص (٣٨).

(٢) ابن الأثير: مرجع سابق، جـ ٤، ص (١٧٢-١٧٣).

أجره، وأهدى سبيله فهذا غداً - يعني يوم القيمة - القرير عيناً، الكريم عند الله
ماً باً^(١).

ويمكن أن نلخص الحياة السياسية في عصر الحسن فيما يلي:

أن السنوات الأولى من حياة الحسن كانت في عصر الخلافة الراشدة حيث
الحياة المستقيمة البسيطة الواضحة التدين، وكانت بيئة الحسن ناتجة عن هذا الجو العام.
أن حالة التوتر والفتن والثورات بدأت مع مقتل الخليفة عثمان - رضي الله
عنه - حيث برزت الفرق وكثرت المقاتلات.

أن الحسن البصري عاش شبابه في عصر علي بن أبي طالب والحسين ومعاوية
رضي الله عنهم، وأنه ذاع صيته في عهد عبد الملك وولديه الوليد وسليمان، كما أنه
أدرك العصر الظاهر في ظل خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، كما أنه شهد فترة
حكم يزيد، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك.

مع زيادة الفتوحات الإسلامية دخل المiali ضمن إطار الدولة الإسلامية وكلن
الحسن منهم، فاهتموا بالعلم والفقه حتى أصبحوا سادة وشاركوا في معظم مجالات
الحياة.

أن الناس انشغلوا بالثورات والفتن وخاصة بعدما انتقلت الخلافة من منصب
ديني شوري إلى ملك وراثي.

إن السياسة صارت توجه كثيراً من تصرفات وسلوكيات الناس وأنها أظهرت
شخصيات جديدة ومختلفة مثل عمر بن عبد العزيز والحجاج وابن سيرين وابن
الأشعث، وقد كان للحسن مواقف من كل هؤلاء الأشخاص.

^(١) محمد بن جرير: مرجع سابق، جـ ٢، ص (١٠٢).

انظر أيضاً محمد عبد الرحيم: مرجع سابق، جـ ١، ص (١٤١-١٣٩).

انظر أيضاً عمر عبد العزيز الجغبي: مرجع سابق، ص (١١١-١١٢).

ثانياً. الحياة الاقتصادية.

الاقتصاد ركيزة الحياة وعصبها، ومن خلاله تُعمر الأرضي وبه تتهيأ الأرض ليعيش الإنسان على ظهرها وقد جاء الأمر الرباني للإنسان بالمشي في مختلف نواحي الحياة من أجل الكسب وتعمير الأرض وتوسيع دائرة الاقتصاد قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْسُوْا فِي مَتَّا كِبِّهَا وَكُلُّوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ التَّشْوُرُ﴾**.

وبتوسيع رقعة الدولة الإسلامية بعد الفتوحات الإسلامية في العالم القديم زادت موارد الدولة في الخلافة الراشدة وبالأخص في عهد عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رض. ونركز على الدولة الأموية حيث كثرت المصادر التي تحدثت عن الشعون الاقتصادية والمالية مثل: كتاب (الخراج) لأبي يوسف المتفوّن سنة (١٨٢هـ) وكتاب (الأموال) لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة (٢٢٤هـ) غير أن هذه المصادر لا تقدم لنا إحصاءات عن دخل الدولة الإسلامية في العصر الأموي ولا شيئاً من ميزانيتها وإنما هي أبحاث فقهية على وجه العموم تبحث في مسائل الغنائم والجزية والخراج وغير ذلك ويمكن تكوين فكرة عن الوضع الاقتصادي بدراسة المستوى المعيشي الذي كان يعيشه الناس على اختلاف مستوياتهم، واحتفالاتهم في مناسباتهم الاجتماعية كالاعياد وحفلات الزواج، وأيضاً من خلال الحركة العمرانية الكبيرة التي شهدتها ذلك العصر من بناء المدن والمساجد وتعبيد الطرق وغيرها من المنشآت بالإضافة إلى الخدمات التي تقدمها الدولة للناس كالعلاج وإعالة المحتاجين^(١). وكل هذه المشروعات لم تكن لتقام إلا إذا كانت موارد الدولة المالية تسمح بذلك كما أن السياسة المالية التي اتبعها عمر بن عبد العزيز قضت على الفقر في ربوع الدولة، إلى الحد الذي كان لا يجد فيه عمال الصدقات فقراء يعطونهم منها، لأن الناس في كفاية من الرزق، فأمر الخليفة أن يساعد من ي يريد الزواج من

* سورة الملك: آية (١٥).

^(١) عبدالشافي محمد عبداللطيف: موسوعة التاريخ الإسلامي, ط١، شركة سفير، القاهرة، ١٩٩٦م، ص (٣٠).

الشباب من هذه الأموال ، ويعين من يغги أداء فريضة الحج ، وأن يشتري الأرقاء لتحريرهم. وتمثل موارد الدولة في التالي:

خراج الأرض المفتوحة.

ويأتي على رأس موارد الدولة في العصر الأموي وكانت تلك الأراضي مملوكة للدولة الإسلامية منذ الفتوحات الأولى في عهد عمر بن الخطاب رض الذي اجتهد وقرر عدم تقسيم الأرض المفتوحة على المجاهدين وجعلها ملكاً للدولة وأبقاها في أيدي أهلها يزرعونها مقابل إيجار يدفعونه للدولة وهذا الإيجار أو الخراج تنفق منه الدولة على الجيش والموظفين وتقيم المرافق التي يحتاجها إليها . ثم أقدم عمر على خطوة تدل على فطنته الاقتصادية حيث أعاد مساحة الأرض المفتوحة وقسمها حسب إنتاجيتها لئلا يظلم الفلاحون ويدلوا طاقتهم في تحسين الإنتاج .

غنائم الحرب.

وهي الأموال المنقوله من نقود وغيرها فكان خمسها يدخل بيت مال الدولة على حين توزع الأربعه الأخماس على المجاهدين.

الجزية المفروضة على أهل الكتاب.

وهم اليهود والنصارى ومن في حكمهم كالمجوس وقد قنن الفقهاء قيمة الجزي بعد استقراء تطبيقات الخلاف وأعفوا منها النساء والأطفال وكبار السن ورجال الدين والعاجزين عن الكسب^(١).

الزكاة.

وتؤخذ من المسلمين وتتنفق في الأوجه التي حددها الآية في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْعَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

^(١) عبدالشافي محمد عبد اللطيف: المراجع السابق، جـ ٢، ص (٨٣).

سورة التوبه: آية (٦٠).

ضرائب التجارة.

كانت تمثل مورداً كبيراً من موارد الدولة إذ كانت أهم الطرق التجارية وأعظمها تمر في ذلك الوقت ببلاد إسلامية من حدود الصين في الشرق إلى الأندلس في الغرب. وقد نظم المسلمون تحصيل الضرائب وهي المعروفة الآن برسوم الجمارك ففرضوا على التجار المسلمين ربع العشر وأهل الذمة النصف والكافر العشر.

الركاز.

وهو ما يستخرج من باطن الأرض كالذهب والفضة والنحاس فإذا كان المستخرج من أرض مملوكة ملكية خاصة فإن أصحابها يدفعون للدولة الخمس وإذا كانت المعادن مستخرجة من أراضي الدولة فإن ربعها يدخل بطبيعة الحال إلى بيت المال.

أما بالنسبة للنشاط الاقتصادي فقد اشتمل على.

الزراعة.

اهتم المسلمون بالزراعة اهتماماً بالغاً واستفادوا من خبرات أبناء البلاد المفتوحة فقد أمر عمر بن الخطاب رض واليه عمرو بن العاص رض بعد فتح مصر أن يسأل أهلها عن أفضل الطرق للنهوض بها وباقتصادها فكانت الزراعة لأنها المورد الرئيسي لاقتصاد البلاد وكذلك فعل عمر بن الخطاب في العراق والشام.

وقد سار الأمويون على هذه السياسة فاهتموا بنظام الري وإقامة الجسور وشق الترع وتطهيرها موسمياً وبخاصة أن الدولة يجري على أراضيها أعظم الأنهر وأطوالها^(١) وقد عمل الحجاج الثقي على إصلاح شئون الزراعة أثناء ولايته على العراق والمشرق

^(١) عبدالشافي محمد عبد اللطيف: مرجع سابق، جـ ٢، ص ص (٨٥-٨٦).

فأصلحَ كثيراً من الأراضي التي لم تكن مزروعة واقتدى به خالد عبد الله العشري والي العراق في عهد هشام بن عبد الملك .

وقد حذا الأمويون حذو الرسول والصحابة من بعده في تشجيع الناس على الزراعة وعاونهم على ذلك .
الصناعة .

ازدهرت في العصر الأموي الصناعات الحربية التي تحتاج إليها الجيوش من سيف ودروع ورماح وحراب وأنشئت الترسانات البحرية الالزمة لصناعة السفن في المدن الساحلية كالإسكندرية في مصر وبيروت في الشام وكذلك الصناعات الخشبية الالزمة لأعمال بناء البيوت والمساجد والمستشفيات وأثاث المنازل وصناعات الخزف والأدوات المترفة .

وعرف العصر الأموي صناعات النسيج التي ازدهرت في مصر والشام إضافة إلى صناعات المواد الغذائية، وأقام الأمويون دوراً لسك النقود وإذا كانت الصناعات في عصر الأمويين بسيطة إلا أنها كانت كافية وواافية بمتطلبات الحياة والأحياء في زمانها .

التجارة .

عرف العرب التجارة قبل الإسلام وسجل الله ذلك في كتابه حيث قال المولى عز وجل: ﴿لِإِيلَافِ قُرْيَشٍ﴾^(١) إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، ﴿فَلَيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾^(٢) الذي أطعْمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ .^(٣)

فكانوا وسيطاً تجارياً بين الشرق والغرب لكن في العصر الأموي لم يعد العرب وسيطاً تجارياً لنقل البضائع وإنما سادة الموقف بعد امتلاكهم الطرق التجارية البرية والبحرية فبذلك سيطروا على النشاط التجاري وأصبحت بلادهم تصدر البضائع والمنتجات إلى بلاد الشرق والغرب فتصدر إلى الصين المنسوجات الصوفية والقطنية

^(١) سورة قريش: آية (٤ - ١) .

والكتانية والبسط والمصنوعات المعدنية وحام الحديد وسبائك الذهب والفضة ويستوردون منها الحرير ولم تقتصر الأرباح المالية التي تحينها الدولة على التبادل التجاري بل على التجارة العابرة على هيئة رسوم جمركية .

وقد خلقت العملية التجارية فرص عمل لعشرات الآلاف من الناس وبخاصة في مدن الموانئ .. وقد ساعد على ازدهار تلك الحركة التجارية العالمية اهتمام الدولة الأموية بإنشاء الطرق وتعبيدتها وتأمينها فكانت القوافل تسير في طرق آمنة تنشر على جوانبها الفنادق والاستراحات والأسواق .

ويمكن تلخيص أهم ما جاء في الحياة الاقتصادية في عصر الحسن البصري

إلى ما يلي:

- زادت موارد الدولة في عهد الخلفاء الراشدين وكذلك الدولة الأموية .

- شهد العصر الأموي حركة عمرانية كبيرة ظهرت في بناء المدن والمساجد وتعبيد الطرق وغيرها من المنشآت حيث كانت موارد الدولة المالية تسمح بذلك .

- قضت سياسة عمر بن عبد العزيز المالية على الفقر في عهده .

- اهتم المسلمون بالزراعة في عهد الراشدين وفي عهد الخليفة الأموية كذلك، حيث أقيمت الجسور وشققت الترع، كما ازدهرت الصناعة في هذا العصر وظهرت صناعات جديدة كالنسج وصناعة المواد الغذائية، كما اهتمت الدولة بالطرق مما أدى إلى ازدهار العملية التجارية وتسهيل القوافل التجارية.

ما سبق يجد أن الحالة الاقتصادية في عصر الحسن كانت مزدهرة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي بالرغم من الفتن والخلافات التي كانت ضد الدولة الأموية^(١) .

(١) عبد الشافي محمد عبد اللطيف: المرجع السابق، جـ ٢، ص(٨٨).

ثالثاً. الحياة الاجتماعية ومظاهرها.

يقصد بها تشكيلة الحياة وأنمطها وذكر طبقات المجتمع من حيث الجنس والدين ومفهوم الحياة وما ينبع من هذه النماذج من مشكلات وهوم وعلاقات وما يتمتع به الناس من ممارسة للحياة ووصف الأمور والعلاقات الأسرية وحياة الأفراد، ثم وصف البلاد و مجالس الخلفاء والأعياد والمواسم والولائم والحفلات.

والحسن البصري عاش عصرين متباينين ، عصر الخلفاء الراشدين وعصر بني أمية ، أما العصر الأول – عصر الخلفاء الراشدين – فقد كانت الحياة الاجتماعية فيه تقوم على البساطة والسهولة، فالناس سواسية وأخوة ، ومعاييرها قائمة على المساواة وأسسها قائمة على التقوى، قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ﴾ * . ويقول الرسول ﷺ: (يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ...) (١).

وفي ضوء ما تقدم كانت الفوارق الاجتماعية ضئيلة، على أن بعض الصحابة كانوا أغنياء ولكنهم فقراء إلى رحمة الله، فكانوا ينفقون على الفقراء فكانت نظرتهم للفقير على أنه مكان للزكاة يجب احترامه وتوقيره وعدم إذلاله فالأغنياء في مواطن السخاء والكرم والتصدق والفقراء في مواطن الرضا والدعاء. فالأغنياء لا يحقرون الفقراء والفقراء لا يحسدون الأغنياء وكان هناك بقية رقيقة شجع الإسلام على عتقهم. وجعل مناسبات وأحكاماً كثيرة لتوفير ذلك وعلاقة المحكوم بالحاكم كانت علاقة تدور على الحببة والطاعة، وعلاقة الحاكم بالمحكوم تدور مع الرأفة والمسؤولية. فكل عرف واجبه وحقه فكانت الحياة حياة سخاء وتبادل وإيثار وتعاطف وعدم تعلل ومحاربة للكبر.

* سورة الحجرات: آية (١٣).

(١) محمد علي محمد الشوكاني: تيل الأوطار، دار الجليل، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م، جـ ٥، ص (١٦٤).

عاش الحسن البصري هذا المناخ، فتربي بين بيوت أصحاب النبّي ﷺ إلى أن جاء الأمويون فتحولت الحياة إلى حياة معقولة متطرفة. فما كان من الأمويين إلا أن تعصبو للعرب ونظروا للمواли نظرة تعصب أثارت نفسياً لهم وكان سبباً لثورتهم على الأمويين فانضموا إلى الثورات التي قامت كثورة ابن الأشعث، ويزيد بن المهلب فضلاً عن تطورات نفسية ظهرت نتيجة العصبية القبلية التي أدت إلى كثير من الخلافات وكان نتيجة الضعف الديني من ناحية وافتتاح الدنيا وكثرة الأموال والسي من ناحية أخرى.

وعلى أثر الفتوحات وامتزاج الحضارات تأثر المسلمون بما عند الفرس والهنود وأهل البلاد المفتوحة من طبقات. فنشأت طبقات منها:

طبقة الحكام وأبنائهم وخاصتهم، وطبقة أهل الشرف والحسب والندراء، ثم طبقة الشعراء وأهل الهزل والبطالة، ثم طبقة التجار والصناع والزراعة، وكان يشغله عامة الناس وبعض الموالي، ثم الرقيق والخدم وهم غالب طبقة الموالي. وكان يعيش في هذا المجتمع بعض أهل الذمة الذين ينالون حقوقهم ويدفعون الجزية.

أما مظاهر الحياة الاجتماعية، فيمكن تبيينها من خلال المحاور التالية.

الطعام والشراب واللباس.

كان عهد الخلفاء يتسم بالبساطة بل القناعة بالقليل من الطعام والشراب وكذلك الزهد في اللباس مراعين قواعد الصحة في الطعام والشراب. فلا يدخلون الطعام على الطعام ولا يسرفون في المأكل ويلتزمون بقوله ﷺ: (ما ملأ آدمي وعاء شرًّا من بطنه، حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه...).^(١)

^(١) أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي: الستن الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٦ هـ، ط١، تحقيق عبدالغفار سليمان البنداري وآخرون، ج٤، ص (١٧٧).

وكان حل طعامهم (الثيريد) وهو الخبز المفتوت بالمرق مع اللحم والقديد وهو تشريف اللحم وبتحفيقه، وكان أطيب طعامهم الشواء واعتمادهم على التمر واللبن^(١).
ولم يستعمل العرب الخضار لأنها كانت عزيزة لأن بلادهم لم تكن زراعية، وكان أكلهم بأيديهم، ولما احتلط العرب بغيرهم تغيرت نظرتهم للطعام، فأصبحوا يستعملون الفوط والملاعق، وتستعمل من الخشب والنحاس، وأصبحوا يجلسون على الموائد والكراسي، وأصبح الأدباء يكتبون آداب الطعام والمشارب، ويتدعون فنوناً منه، وأصبح الطعام متوفراً، واشتهر كثير من الخلفاء بموائده منهم سليمان بن عبد الملك^(٢).

وصور صاحب الفخرى زهد الخلفاء الراشدين وتقشفهم فقال: (إها لم تكن دولة من طراز دول الدنيا وهي بالأمور النبوية والأحوال الأخروية أشهى، والحق في هذا أن زيها قد كان زي الأنبياء وهديها هدى الأولياء، وفتحوها فتوح الملوك الكبار فاما زيها فهو الخشونة في العيش والتقلل في المطعم والملبس. كان أحدهم يمشي في الأسواق راجلاً وعليه القميص الخلق المرقوع إلى نصف ساقه، وفي رجله ناموسة وفي يده درة، فمن وجب عليه حداً استوفاه منه، وكان طعامهم من أدنى أطعمة فقرائهم، ضرب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه المثل بالعسل والخبز النقي، فقال في بعض كلامه: (لو شئت لا هتذيت إلى مصفى العسل بباب هذا البر).

(وأعلم أنهم لم يتقللوا في أطعمةهم ولم يلبسوا فقراً ولا عجزاً من أفضل لباس وأشهى مطعم، ولكنهم كانوا يفعلون ذلك مواساة لفقراء رعيتهم، وكسرأ للنفس عن شهوتها ورياضة لها لتعتاد أفضل حالاتها)^(٣).

هكذا كان الحال في عهد الخلفاء الراشدين ولكن عندما خالط العرب الأمم الأخرى في عصر بني أمية، فتغيرت الأطعمة وتفننوا في اختيار ألوانها واستحدثوا فيها

^(١) عمر عبدالعزيز الجعفري: مرجع سابق ص (٢٣).

^(٢) عمر عبدالعزيز الجعفري: المراجع السابق ص (٤٤).

^(٣) محمد عبدالرحيم: مرجع سابق، جـ ١، ص (٥٦).

طريقاً غير طرقها الأولى فاستعمل الأمويون الفوط والملاعق وكانوا يجلسون على الكراسي أمام المائدة التي يكسوها مفرش من القماش وكانوا يكثرون فيه الطعام، حتى قيل أن معاوية بن أبي سفيان كان يأكل كل يوم خمس أكلات.

أما الملابس فكانوا يلبسون ما يناسب مهنتهم أو مقامهم بالتزام أن لا يصف ولا يشف ولا يكون لباس شهرة فكانوا يلبسون العباءة والشمنة ويلبسون القباء الطويل مشقوقاً من الوسط ومتدلي العقب ومربوطاً من الوسط كلباس البدو ويصنعونه من وبر الجمال ويلبسون على رؤوسهم العمائم ويطبلون شعورهم وربما يجدلونها ويلتزمون أن يكون لباسهم مادون الكعبين التزاماً بالسنة وربما لبسوا في الحرب السراويل والقمصان. أما لباس المرأة فكانت ملتزمة بغضفاء الوجه ولبس الجلباب الشرعي، ثياب فضفاضة تغطي النحر والصدر والرأس.

حياة الحكام.

كانت الحياة بسيطة حتى كان الخليفة يقيم في المسجد وينام تحت الشجرة، يدخل عليه من يريد بدون حشم وحجاب وكانت حياة الناس صورة من حياة حكامهم فيبيو قم البسيطة تقضي حاجتهم، باردة في الصيف حارة في الشتاء ولم يعرف الترف طريقه إليهم^(١) حتى جاء العصر الأموي فتشبه الأمويون بالملوك في بناء القصور وتنسيقها فكان القصر تران جدرانه بالقسيفساء وأعمدته بالخام والذهب وسقوفه بالذهب المرصع بالجواهر ولطفت جوه بالنواصير والمياه الخارجية والحدائق الغناء بأشجارها الظلليلة الوارفة وكان الخليفة يجلس عن يمينه أمراء البيت المالك وعن يساره كبار رجال الدولة ورجال البلاد. ويقف أمامه من يتشرف بمقابلته وكان معاوية أول من اتخذ الحشم وأقام الحجاب على بايه^(٢).

وامتدت حياة الترف إلى الناس حتى أصبحوا يتنافسون في ذلك ويتباهون وكان كل ذلك نتيجة إلى كثرة الأموال وأدوات الترف والإغراءات المالية، فكان

(١) عمر عبدالعزيز الجغير: مرجع سابق، ص (٢٥).

(٢) محمد عبدالرحيم: مرجع سابق، جـ ١، ص (٥٧).

لذلك أثره في الأخلاق التي تغيرت موازينها فضلاً عن الانحلال والمجاذيف التي بدأ تنتشر وانتشرت وسائل التسلية وكثرة تربية الحيوان والصيد واقتناء كلاب الصيد إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز وأعاد إلى الأمة بعض ما فقدته مع المحافظة على رحاء الناس فقد أغنى عموم الناس مع عزة وكرامة وعفة^(١).

وقد نال البصرة كثير من هذا الترف وهذه الحياة الناعمة، وأصبح الناس يربون في نعيم الدنيا وزهرتها مما حدا بالحسن إلى الاتباع إلى هذا الجانب، وركز على موضوع الزهد والتقصيف والتذكرة بالآخرة فكان رحمة الله تعالى السد المنيع والدوحة الفيحاء التي يلجم إليها الناس من الفرق في ملذات الدنيا الانغماس بها وترك العمل للآخرة ببناء الحياة الدنيا بما ينفع الناس^(٢) المرأة.

كانت محشمة محترمة لها تقديرها في العهد الأول ويدرسون إلى المساجد ويستمعون لخطب الخطيب ويشاركونه الأحداث ضمن طهارة وعفة ومع كل ذلك تصحب الجيش وتسيير معه وتمرض فيه دون احتلال بالرجال. فكانت المرأة حرية تعنى الكلمة تشاور في الزواج، وتزوج إذا طلقت وخلافات الزواج مبنية على اليسر والسهولة، فلا نرى تغيراً في هذه النظرة في الفترة التي نبحث عنها إلا بالتفاني في المظهر واتخاذ القينات والرياح وبروز النساء في الأسواق مما أصبح كثيراً في مجتمع البصرة والحسن ينكره ويشدد عليه.^(٣)

ويكفي تلخيص أهم ما جاء في الحياة الاجتماعية في عهد الحسن البصري ما يلي:

- ١ - لم تكن هناك فوارق اجتماعية بارزة بين الصحابة - رضي الله عنهم - رغم ثراء بعضهم.
- ٢ - ظهرت الطبقية بين أفراد المجتمع في العصر الأموي وتشبه الأمويين بالملوك.

^(١) عمر عبد العزيز الجغبي: مرجع سابق، ص (٢٥).

^(٢) أبو الحسن الندوبي: مرجع سابق، ص (٢٠٤).

^(٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة، ١٩٦٤، جـ ١، ص ص (٥٣٦-٥٢٩).

٣- كان المسلمون في عهد الخلافة الراشدة مقتصدين في شأن الطعام والشراب والملبس، ثم توسعوا فيه في عهد الدولة الأموية ودخلهم كثير من الترف والإسراف، كما ظهر الغناء والطرب وانتشرت أدوات اللهو.

رابعاً. الحياة الثقافية والتربوية.

عاش الحسن البصري عصر الصحابة ، وهو أزهى عصور العلم، حيث الفكر الإسلامي الأصيل، وعاش في نفس الوقت عصر التابعين، حيث ظل الفكر الإسلامي محتفظاً بكيانه فالكتاب والسنة هما المصدران الرئيسان لشرعية الله. ومدن الثقافة والفكر والتربية في تلك الفترة مكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق والكوفة والبصرة والقاهرة واليمن^(١).

فالحركة العلمية الإسلامية لا انفصام لها ولا قطعية بينها فهي وثيقة الصلة لأهم تصدر عن مصدر واحد هو الإسلام.

ولما كان التفاوت في العلم أمراً طبيعياً برع منهم في مجال العلم جماعات كثيرة أصبحوا مرجعاً للناس وموطن فتوahm واختص أنس من هذه الجماعات بفنون العلم المختلفة فبرز عمر بن الخطاب رض في القضاء وتقديره وأصبح مرجع الناس فيه وبرز ابن عباس رض في التفسير وعنده أحد، وبرز ابن عمر في الحديث وروايته وكذلك أبو هريرة وانس بن مالك وعائشة وبرز ابن كعب وأبو موسى الأشعري في القراءات ومعاذ في الحال والحرام رض. . وتصدى للفتووى في هذا العصر الخلفاء الأربعه وعبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت. فكانت المدينة مركز هذا العلم وموطنه وفي هذه الفترة منع عمر بن الخطاب رض لرؤساء العلماء من الخروج من المدينة خوف أن يفتتن بهم من ناحية، وناحية أخرى أرادهم للارتفاع بهم ثم سمح عثمان رض لرؤساء الصحابة بالخروج فتفرقوا في البلاد والأماكن

^(١) حسن علي شاذلي: مرجع سابق، ص (١٣١).

فنشطت الحركة العلمية ووسعـت دائـرـتها وسـهـل انتشارـها فـكـثـر الـعـلـمـاء وـتـفـرـعـت الـعـلـوم، فـكـانـت للـعـلـوم مـراـكـزـ منها^(١)ـ:ـ

مـكـةـ المـكـرـمةـ.

كان المسجد الحرام مـركـزاً لـلـعـلـمـ يؤـمـهـ النـاسـ فـيـ الـموـاسـمـ وـغـيـرـهـ، وـكـانـ ابن عباس يـجـلسـ فـيـ الـبـيـتـ الـحـرـامـ يـعـلـمـ التـفـسـيرـ وـالـحـدـيـثـ وـيـرـدـ عـلـىـ أـسـئـلـةـ النـاسـ وـيـقـتـيـهـمـ وـكـذـلـكـ مـعـاذـ بـنـ جـبـلـ عـالـمـ الـحـلـالـ وـالـحـرـامـ يـجـلسـ وـيـقـنـهـ أـهـلـ مـكـةـ وـيـقـرـؤـهـ الـقـرـآنـ.

المـدـيـنـةـ الـمـنـورـةـ.

كـانـتـ أـشـهـرـ مـرـكـزـ وـأـقـوىـ مـدـرـسـةـ وـذـلـكـ لـأـنـ مـعـظـمـ مـنـ أـسـلـمـ اـسـتـقـرـ بـهـاـ وـكـانـتـ مـقـصـدـ مـنـ يـرـيدـ إـلـيـسـلـامـ وـكـانـتـ مـقـرـ الـخـلـافـةـ.

فـكـانـتـ المـدـيـنـةـ مـرـكـزـ هـدـىـ وـعـلـمـ وـقـدـ كـثـرـ فـيـهـاـ مـنـ تـصـدـىـ لـلـفـتـوـىـ وـالـعـلـمـ،ـ مـنـهـمـ:ـ الـخـلـفـاءـ الـأـرـبـعـةـ وـزـيـدـ بـنـ ثـابـتـ الـذـيـ كـانـ حـجـةـ وـمـرـجـعـاـ فـيـ الـفـرـائـضـ^(٢)ـ،ـ وـبـرـزـ فـقـهـ عـائـشـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـاـ.ـ فـكـانـ عـالـمـ بـأـقـوـالـ الرـسـوـلـ ﷺـ وـشـائـلـهـ وـفـقـهـ مـعـ مـعـرـفـةـ تـامـةـ بـأـشـعـارـ الـعـرـبـ وـكـانـ فـقـهـاءـ الصـحـابـةـ يـرـجـعـونـ إـلـيـهـاـ وـكـذـلـكـ بـرـزـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ عـمـرـ حـبـرـ الـأـمـةـ فـكـانـ شـدـيدـ الـاحـتـيـاطـ وـالـتـحـرـيـ لـلـسـنـةـ.ـ وـكـانـ يـتـوـخـىـ الـفـتـوـىـ وـلـمـ يـمـلـ إـلـىـ الـدـنـيـاـ وـأـكـثـرـ الرـوـاـيـةـ مـنـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ وـأـيـضاـ أـبـوـ هـرـيـرـةـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ صـخـرـ الـدـوـسـيـ الـذـيـ كـانـ أـحـفـظـ الصـحـابـةـ وـأـكـثـرـهـمـ رـوـاـيـةـ لـلـحـدـيـثـ وـعـنـهـ أـخـذـ سـعـيدـ بـنـ الـمـسـيـبـ وـكـانـ الـحـسـنـ الـبـصـرـيـ كـثـيرـ الـاتـصالـ بـسـعـيدـ بـنـ الـمـسـيـبـ وـيـكـتـبـ إـلـيـهـ وـيـسـتـشـيـرـهـ إـذـاـ أـشـكـلـ عـلـيـهـ شـيـءـ.

^(١) عمر عبد العزيز الجعفري: مرجع سابق ص (٤٣).

^(٢) أحمد إسماعيل البسيط: مرجع سابق، ص (٤٣).

ومن التابعين عروة بن الزبير من رواة أحاديث عائشة فكان بحراً لا يترف،
وعلي ابن الحسين المعروف بزين العابدين روى عن أبيه وعمه الحسن وعائشة وابن
عباس رضي الله عنهما وكان قليل الحديث فقيهاً وغير هؤلاء كثير.
وكان من أثر هذه المدرسة - المدينة - مالك بن أنس إمام دار المحررة.

الكوفة.

يُعد عبدالله بن مسعود الذي أرسله عمر لعلم الناس وهو سادس ستة في
الإسلام أول من جهر بالقرآن وهاجر المحررتين وكان من أقرب الصحابة من الرسول
صلوات الله عليه، قال عنه علي رضي الله عنه: (قرأ القرآن فأحل حلاله وحرم حرامه فقيه الدين عالم
السنة). ومن اشتهر في الكوفة علقة النحوي تفقه على يد ابن مسعود، وكان من
أنبل أصحابه وصورة عن أستاذه فقيهاً إماماً بارعاً طيب الصوت بالقرآن. وأيضاً
سعيد بن جبير من العلماء الأنقياء قتله الحجاج في فتنة ابن الأشعث ومن ثمرة هذه
المدرسة - الكوفة - أبو حنيفة النعمان رحمه الله تعالى ^(١).

مدرسة أهل اليمن.

ابتدأت بمعاذ بن جبل الذي أرسله رسول الله صلوات الله عليه لعلم أهلها ومن أعلام هذه
المدرسة طاووس بن كيسان الذي سمع عن زيد بن ثابت وعائشة وأبي هريرة. وكان
رأساً في العلم والعمل وكان شيخ أهل اليمن وفقيمهم وكان كثير الحج ^(٢).

البصرة.

كان من أهم من نزل البصرة من الصحابة أبو موسى الأشعري فكان يقرئ
أهلها القرآن وأنس بن مالك خادم رسول الله صلوات الله عليه وله صحبة طويلة وهو آخر من
توفي في البصرة من الصحابة وظهر من هذه المدرسة أبو العالية رفيع بن مهران
الرياحي. ومنهم أبو الشعفاء جابر بن زيد صاحب بن عباس وكان عالماً بالفتيا، من

^(١) حسن علي شاذلي. مرجع سابق، ص ص (١٣٣ - ١٣٥).

^(٢) المراجع السابق، ص ص (١٣٣ - ١٣٥).

فقهاء البصرة، و منهم قتادة بن دعامة الدرسي وكان ضريراً قوي الحفظ بل من أحفظ الناس وكان يقول: (ما في القرآن من آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً). وكان رأساً في العربية واللغة وأيام العرب والنسب، و منهم الحسن بن أبي الحسن صاحب ترجمتنا وكان معاصرًا لابن سيرين. وقد اختلف عنه أنه كان طويل الحزن، عقوباً في الحق، وكان كل واحد منهم مدرسة حتى في اللباس فكان الحسن يلبس عمامة سوداء وابن سيرين عمامة بيضاء^(١).

مدرسة أهل الشام.

دخلت الشام الإسلام وتحولت إليه من النصرانية وكان فيها اللغة العربية، وتعلم عربها لغة قريش وأصبحت دار الخلافة للأمويين وانتشر بها العلم والأدب ومن أشهر علمائها عبد الرحمن الأشعري الذي أرسله عمر ليفقه في الدين وهو الذي تلقى عليه التابعون وأبو إدريس الخوارزمي فقد جمع العلم والعمل. أخذ عن معاذ وكان واعظ أهل الشام ومن فقهائها وغيرهم كثير من الفضلاء الثقات^(٢).

مدرسة مصر.

كان عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه نازلاً مصر وكان من المكثرين من الرواة صواماً قواماً، تالياً للكاتب الكريم، وقد اعتزل الفتنة وحمل المصريون عنه كثيراً. ومن تلامذته: أبو الحسن مرثد بن عبدالله اليزيدي مفتى أهل مصر، ومن أعلامها يزيد بن أبي حبيب وكان يكثر من حديث الحلال والحرام، وأظهر العلم بالسائل والفقه بعدهما كان الناس يتحدثون في الترغيب والملاحم والفتن^(٣).

كانت هذه المدارس العلمية والمراكز التي بث فيها العلم للعالم وكان كل هؤلاء يفتون الناس ويررون الحديث ولم يكن عرف بين الناس الانتساب إلى فقيه

^(١) محمد عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٧١م، ص ١٦٥، ١٦٦.

^(٢) حسن علي شاذلي: مراجع سابق، ص ١٣٦.

^(٣) المراجع السابق، ص ١٣٦.

معين أو الانتساب إلى مذهب معين وكان القضاة يفتون ما ثبت في الكتاب والسنة وبعد ذلك ظهر تقسيم العلم إلى مدرستين.

مدرسة الحديث.

انتشرت في المدينة والجaz، وكان لها أثر في جمع السنة وحفظها وجمع آراء الصحابة والتبعين وتدوين الآثار وتوجيه أنظار الناس إلى العناية بالسنة.

مدرسة الرأي.

وكان مقرها العراق وكان يحمل لواءها عبد الله بن مسعود وتعود نشأتها إلى قلة الحديث في العراق إذا ما قيس بالجaz وقد اشترطوا شرطًا في قبول الأحاديث ما لا يسلم معها من الأحاديث إلا القليل. وكان لهذه المدرسة أثر واضح في إثراء الفقه الإسلامي وكان من أثر تشددهم في الرواية أن تصدوا لواضعي الحديث وسدوا الطرق أمامهم وكشفوا وضعهم^(١).

وفي هذا العصر كانت الحركة الأدبية والحركة الفكرية ناشطتين، فقد وصلنا من الأشعار والخطب شيء كثير، كما أن التأليف كان كثيراً وإن كان ما وصلنا منه قليلاً، ففي الفهرست (إن من المؤلفين المتقدمين زياد بن أبيه (ت ٥٣ هـ) ألف كتاباً في المطالب أي مغائب العرب)^(٢).

(واشتهر أبو الأسود الدؤلي المتوفى في البصرة سنة ٦٩ هـ بأنه أول من ألف في النحو)^(٣).

ومن أشهر المحدثين والفقهاء وراواة الأدب في هذا العصر عروة بن الزبير (ت ٩٣ هـ) وهو شقيق عبد الله بن الزبير بن العوام وأمه أسماء بنت أبي بكر، وقد ألف كتاباً في الفقه قبل سنة ٦٣ هـ)^(٤).

^(١) أحمد إسماعيل البسيط: مرجع سابق، ص (٤٧).

^(٢) ابن اللدم: مرجع سابق، ص (١٣١).

^(٣) عمر فروخ: مرجع سابق، ص (٢٠٠).

^(٤) عمر فروخ: المراجع السابق، ص (٢٠٠).

ومن مؤلفي هذا العصر عكرمة (ت ١٠٥ هـ) له تفسير للقرآن رواية عن ابن عباس، ومكحول الشامي (ت ١١٦ هـ)، وله كتاب في السنن في الفقه، وكتاب المسائل في الفقه، وعبدالله بن عامر اليعصري، وله كتاب مقطوع القرآن وموصوله، وكتاب اختلاف مصاحف الشام والجاحظ وال伊拉克^(١).

ويمكن تلخيص أهم ما جاء في الحياة الثقافية والتربوية في زمان الحسن البصري في ما يلي:

- ١ - كان عصر الصحابة والتابعين من أزهى عصور العلم والثقافة.
- ٢ - بُرِزَ كثيرون من الصحابة والتابعين في مجال العلم وصاروا يستفتون في العلم والدين.
- ٣ - كانت هناك مراكز للعلوم مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة، والكوفة، ومدرسة أهل اليمن، والبصرة، ومدرسة أهل الشام، ومدرسة مصر.
- ٤ - في مجال الحديث النبوي الشريف ظهرت مدراس متباينة هما.
مدرسة الحديث في المدينة والجاحظ، ومدرسة الرأي في العراق.

إذا كان هذا الفصل قد تناول عرض ومناقشة ظروف العصر الذي عاش فيه الإمام الحسن البصري من سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية، فإنه بذلك يكون قد أجاب عن السؤال الثاني من البحث - ما الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي عاشها الإمام الحسن البصري؟

^(١) ابن اللندم: مرجع سابق، ص ص (٤٣-٥٥).

الفصل الرابع

(أهم الأفكار التربوية التي نادى بها الحسن البصري).

مخطط الفصل.

(أولاً). ملامح التربية في عصر الحسن البصري.

(١) خصائص التربية في عصر الحسن البصري.

(أ) بساطة التربية وعدم تعقدتها.

(ب) تركيز التربية على جانب الزهد والتقويف.

(ج) التربية بين الاهتمام والانشغال.

(د) تأثير التربية بالفرق والمذاهب.

(هـ) التربية وقيم الأخوة والمساواة.

(٢) تأثير الحسن البصري وتأثيره في التربية والفكر التربوي.

(ثانياً). أهداف التربية عند الحسن البصري.

(١) الهدف الديني.

(٢) الهدف المعرفي.

(٣) الهدف الأخلاقي.

(٤) الهدف الاجتماعي.

(ثالثاً). أساليب التربية عند الحسن البصري.

(١) التربية بالقدوة.

(٢) التربية بالأعتبار.

(٣) التربية بالنصيحة.

(رابعاً). مجالات التربية عند الحسن البصري.

(١) التربية الإيمانية.

(٢) التربية العقلية.

(٣) التربية الأخلاقية.

(٤) التربية الاجتماعية.

الفصل الرابع

(أهم الأفكار التربوية التي نادى بها الحسن البصري)

يعرض البحث أهم ملامح التربية في عصر الحسن البصري على النحو التالي:-

أولاً. ملامح التربية في عصر الحسن البصري.

إن محاولة التعرف على بعض ملامح التربية في عصر الحسن البصري تجعلنا نقرر، أن القرن الذي عاصره الحسن هو قرن القدوة والأسوة والتطبيق العملي للإسلام، نقول ذلك رغم ما هو معروف عن هذا العصر من مواطن الفتن والثورات. ورغم ما انتشر من مظاهر الترف في النصف الثاني من هذا القرن، وإن كان ذلك أمراً طبيعياً، لأن أي مجتمع لا يخلو من مثل هذا ولعلها سنة كونية.

وإذا كانت العصور تتغير والأحوال تتبدل، والمفاهيم تتغير وتتطور، فإن حياة المسلمين مهما تلونت أو تغيرت فلن يصلحها إلا السير على منهج الله القوم، الذي أرسى الله سبحانه على أصول ثابتة وحقائق لا تتغير، وهو مع هذا صالح للتطبيق في كل زمان.

﴿وَالْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

فرغم المواقف العصبية التي مر بها عصر الحسن البصري والتي كانت كفيلة بأن تطيح بأي نظام لو كان غير الإسلام، إلا أن التربية في هذا العصر كانت تتم في إطار مبادئ الإسلام الحية. التي تربط بين العلم والعمل، وكان الوضع في هذا العصر كفيلاً بأن يتتج مصلحين مربين يعيدون للتربية الإسلامية تمسكها ويستمدون أساس هذه التربية من النصوص القوية من الكتاب والسنة. وكان من هؤلاء المصلحين المربيين الحسن البصري رحمه الله تعالى.

* سورة المائدة: آية (٣).

(١). خصائص التربية في عصر الحسن البصري

في محاولتنا لتحديد خصائص التربية في عصر الحسن البصري تواجهنا ثنائية واضحة، تلك الثنائية ناشئة من أن الحسن عاصر عهدين أو هما عصر الصحابة والآخر عهد الأميين، لذلك قد نجد بعض هذه خصائص ذات شقين قد يتضادان أحياناً، أما أهم هذه الخصائص فيمكن بيانها فيما يلي: ^(١)

(أ). التربية وطبيعة الحياة الاجتماعية.

إن بروز الحسن البصري ونضجه لي dilation دلالة واضحة على أن التربية في عصره كانت تربية إسلامية صافية، فالملامح الأولى لعصر الحسن حتى سن بلوغه تقريباً تعكس لنا الصورة الإيجابية البسيطة للتربية، فالناس متدينون يحبون الدين، والحياة البسيطة غير معقدة والمشكلات قليلة والبيئة آمنة، والناس كلهم سواسية وإخوة، ومعلوم أن الأفراد في مثل هذه البيئات يتشربون من تلك المظاهر، وينطبعون بطبع عصرهم هذا.

(ب). تركيز التربية على جانب الزهد والتشفف.

مع مجيء الأميين، تغيرت بعض مظاهر الحياة، حيث بدأ الناس يتفضّلون فيما بينهم على الأحساب والأنساب والعصبيات، كما دخل الترف حياة الناس، مما جعلهم يرفلون في نعيم الدنيا وزهرتها وبخاصة في البصرة الوسط الذي عاش فيه الحسن البصري، فكان لا بد للتربية والحالة هذه أن تركز على مضادات هذا الجانب وذلك بالتركيز على جانب الزهد وربط القلوب بالآخرة، والتحذير من الاغترار بالدنيا والافتتان بها، وهذا جانب نراه واضحاً في الفكر التربوي لدى الحسن البصري ومن عاصره من مربين، بل إننا نراه بوضوح شديد في مواعظ الحسن ونصائحه وكتبه ورسائله إلى الخلفاء والولاة.

^(١) انظر : عمر عبدالعزيز الجعفري ، مرجع سابق ، ص ص (٤٣-١١) بتصرف

وأيضاً : أحد إسماعيل البسيط : مرجع سابق ، ص ص (٣٨-١٣) بتصرف.

(ج). التربية بين الاهتمام والانشغال.

كانت التربية في أول عصر الحسن – عصر الصحابة – هي شغل الناس الشاغل، وذلك لقرب العهد بالنبي ﷺ وخلفائه الراشدين الذين كان لهم من بعد نبيهم اهتمام بالغ بتربية أجيال الأمة وتنشئتها النشأة الصالحة، حتى إننا يمكن أن نقول: إن معظم الجهود المبذولة إن لم تكن كلها في ذلك العصر كانت من أجمل التربية الصالحة.

لكن مع ظهور الثورات والفتن والتي ابتدأت بمقتل عثمان رضي الله عنه، ومقاتلة علي ومعاوية، ومسائل التحكيم، وبروز الخوارج والشيعة والمرجئة وغيرها من الفرق، انشغل الناس بذلك كله وكان انشغالهم على حساب الاهتمام بالعلم والتربية خاصة مع وفاة كثير من الصحابة وكبار التابعين واتجاه كثير من الشخصيات المؤثرة إلى إيهار العزلة الفكرية.

(د). تأثير التربية بالفرق والمذاهب.

كانت التربية في عصر الصحابة خالصة عقائدياً وفكرياً، ولم يكن هناك أي مجال لظهور مذاهب أو فرق اعتقادها متباعدة، ولكن الأمر تغير حينما ظهرت الفرق والمذاهب بعد عصر الصحابة حيث كانت ذات أثر كبير على التربية بل والحياة بكل نواحيها: السياسية، والعقلية، والنفسية، والاجتماعية.. بل والدينية أيضاً، حيث كانت كل فرقة تربى أبناءها ونشئتها على مبادئها وتثبت فيهم تعاليمها ومنهجها.

وقد حدا هذا بالحسن البصري ومن معه من مربين مصلحين يعتقدون عقيدة أهل السنة والجماعة أن يهتموا في تربيتهم بجانب العقيدة السليمة والتربية الإيمانية الراسخة التي تثبت أمام محاولات المبتدعين والمتكلمين.

(هـ). التربية وقيم الأخوة والمساواة.

لم يكن في عهد الصحابة ما يشير إلى الطبقية بين الناس أو التفريق بينهم، إذ أنهم جميعاً سواسية وأخوة ومعايير التفاضل بينهم إنما هي التقوى والعمل الصالح قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءُكُمْ﴾.

لكن الأمر تغير مع اتساع الفتوحات ودخول الموالى والأعجمان في الإسلام حيث تفاضل الناس فيما بينهم بعصبيات وقبليات دعت المربيين المصلحين إلى أن يركزوا على قيمة المساواة والأخوة والتفاضل بالتقوى والعمل الصالح، ويحرصوا على غرس هذه المعاني في نفوس شباب الأمة بعد أن يكونوا هم قد نشأوا عليها وربوا أنفسهم عليها.

ولم تكن هذه القيم وحدها هي التي ترتكز عليها التربية في تلك الفترة ولكنها كانت ترتكز على جميع القيم الإسلامية الأصيلة ويزداد تركيزها على القيم التي يرى المربيون والمصلحون أنها قد اهتزت أو أن الحياة السياسية أو الاجتماعية قد غيرت منها، وبذلك ظلَّ للتربيَة الإسلامية الأصيلة تميزها وثباتها.

وبعد فإننا نجمل حديثنا عن خصائص التربية في عصر الحسن البصري فيما يلي:

عاش الحسن البصري عصر الصحابة الذين تربوا على منهج الرسول ﷺ، ولا شك في أن هذا العصر هو خير العصور كلها علمًا وفكراً، وذلك لأن المجتمع كان لا يزال محتفظاً بكيانه الذي تركه عليه النبي ﷺ، فلم يكن العهد بعيداً بعصر النبوة، ولذلك لا بد أن تكون التربية في هذا العصر قائمة على الأصول الأولى التي أسسها الرسول ﷺ وكبار الصحابة من بعده، فقد كانت التربية مستمدَّة من الكتاب والسنة، وكانت لا تزال واضحة آثار أولئك الصحابة المعلمين الذين كان يختارهم ﷺ من أعلم

الصحابة ويرسلهم إلى الأنصار لتعليم الناس و منهم معاذ بن جبل الذي أرسله إلى اليمن – و عمرو بن حزام الذي أرسله إلى أهل نجران، وغيرهما من الصحابة^(١).

ف كانت التربية الإسلامية تربى وتوجه الدين ينثرون الإسلام بغرس الإسلام في نفوس الناس فإذا هم إن آمنوا حقاً صلحت الدنيا، فلا يحصل الظلم ولا الغش لأن من غش المسلمين فليس منهم^(٢).

و قد ظهرت فيما بعد مدن الثقافة والفكر والتربية في فترة حياة الحسن البصري، والتي تمثلت في: مكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق والكوفة والبصرة والقاهرة واليمن^(٣).

ولم تكن أماكن التعليم والدرس إلا مراكز للتربية والتفصيف معاً، فكان المسجد الحرام في ذلك العهد من أكبر تلك المراكز حيث يجلس ابن عباس يعلم الناس ويربيهم وكذلك معاذ بن جبل، وكذلك الأمر في المسجد النبوي بالمدينة المنورة، وكذلك في الكوفة والبصرة والشام ومصر، حيث كان العلماء منارات هداية لهم تلامذتهم الذين يتلقون حوالهم ويتربون على أيديهم.

(٢). تأثير الحسن البصري وتأثيره في التربية والفكر التربوي:

تأثر الحسن البصري بمن عاصرهم من الصحابة والأجلاء، خاصة وأنه عاش الجزء الأكبر من حياته في عصر الصحابة حتى سنة ١١٠ هجرية، وقد استفاد الحسن وتعلم منهم الكثير ومن ثمرة ذلك أنه صار علماً في مجال العلم والتربية، وكيف لا يكون كذلك وهو تلميذ أنس بن مالك الذي أحبه وصاحبها، حتى كان أنس يجلسه ويقدره، وقد ظهر أثر أنس على الحسن في كثیر من أقواله وأفعاله وفتاویه.

كما تأثر الحسن بغير أنس من شيوخه وأساتذته مثل حطمان بن عبد الله الرقاشي الذي قرأ عليه، وكذلك سمرة بن جندب الذي سمع منه والتقى به، كما سمع

^(١) حامد سالم عايش الحربي، مرجع سابق، ص (٩٢).

^(٢) المرجع السابق، ص (٩٤).

^(٣) أحمد إسماعيل البسيط، مرجع سابق، ص (١٣).

من عبدالله بن قيس وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم. ولعل تأثير الحسن بعامر بن عبد القيس الذي أسس أول مدرسة للزهد في البصرة، تأثر لا ينفي.

أما بالنسبة لتأثير الحسن، فقد كان من خلال مجالسه وآرائه وموافقه، وكذلك كتبه التي ساهمت في إثراء الحركة العلمية في عصره، بل وفي العصور التالية من بعده حتى عصرنا هذا، كما كان له تأثير من خلال مواضعه التي حصل لها لما القبول والاحترام، بالإضافة إلى ما تركه من بصمات واضحة على غيره من العلماء المسلمين الذين تتلمذوا على يديه سواء في مجلسه بالمسجد أو مجلسه الخاص في بيته، حتى صاروا أعلاماً لهم جهود معروفة وأيادٍ بيضاء في شتى ميادين الإسلام، حيث كان الحسن رحمة الله دائرة معارف في مختلف العلوم، كال الحديث والفقه والتفسير واللغة وغير ذلك مما سبق الحديث عنه.

وأما تأثير الحسن البصري من خلال مواقفه العملية في الناحية العلمية والسياسية والاجتماعية فهو تأثير لا ينكر، وقد سبق الحديث عنه في الصفحات السابقة.^(١)

ولا شك أن تلك المواقف كانت مواقف تربوية هادفة لمن أراد أن يتمثل ويقتدي:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

إن تأثير الحسن البصري في عصره عامه وفي تربيته لأبناء عصره خاصة، تأثير لا ينكر، وليس أدل على ذلك، من أن حكام عصره وولاته كانوا يحرصون كل الحرص على أن يجعلوا الحسن في الكفة التي يريدون لها أن ترجح، ويحذرون من أن يكونوا في موقف يت忤د الحسن موقفاً مخالفًا له.

جاء في أكثر من مصدر أن مستشاري ابن الأشعث أشاروا عليه عندما قام بشورته أن يخرج الحسن البصري معهم، لما للحسن من أثر وتأثير في جمهور

^(١) انظر الرسالة : الفصل الثالث، ص ص (٦١-٩٣)

الأمة ولما يتمتع به الحسن من الشجاعة، ولثقة الناس برأيه واحترامهم له، فقد قالوا لابن الأشعث: (إن سررك أن يقتلوا حولك كما قتلوا حول جمل عائشة، فلأخرج الحسن، فأرسل ابن الأشعث إلى الحسن وأكرهه على الخروج)^(١).

لقد كان للحسن البصري من التأثير ما جعل له مكانة في القلوب، ورفعه في النفوس، حتى صارت سيرته حديث المجالس، وحياته مادة للتاريخ تستحق الدرس والتحليل، جاء في شذرات الذهب أن أبابكر الهذلي كان عند أبي العباس: (بأي شيء بلغ حسنكم ما بلغ؟ فقال الهذلي: جمع القرآن وهو ابن اثنين عشرة سنة، ثم لم يخرج من سورة إلى سورة حتى يعرف تأويلها وفيما أنزلت، ولم يقلب درهماً في تجارة، ولاولي سلطاناً، ولا أمر بشيء حتى فعله، ولا نهى عن شيء حتى ودعه، قال: فبهذا بلغ الشيخ ما بلغ)^(٢).

بل إن تأثير الحسن في الناس وصل إلى الحد الذي جعلهم يتتفعون من مجرد النظر إليه حتى ولو لم يعرفوا عن علمه أو يسمعوا من قوله، ذلك لأن تأثير الحسن التربوي في النفوس كان عميقاً، وكانت تربيته لنفسه عالية حتى جعلت الظاهر بياناً للباطن، قال يونس بن عبيد: (كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به وإن لم ير عمله ولم يسمع كلامه)^(٣).

ويتجلى لنا تأثير الحسن بمن قبله وتأثيره فيما بينه ومن بعده، حين نعلم أن الحسن أخذ فقهه عن تلميذ عبد الله بن مسعود، والمعروف أن منهجه ابن مسعود في التفكير الفقهي يماثل منهجه التفكير عند عمر بن الخطاب، إذ كان كلاهما يتلمس مقاصد الشارع من الأحكام أكثر من تلمسه ألفاظه في النصوص^(٤).

(١) ابن سعد: مرجع سابق ، جـ٧، ص(١٦٣).

انظر أيضاً البداية والنهاية: مرجع سابق ، جـ٩، ص(٥١).

وأيضاً اليعقوبي: مرجع سابق ، جـ٢، ص(٢٧٨).

(٢) ابن العماد الحنبلي: مرجع سابق ، جـ١، ص(١٣٧).

(٣) فضي الدين النهذيب: مرجع سابق ، جـ٢، ص(٢٦٥).

(٤) محمد رواس: مرجع سابق ، جـ١، ص(٢٠).

قال مورق العجلي: قال لي أبو قتادة: (الزم هذا الشيخ - يعني الحسن البصري - وخذ عنه، فوالله ما رأيت رجلاً أشبهه رأياً بعمر بن الخطاب منه)^(١).

(ثانياً): أهداف التربية عند الحسن البصري.

إن الغرض من البحث عن الآراء التربوية لأحد من العلماء أو المفكرين المسلمين، يتمثل في جمع تلك الآراء التربوية المتناشرة في أقوالهم وما أثر عنهم، مع عرضها على الكتاب والسنة ثم صياغتها بأسلوب تربوي يجمع بين الأصالة والمعاصرة ليستفيد من ذلك العاملون في ميدان التربية والتعليم في تطوير الواقع التعليمي والتربوي في هذا العصر.

والحسن البصري واحد من العلماء المسلمين الذين تركوا تراثاً تربوياً مفيداً يمكن الخروج منه بجموعة من الآراء التربوية الوثيقة الصلة بجوانب التربية، ومنها:

- أساليب التربية عند الحسن: التربية بالقدوة، التربية بالاعتبار، التربية بالنصيحة.

- مجالات التربية عنده، والتي تمثل في: التربية العقلية، التربية الأخلاقية، التربية الإيمانية، التربية الاجتماعية.

لكننا في البداية يمكننا الوقوف على بعض أهداف التربية عند الحسن البصري والتي يمكن إيجازها في النقاط التالية:^(٢)

١- الهدف الديني:

يعتبر الهدف الديني هو أبرز الأهداف التربوية التي نادى بها الحسن البصري، حيث جعله غاية تربوية يعمل من خلالها على توجيه العقول والآفونس نحو الدين والإيمان.

^(١) ابن سعد: مراجع سابق، جـ٧، ص(٦٦).

^(٢) أبو نعيم: مراجع سابق، جـ٢، ص(٤٥).

وهذا الهدف هو بحق أهم وأسمى أهداف التربية الإسلامية، ويكتننا من خلال الإطلاع على تراث الحسن البصري وأقواله أن نصوغ هدفه الديني التربوي بأنه: تنمية وتكوين المسلم العابد الصالح الذي يعبد الله وحده.

ولكن ليست العبادة هنا مقصورة على أداء الشعائر الدينية وحدها، بل إنها تشتمل على جميع نواحي الحياة التي يقصد بها العبد إصلاح نفسه ومجتمعه ابتعاد وجهه الله تعالى قال الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) وهذا هو الهدف النهائي للتربية.

ويتضح ذلك من خلال أقوال الحسن والتي منها قوله: (يا ابن آدم دينك دينك، فإنما هو لحمك ودمك، إن يسلم لك دينك، يسلم لحمك ودمك، وإن تكون الأخرى فنعود بالله، فإنما نار لا تطفأ، وجراح لا يبرأ، وعذاب لا ينفذ أبداً، ونفس لا تموت).

فهو هنا يذكر النتيجة الطبيعية للاهتمام بالدين حيث السلام والسعادة وفي التخلص منه الشقاء في الدنيا والآخرة.

٢- الهدف المعرفي:

لا شك في أن نعمة العقل هي من أكبر النعم التي من الله بها على الإنسان، وتميزه بها عن بقية المخلوقات، وقد اهتم الحسن البصري بتوضيح أهمية العقل والتفكير والتفكير من خلال اهتمامه بالعلم الذي لولاه لكان الناس مثل البهائم – على حد قول الحسن – لكن الحسن لا يرى أن يكون العقل مشرعاً للإنسان، وإنما لا بد من عرض النفس على كتاب الله، يقول رحمة الله: (رحم الله رجلاً خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه، فإن وافقه حمد الله، وسألته الزيادة من فضله، وإن خالفه اعتقب وأناب، ورجع من قريب)^(١).

١- سورة النازيات آية (٥٦).

(١) أبو نعيم: المراجع السابق، جـ ٢، ص(١٤٥).

والحسن يدعو إلى إعمال العقل والتفكير الذي يقوى الإيمان فيقول: (تفكر ساعة خير من قيام ليلة، ومن لم يكن كلامه حكمة فهو لغو، ومن لم يكن سكته تفكراً فهو سهو، ومن لم يكن نظره اعتباراً فهو لهو)^(١).

وهو كذلك يدعو إلى التبكيت بطلب العلم لما لذلك من أثر طيب فيقول: (طلب العلم في الصغر كالنقش على الحجر، وطلب العلم في الكبر كالنقش على الماء)^(٢).

وفي دعوة الحسن إلى العلم والمعرفة نراه يحذر من القول في الدين بالرأي دون الاعتماد على الكتاب أو السنة، ويرى أن ذلك كان سبب هلاك السابقين فيقول: (إنما هلك من كان قبلكم، حين تشعبت هم السبل، وحادوا عن الطريق، فتركوا الآثار، وقالوا في الدين برأيهم فضلوا وأضلوا)^(٣).

وهو بذلك يوضح لنا أن للعقل أن يعمل ويتذكر، لكنها ليست الحرية الفكرية المطلقة التي تضل وتزدري وإنما هو فكر خاضع للبراهين الشرعية من الكتاب والسنة.

٣- الهدف الأخلاقي:

لا يمكن لأحد أن ينكر الارتباط الوثيق بين التربية الأخلاقية والعملية التعليمية، لأن تعلم العلم يتطلب روحًا شفافة وقلباً نظيفاً وعقلاً صافياً، ولا يتم هذا إلا بتجنب الآثام والمعاصي وتطهير النفس وتحسين الخلق.

من هنا يتضح لنا أهمية التحلي بالخلق الإسلامي الفاضل من جهة طالب العلم وكذلك العلماء حتى يكون غراس العلم قد وضع في تربة طيبة لينبت أشجاراً أصلها ثابت وفرعها في السماء.

^(١) أبو عثمان عمرو بن بحر المحافظ: مرجع سابق، جـ٣، ص(١٣٤).

^(٢) أبو حامد الغزالى: مرجع سابق، جـ٤، ص(٤٢٤).

^(٣) عيون الأخبار: مرجع سابق، جـ٢، ص(١٢٣).

والمُهْدَفُ الْأَخْلَاقِيُّ عِنْدَ الْحَسْنِ يَعْتَمِدُ فِي أُصْلَهُ عَلَى الشَّرْعِ الْإِسْلَامِيِّ وَمَا أَمْرَ
بِهِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَيَرْمِيُ الْحَسْنَ الْبَصْرِيَّ مِنْ وَرَاءِ هُدْفَهُ الْأَخْلَاقِيِّ لِلتَّرْبِيَّةِ إِلَى مَا يَلِي:

- أ - تَرْبِيَّةُ الْمُسْلِمِ عَلَى الْاقْتِدَاءِ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلًاً وَعَمَلًاً.
- ب - تَرْبِيَّةُ ضَمِيرِ الْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ وَطَهَارَتِهِ بِاطْنًا وَظَاهِرًا.
- ج - تَرْبِيَّةُ الْمُسْلِمِ التَّرْبِيَّةِ السُّلُوكِيَّةِ الَّتِي تَحْقِيقُ الْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةَ.

وَهُوَ يَدْعُو فِي التَّرْبِيَّةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ إِلَى مَعَالِيِ الْأَخْلَاقِ وَلَيْسَ إِلَى أَدْنَاهَا فَيَقُولُ
مُحَدِّدًا إِيَّاهَا: (مَعَالِيُ الْأَخْلَاقِ لِلْمُؤْمِنِ: قُوَّةُ فِي لَيْنٍ، وَحِزْمُ فِي دِينٍ، وَإِيمَانُ فِي يَقِينٍ
وَحِرْصُ عَلَى الْعِلْمِ، وَاقْتَصَادُ فِي النَّفَقَةِ، وَبَذْلُ فِي السُّعَةِ، وَقِنَاعَةُ فِي الْفَاقَةِ، وَرَحْمَةُ
لِلْمَجْهُودِ، وَإِعْطَاءُ فِي كَرْمٍ، وَبَرٌ فِي اسْتِقَامَةٍ). وَيَقُولُ أَيْضًا: (حَقِيقَةُ حَسْنِ الْخُلُقِ: بَذْلُ
الْمَعْرُوفِ، وَكَفُ الأَذِى، وَطَلَاقَةُ الْوِجْهِ). ^(١)

٤ - الْمُهْدَفُ الْاجْتِمَاعِيُّ:

مَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَمْكُنُ أَنْ يَعِيشَ وَحْدَهُ لَأَنَّهُ مَدْنِي بِطَبِيعَتِهِ يَخْتَالُ الطَّنَاسَ
وَيَعَاشُهُمْ، وَلَذِلِكَ يَرَى الْحَسْنَ الْبَصْرِيَّ أَنَّ الْفَردَ الْمُسْلِمَ لَا بُدَّ أَنْ يَتَشَرَّبَ كُلَّ مَا
يَحْتَاجُهُ مِنْ قِيمٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ لِيُتَكَيِّفَ مَعَ مَجَمِعِهِ وَبَيْتِهِ، وَلَذِلِكَ نَرَاهُ يَحْدُدُ الْأَشْيَاءِ
الَّتِي تَقْوِيُ الشَّعُورُ الْاجْتِمَاعِيُّ، وَيَبْيَنُ كُذَلِكَ مَفْسَدَاتَ هَذَا الشَّعُورِ.

وَيَمْكُنُ القُولُ بِأَنَّ الْأَهْدَافَ السَّابِقَةَ (الْدِينِيُّ وَالْمَعْرِفِيُّ وَالْأَخْلَاقِيُّ لِلتَّرْبِيَّةِ)، لَا تَؤْتِي
ثَمَارَهَا الْمَطْلُوبَةَ، وَلَا تَنْعَكِسَ آثارَهَا وَحْقِيقَتَهَا إِلَّا مِنْ خَلَالِ تَنْفِيذِهَا فِي الْوَاقِعِ
الْاجْتِمَاعِيِّ الْمَعَاشِيِّ، أَيْ فِي صُورَةِ عَلَاقَاتِ بَيْنِ النَّاسِ.

وَعَلَى هَذَا يَمْكُنُ القُولُ كُذَلِكَ بِأَنَّ الْمُهْدَفَ الْاجْتِمَاعِيَّ لِلتَّرْبِيَّةِ عِنْدَ الْحَسْنِ
الْبَصْرِيِّ لَا يَعْدُ أَنْ يَكُونَ انْعِكَاسًا لِلْمُهْدَفِ الْدِينِيِّ وَالْمَعْرِفِيِّ وَالْأَخْلَاقِيِّ لِلتَّرْبِيَّةِ عِنْدَهُ،
وَيَتَمَثَّلُ الْمُهْدَفُ الْاجْتِمَاعِيُّ فِي تَطْبِيقِ مَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ مِنْ الْقِيمِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَجَعَلَهَا
وَاقِعًا مَلْمُوسًا يَجْعَلُ الْأَفْرَادَ يَعِيشُونَ فِي حُبٍ وَمُوْدَةٍ.

^(١) غَذَاءُ الْأَلْبَابِ: مَرْجَعُ سَابِقٍ، جـ ١، ص ٣٦٠.

ثالثاً. أساليب التربية عند الحسن البصري.

يمكن تبين أساليب التربية عند الحسن البصري من خلال المعاور الرئيسية التالية:-

١. التربية بالقدوة.

(مهما يكن من أمر إيجاد منهج تربوي متكملاً، ورسم خطة محكمة لنمو الإنسان وتنظيم مواهبه وحياته النفسية والانفعالية والوجدانية والسلوكية واستنفاد طاقاته على أكمل وجه، مهما يكن من ذلك كله، فإنه لا يغنى عن وجود واقع تربوي يمثله إنسان مربٌ يحقق بسلوكيه وأسلوبه التربوي كل الأسس والأساليب والأهداف التي يراد إقامة المنهج التربوي عليها) ^(١).

لاشك أن للقدوة أثراً عظيماً في التربية، بل إننا لا نبالغ إذا قلنا إنها أعظم وسائل التربية تأثيراً في السلوك، وما ذلك إلا لأن الأقوال قد تنسى وينتهي أثرها بمجرد انتهائها، أما الأفعال والسلوكيات فإنها باقية الأثر، والحقيقة أن تربية الفرد يجب أن تقاس بمدى ما تبقى له من آثار سلوكية في شخصيته، ولذلك حرص الرسول ﷺ على أن يرشد أصحابه إلى الاقتداء به والتأنسي بأخلاقه فيقول ﷺ: (صلوا كما رأيتوني أصلني) ^(٢). فهذه دعوة إلى التربية العملية ووسيلتها القدوة. ولذلك نرى الحسن البصري - رحمه الله - يولي هذا الأسلوب من أساليب التربية (القدوة) اهتماماً بالغاً، ويمكننا أن نحدد نقاطاً ثلاثة تصف فيها أقوال الحسن البصري فيما يتعلق بالقدوة وهذه النقاط هي:

(أ)- أن النبي ﷺ هو قدوة المسلم ومثله الأعلى.

يقول الحسن البصري : (إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ على علم منه، اختاره لنفسه، وبعثه برسالته، وأنزل عليه كتابه، وكان صفوته من خلقه، رسوله إلى عباده،

^(١) عبد الرحمن التحاوى: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ط ٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٢م، ص (٢٥٤).

^(٢) علي بن عمر الدارقطني البغدادي: سنن الدارقطني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٨٦هـ، ج ١، ص (٢٧٣).

ثم وضعه من الدنيا موضعًا ينظر إليه أهل الأرض، وآتاه منه قوةً ومتلةً ثم قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١).

من خلال هذا النص نجد أن الحسن البصري يرشد المسلمين إلى ضرورة الاقتداء بالرسول ﷺ واقتفاء أثره، ويحذر من الانصراف عن سنته والرغبة عن هديه ولذلك نرى الحسن يعرض لنا صفة عيش النبي ﷺ كنموذج ليقتدي به كل مسلم فيقول: (ما بعث الله عز وجل محمدًا ﷺ يعرفون وجهه، ويعرفون نسبة، قال: (هذانبي، هذا خياري، خذوا سنته وسبيله) أما والله ما كان يغذى عليه بالجفان، ولا يغلق دونه الأبواب، ولا تقوم دونه الحجب. كان يجلس بالأرض، ويوضع طعامه بالأرض، ويلبس الغليظ، ويركب الحمار، ويردف خلفه، وكان يلعق يده).

(ب)- أن السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم يمثلون نماذج سلوكية حية لمن أراد أن يقتدي أو يتمثل:

ولذلك نجد الحسن البصري يذكر يكثر من وصف الصحابة والتابعين ومن بعدهم من السلف الصالح ليذكر هديهم، حتى يكونوا نصب أعين المقتدين وكذلك نجد له أقوالاً كثيرة في وصفهم رضوان الله عليهم، ومن ذلك ما يلي:

- قال الحسن يصف الصحابة رضي الله عنهم:

(أدركت صدر هذه الأمة وخيارها، وطال عمري فيهم، فو الله إنهم كانوا فيما أحل الله أزهد منكم فيما حرم الله عليكم. أدركتهم عاملين بكتاب ربهم، متبعين سنة نبيهم. ما طوى أحدهم ثوباً، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئاً، ولا أمر أهله بصنع طعام كان أحدهم يدخل منزلة، فإذا قرب إليه شيء أكل، وإذا سكت فلا يتكلم في ذلك).

* سورة الأحزاب: آية (٢١).

^(١) صالح أحمد الشامي: مرجع سابق، ص (٢٩).

* الجفان: جمع جفنة، وهي قصعة الطعام.

- قيل له: أخبرنا بصفة أصحاب رسول الله ﷺ، فبكى الحسن، ثم قال:
ظهرت منهم علامات الخير في السيماء والسمت، والهدي الصادق، وخشونة
ملابسهم بالاقتصاد، ومشاهم بالتواضع، ومنظفهم بالعمل، ومطعم لهم ومشربهم
بالطيب من الرزق، وحضورهم بالطاعة لربهم تعالى، واستقادتهم للحق ^{للحق مما أحبوا}
وكرهوا، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم، ظمت هواجرهم ^{*}، ونحلت أجسامهم،
 واستخفوا بسخط المخلوقين رضي الحال، لم يفرطوا في غضب، ولم يحيفوا في حور،
 ولم يجاوزوا حكم الله تعالى في القرآن. شغلوا الألسن بالذكر، وبذلوا دماءهم حين
استنصرهم، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم، ولم يمنعهم خوفهم من المخلوقين. حسنت
أخلاقهم، وهانت مؤنthem، كفاهم اليسير إلى آخرهم ^(١).

- كان الحسن رحمه الله يقارن بين جيل الصحابة والتابعين، والأجيال المتأخرة
من عاصرهم وعرفهم: ومقصده من ذلك أن يبين اتساع الهوة بين الجيلين لينهض
القاعدون ويقتدوا بالصالحين، وليدفع أصحابهم إلى الاقتداء والاستنان، وإدراك
ما هم فيه من تقصير وابتعد، وذلك نجده في قوله رحمه الله: (نصحك ولا ندرى لعل
الله قد اطلع على بعض أعمالنا فقال: لا أقبل منكم شيئاً ويحك ابن آدم هل لك
محاربة الله طاقة، إنه من عصى الله فقد حاربه. والله لقد أدرك سبعين بدرياً. أكثر
لباسهم الصوف، ولو رأيت موهم قلتم مجانين، ولو رأوا خياركم لقالوا: ما هؤلاء من
خلق، ولو رأوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب ولقد رأيت أقواماً
كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه، ولقد رأيت أقواماً يسي
أحدهم، وما يجد عنده إلا قوتاً، فيقول: لا أجعل هذا كله في بطني، لا أجعل بعضه لله
عز وجل، فيتصدق ببعضه، وإن كان هو أحرج من يتصدق به عليه).

* أي انقيادهم.

* جمع هاجرة وهي نصف النهار، والمراد أنهم صاموا فأصابهم الظماء بسبب ذلك عند شدة الحر.

(١) صالح أحد الشامي: المراجع السابق، ص (٣٢).

وقال: (لقد أدركت أقواماً، كانوا أُمر الناس بالمعروف، وآخذهم به، وأفني الناس عن منكر أتركم له، ولقد بقينا في أقوام أُمر الناس بالمعروف، وأبعدهم عنه وأفني الناس عن المنكر وأدفعهم فيه فكيف الحياة مع هؤلاء) ^(١).

وقال أيضاً: (كان من كان قبلكم أرق منكم قلوباً، وأصفق ثياباً، وأنتم أرق ثياباً وأصفق قلوباً).

ففي هذه النصوص السابقة نجد الحسن بن الصادق على الأخلاق الآتية:

(العمل بالكتاب والسنّة، الزهد، الالتزام بالمهدي النبي ظاهراً وباطناً، الاقتصاد، التواضع، أكل الطيبات، الانقياد للحق، كثرة الصيام، المحرص على إرضاء الخالق، العدل، كثرة الذكر، بذل النفس، النفقة، الأمر بالمعروف والعمل به، النهي عن المنكر والبعد عنه، رقة القلوب، خشونة الملابس).

- كان الحسن رحمة الله يوصي بالإقتداء بالسلف الصالح، ويحذر من الحديثات: لأنها شر لأمور، قال: (اعرفوا المهاجرين بفضلهم، واتبعوا آثارهم. وإياكم وما أحدث الناس في دينهم، فإن شر الأمور الحديثات).

(ج)- أن الحسن البصري يدعو المسلم إلى أن يكون قدوة لغيره بفعله قبل أن يكون قدوة بقوله، وهو يغري المسلم بذلك، لأنه سيكتب له أجر من يعمل بمثل عمله، وله في ذلك أقوال كثيرة منها:

- من استطاع منكم أن يكون إماماً لأهله، إماماً لحيه، إماماً لمن وراء ذلك، فإنه ليس شيء يؤخذ عنك، إلا كان لك منه نصيب - وهو يوصي المسلم القدوة بأن يكون أول من يأمر بالمعروف الذي يدعو إليه، وأول من ينتهي عن المنكر الذي ينهى عنه، قال: (إذا كنت أمراً بالمعروف، فكن من آخذ الناس به وإنما هلكت، وإذا كنت من ينهى عن المنكر، فكن من أنكر الناس له وإنما هلكت).

^(١) المحافظ الأصحابي: مرجع سابق، جـ ٢، ص (١٥٥).

- قال: (عظ الناس ب فعلك، ولا تعظمهم بقولك). ويقول: (جالس من تكلمك أعماله، ولا تجالس من يخاطبك مقاله)^(١).

٢. التربية بالاعتبار.

الاعتبار أحد وسائل التربية التي دعا إليها الحسن البصري رحمه الله، فهو بذلك ينجز نجح القرآن الذي كان للاعتبار فيه حظ وافر فليس أحد يقرأ القرآن إلاً ويجد فيه من قصص الأنبياء والسابقين ما يدعوه إلى النظر والاعتبار، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي يَبْيَنْ يَدِيهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقال سبحانه وتعالى في سورة الحشر بعد أن ذكر إخراجه للذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم، قال سبحانه: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولَئِكَ الْأَبْصَارُ﴾^{*}.

فهو سبحانه يدعونا إلى الاعتبار، وهو أن ننقل الفائدة التي فطنا إليها من الآيات والقصص من الحادثة التي وقعت فيها إلى واقع حياتنا لنكون على هدى وبصيرة ولنحذر أن نقع فيما وقع فيه المخالفون.

وقد استعمل النبي ﷺ الوسيلة ذاتها في تربيته لأصحابه في كثير من المواقف، فنراه ﷺ وقد جاءه أحد أصحابه يسأله أن يدعو لهم وأن يستنصر لهم فقال له: (قد كان فيمن قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ثم يجاء بال المشار يجعل فوق رأسه ما يصرفه عن دينه أو يمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب ما يصرفه عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله عز وجل والذئب على غنميه ولكنكم تجعلون)^(٣). وهو ﷺ يذكر هذا المثل

^(١) صالح أحمد الشامي: مرجع سابق، ص (٢٩).

^{*} سورة يوسف: آية (١١١).

^{*} سورة الحشر: آية (٢).

^(٢) أحمد علي المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي: مسند أبي يعلى، ط١، دار المؤمن، دمشق، سوريا، ٤٠٤ هـ—١٣، ص (١٧٤)، تحقيق: حسين سليم أسد.

لينبه أصحابه إلى سنة الابتلاء والتمحیص وإلى أن كل من يحمل دین الله لا بد أن يکابد لينظر الله صبره وثباته، وھؤلاء الصحابة ليسوا بداعاً من حملة الدين وجندوه من كان قبلهم.

وإذا تبعنا أقوال الحسن البصري رحمه الله في هذا الجانب وهو - التربية بالاعتبار - رأينا يکثر من ذكر صور من كان قبل جيله وهو يهدف من ورائها إلى أن يأخذ بأيدي الناس لكي يكونوا على ما كان عليه سلفهم الصالح من خير القرون، وله في ذلك أقوال كثيرة بخترى منها ما يلي:-

جاء فيما كتبه الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: (... ولقد عرضت الدنيا على نبينا صلى الله عليه وسلم بمحفاتها وخزانتها ولم ينقصه ذلك عنده (عند الله) جناح بعوضة، فأبى أن يقبلها، وما منعه من القبول لها إلا أنه علم أن الله تعالى أبغض شيئاً فأبغضه، وصقر شيئاً فصغره، ووضع شيئاً فوضعه، ولو قبلها كان الدليل على حبه إياها قبولاً، ولكنه كره أن يحب ما أبغض خالقه، وأن يرفع ما وضع مليكه)... إلى أن يقول: (...) فأما محمد ﷺ فشدّ الحجر على بطنه من الجوع، وأما موسى عليه السلام فرأى خضراء البقل من صفاق بطنه من هزاله، ما سأله الله تعالى يوم أوى إلى الظل إلا طعاماً يأكله من جوعه، ولقد جاءت الروايات عنه: إن الله تعالى أوحى إليه: (أن يا موسى، إذا رأيت الفقر مقبلاً، فقل: مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى قد أقبل فقل: ذنب عجلت عقوبته). وإن شئت ثلثته بصاحب الروح والكلمة، ففي أمره عجيبة، كان يقول: (أدمي الجوع، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، ودابتي رجلي، وسرافي بالليل القمر، وصلابتي في الشتاء الشمس، وفاكهتي وريحانتي ما أنبتت الأرض للسباع والأنعام، أبيت وليس لي شيء، وليس أحد أغنى مني).

ولو شئت ربعت بسليمان بن داود عليهما السلام، فليس دونهم في العجب، يأكل خبز الشعير في خاصته، ويطعم أهله الحشكار (رديء الدقيق) والناس الدرمك (الدقيق الحواري الأبيض) فإذا جنَّه الليل، لبس المسوح، وغلَّ اليد إلى العنق، وبات باكياً حتى يصبح، يأكل الخشن من الطعام، ويلبس الشعر من الثياب.. كل هذا

يغضون ما أبغض الله عز وجل، ويصغرون ما صغر الله تعالى ويزهدون فيما فيه زهد،
ثم اقصى الصالحون بعد منهاجهم... الخ).^(١)

وهي رسالة طويلة اشتملت على كثير من العبر والفوائد التي من شأنها أن تربى المسلم التربية الإسلامية الفاضلة، وفي هذه الرسالة نرى الحسن يذكر لعمر بن عبد العزيز أخبار الأنبياء ثم الصالحين ليتعظ منها الخليفة ويعتبر بها وفي ذلك التأثير والتعليم.

والحسن رحمه الله يبين لنا قيمة التربية بالاعتبار فيقول: (ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، ومن علم عمل). فهو هنا يجعل الاعتبار أساساً للهداية الذي من ابتدأ به ترقى في مدارج العاملين.

وفي موضع آخر يقول: (رحم الله امراً نظر فكر، وفكراً فاعتبر، واعتبر فأبصر، وأبصر فصبر، لقد أبصر أقواماً فذهب الجزع بقلوهم، فلم يدركوا ما طلبوا، ولا رجعوا إلى ما فارقوا، فخسروا الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين)^(٢). ويقول أيضاً: (من لم يكن نظرة اعتباراً فهو له)^(٣).

وكثيراً ما كان الحسن رحمه الله يتحدث عن الجيل السابق من السلف الصالحة فيتذكر صحبته لهم وما كان فيها من عبر، وأقواله في ذلك كثيرة جداً نقف منها على مثل قوله:-

- (لقد صحبت أقواماً إن كان أحدهم ل تعرض له الحكمة، لو نطق بها نفعته، ونفعت أصحابه، فما يمنعه منها إلا مخافة الشهادة، وإن كان أحدهم ليمر في الأذى في الطريق، فيما يمنعه أن ينحيه إلا مخافة الشهادة).

- ويقول: (إن الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به حاره، وإن كان الرجل ليصلّي الصلاة الطويلة في بيته، وعنده الزور، وما يشعرون به).

^(١) أبو نعيم : مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص (٣٤) .

^(٢) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي : مرجع سابق ص (١٢٤) .

^(٣) أبو حامد الغزالى : مرجع سابق ، جـ ٤ ، ص (٤٥٤) .

- ويقول: (لقد مضى بين أيديكم أقوامٌ، لو أن أحدهم أنفق عدد هذا الحصى، لخشي أن لا ينجو من عظم ذلك اليوم) ^(١).

- وفي منهج الحسن للتربية بالاعتبار بمحده يدعو إلى أن تتأمل فيما حولنا ونعتبر منه، فإن الله في كل شيء آية تذكر العباد لكنهم عنها معرضون، قال الله تعالى: ﴿لَوْكَائِنُ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾، ولقد روي عن الحسن أنه حضر يوماً مجلساً جمع شيوخاً وشباباً فقال: (معشر الشباب: كم من زرع لم يبلغ قد أدركته الآفة فأهلكته، وأتت عليه الجائحة فأتلفته، ثم بكى وتلا: ﴿لَوْيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾).

- وحضر يوماً جنازة، ثم قال: (أيها الناس اعملوا مثل هذا اليوم فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وسترون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعلمون. أيها الناس اغتنموا الصحة والفراغ وبادروا بالأعمال من قبل يوم تشخيص فيه القلوب والأبصار) ^(٢).

وهكذا نرى اعتماد الحسن (الاعتبار) كوسيلة من وسائل التربية ينبع فيها نهج القرآن ويبين أهميتها، ويرشد إلى الاعتبار بما حولنا من أحداث وأشياء.

٣. التربية بالنصيحة.

النصيحة في اللغة الإخلاص، يقال: نصحت العسل إذا صفيته، وقيل: هي كلمة يعبر عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له، وأصل النصح الخالوص. نقىض

^(١) ابن المبارك: الزهد ص (٤٥).

سورة يوسف: آية (١٠٥).

سورة إبراهيم: آية (٢٥).

^(٢) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مراجع سابق, ص (١٣١).

الغش^(١). وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: (الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: الله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم)^(٢).

والنصيحة لكتاب الله تعني الإيمان به والعمل بما فيه، والنصيحة لرسوله تعني التصديق بنبوته ورسالته والعمل بما أمر به واجتناب ما نهى عنه، ونصيحة الأئمة أن يطيعهم في الحق ويعاونهم عليه ويدركهم برفق ولطف ويترك الخروج عليهم، ونصيحة عامة المسلمين تكون بإرشادهم إلى مصالحهم في الدنيا والآخرة.

وقد حرص الحسن البصري على استعمال هذه الوسيلة التربوية، ونراه يبين لنا حق وعظ المسلم على أخيه وألا يكون ذلك بالقول وحده بل وبال فعل قبله، فيقول: (عظ الناس بفعلك، ولا تعظهم بقولك)^(٣).

وحتى تؤدي التربية بالنصيحة دورها وتؤثر أثراً لها نرى الحسن البصري يوصي من ينصح غيره بأن يكون هو ملتزماً بما ينصح به حتى لا يقع تحت إنكار الله تعالى على ما يفعلون ذلك بقوله سبحانه: ﴿لَيَاٌيَهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا نَّا لَّا تَفْعَلُونَ﴾^(٤) كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون^(٥). يقول الحسن البصري: (إذا كنتَ آمراً بالمعروف فكن من آخذ الناس به، وإلا هلكت، وإذا كنتَ من ينهى عن المنكر، فكن من أنكر الناس له وإلا هلكت).

والحسن البصري يرى أن النصيحة إذا لم تتوافق حال قائلها، فإنها لن تؤدي أثراً المقصود منها، بل إن الحياة مع أمثال هؤلاء حينئذ قد تستحبيل، ولذلك نراه يقارن بين حال النصيحة عند السلف وحالها عند الخلف، فيقول: (لقد أدركت أقواماً، كانوا آمر الناس بالمعروف وآخذهم به، وأنهى الناس عن المنكر أتركم لهم له)،

^(١) ابن منظور: مراجعة سابق، جـ٢، ص(٦١٥ - ٦١٦).

^(٢) مسلم بن الحاج القشيري اليسابوري: صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت ، جـ١، ص (٧٤).

^(٣) صالح أحمد الشامي: مراجعة سابق، ص (١٤٨).

* سورة الصاف: آية (٢ - ٣).

ولقد بقينا في أقوام أمر الناس بالمعروف وأبعدهم عنه، وأفهى عن المنكر وأوقعهم فيه فكيف الحياة مع هؤلاء؟^(١).

ولذلك نرى الحسن رحمه الله يدعو لمن ينصح المسلمين ويعظ لهم، فيقول: (رحم الله رجالاً وعظ أخاه وأهله، فقال: يا أهلي، صلاتكم صلاتكم، زكاتكم زكاتكم، جيرانكم جيرانكم، إخوانكم إخوانكم، مساكنكم مساكنكم، لعل الله يرحمكم، فإن الله تبارك وتعالى أثني على عبد من عباده فقال:-

لَمْ يَكُنْ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ^(٢).

إن الموعظة لا تكفي وحدها في التربية إذا لم يكن بجانبها القدوة والوسط الذي يسمح بتقليل القدوة ويشجع على الأسوة بها، فالقدوة المنظورة الملمسة هي التي تعلق المشاعر، ولا تتركها هبط إلى الواقع وتسكن بلا حراك.

وحيث توجد القدوة الصحيحة فإن الموعظة تكون ذات أثر بالغ في النفس، وتصبح دافعاً من أعظم الدوافع في تربية النفوس.

وقد حرص الحسن البصري على أن يسوق الموعظ التي يرمي من ورائها إلى تربية الأفراد وإصلاحهم، وفيما أثر عنه بحد مواضع كثيرة يضيق المقام عن ذكرها لكننا هنا نشير إلى بعض ما يخص جانب التربية من مواعظ:

- يقول رحمه الله: (إن هذا الدين قوي، وإن الحق ثقيل، وإن الإنسان ضعيف، فليأخذ أحدكم ما يطيق، فإن العبد إذا كلف نفسه من العمل فوق طاقتها خاف عليها السآمة والترك).

- وكان يقول: (أيها الناس إنما خلقنا للفناء، ولكننا خلقنا للبقاء وإنما ننتقل من دار إلى دار).نظم ذلك أبو العلاء^{*}، فقال:-

^(١) صالح أحد الشامي: مرجع سابق ص ٣٧-٤٢.

سورة مريم: آية ٥٥.

^(٢) محمد قطب: منهاج التربية الإسلامية، طه، دار الشروق، مصر، ١٤٠١هـ، ج ١، ص ١٨٧.

* أبو العلاء المعري: أحمد بن عبد الله بن سليمان الفطاطي، شاعر مشهور، لغوي، ولد (٣٦٣هـ) فقد بصره صغيراً، مات (٤٤٩هـ).

أمة يحسبونهم للفناء

خلق الناس للبقاء فضلت

إلى دار شقة أو رشاد

إنما ينقلون من دار أعمالٍ

- ويقول: (ابن آدم تستحل المحارم وتتأتى الجرائم، وتركب العظام، وتتنمى

على الله الأمان، ستعلم أي فاجر؟ حين لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب
سليم)^(١):

وهكذا نجد مواعظ الحسن تدعوا إلى تهذيب الفرد وتربيته تربية إسلامية
عالية، فهو في الوعظة الأولى يدعو إلى الرفق في الدين، وفي الثانية يحذر من الركون إلى
الدنيا، وفي الموعظة الثالثة يحذر من الغرور بالدنيا والانشغال بالأمان، وهكذا في
معظم مواعظه.

وفي النص التالي نجده يبين لنا حق المسلم على أخيه في النصيحة كما يبين لنا
فوائد النصيحة والموعظة فيقول: (أيها الناس، إني أعظمكم ولست بخيركم ولا
أصلحكم، وإن لكتير الإسراف على نفسي، غير محكم لها، ولا حاملها على الواجب
في طاعة ربها، ولو كان المؤمن لا يعظ أخاه إلا بعد أحكام أمر نفسه لعدم الوعاظون،
وقل المذكورون، ولما وجد من يدعو إلى الله جل ثناوه، ويرغب في طاعته، وينهى عن
معصيته، ولكن في اجتماع أهل البصائر، ومذاكرة المؤمنين بعضهم بعضاً حياة لقلوب
البصائر، ومذاكرة المؤمنين بعضهم حياة لقلوب المتقين، وإدكار من الغفلة، وأمن من
النسوان فالزموا عافاكم الله بمحالس الذكر، فرب كلمة مسموعة، ومحترق نافع، اتقوا الله
حق تقاته ولا تموتون إلا وانتم مسلمون).

ففي هذا النص نجد الحسن يذكر لنا أهمية التربية بالنصيحة والموعظة ويبين لنا
أهمية ذلك وفوائده والتي تمثل فيما يلي:

١ - حياة القلوب والبصائر.

٢ - مذاكرة المؤمنين بعضهم بعضاً.

^(١) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي : مرجع سابق، ص (٥٣).

٣- الإذكار من الغفلة.

٤- أمن النسيان.

وكان رحمة الله يؤثر الإيجاز في النصيحة لأن كثرة الكلام ينسى بعضه بعضاً.
كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد يا أمير المؤمنين: (إِن طُول البقاء إِلَى
فِنَاءٍ مَا هُوَ، فَخُذْ مِنْ فَنَائِكَ الَّذِي لَا يَقْعِدُ إِلَى بَقَائِكَ الَّذِي لَا يَفْنِي وَالسَّلَامُ). فلما
قرأ عمر الكتاب بكى، وقال: (نَصَحَّ أَبُو سَعِيدٍ وَأَوْجَزَ) ^(١).

^(١) صالح أحمد الشامي: مرجع سابق، ص: ٥٠-٥١.

(رابعاً): مجالات التربية عند الحسن البصري

نناقش هذه المجالات من خلال المخاور الرئيسية التالية :-

١. التربية الإيمانية.

في الصفحات السابقة تعرض البحث إلى أساليب التربية عند الحسن وفي الصفحات الآتية نناقش مجالات التربية عنده بدءاً بتعريف الإيمان ورؤى الحسن البصري له ومفهوم التربية الإيمانية عنده، والمهدى الذي تسعى إليه، وسبل تحقيقها. حتى يفضي بنا الحديث إلى نتائج الإيمان بالله تعالى في الدارين والباحث هنا يتحدث عن التربية الإيمانية لشمولها وعمومها لأنها لا تشمل الروح والجسد فقط بل هي أوسع من ذلك فهي اعتقاد وعمل وتصديق، في القلب واللسان والجوارح^(١).

هذه التربية من الأهمية بمكان بحيث لو تأملنا سيرة الرسول ﷺ، في تربيته لأصحابه عليهم رضوان الله وبالأخص في الفترة الملكية فما بعدها فإننا سنجد جلل اهتمامه ﷺ كان منصبًا على التربية الإيمانية، وغرس العقيدة في نفوسهم^(٢). وما يدل على أهمية هذه القضية أن الوحي خلال الفترة الملكية ظل يعني بها ويتحدث عنها فقد ت النوع نزول الوحي على رسول الله ﷺ وعالج قضية الإيمان بالله واليوم الآخر والقدر خبره وشره، من خلال التذكير بعظمته اللہ وقدرته في الأنفس ، والآفاق. وكذلك التذكير باليوم الآخر، والحديث عنبعث والنشور، وذكر قصص الأمم السابقة وما حصل لهم من عقاب بسبب تكذيبهم الأنبياء والرسل. وكذلك التذكير بظاهرة الحياة والموت.

(١) عبد الله الوظاف وآخرون: كتاب الإيمان، دار القلم، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٨٢، ص (١٥).

(٢) حسن بن علي الحجاجي: الفكر التربوي عند ابن القيم، دار حافظ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، جدة ١٤٠٨هـ، ص (١٩١).

كما أنها في العهد المدني لم تغفل من شأنها لا بل كانت أساس الأحكام والتشريعات، من ذلك مثلاً ما نجده في فريضة الصوم في قول الله تعالى عند فرضها: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» *.

فالخطاب التكليفي في هذه الآية التشريعية لفريضة الصوم بالوصف الإيماني ومن ذلك قوله تعالى في تشريع آخر وهي شريعة القصاص إذ يقول جل شأنه:

«وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» .

والتفوي ركيزة الإيمان. ومن هنا ندرك أن قضية التربية الإيمانية تلمس عند كل فريضة أو حكم من الأحكام، وهذا يدل على مكانة وأهمية بناء جانب الشخصية المسلمة بل يعد هذا الجانب من صميم الدعوة الإسلامية؛ لأن الإسلام حياة النفوس البشرية والضمير الحي، والوحدان السامي الذي يسمى بالإنسان من البشرية إلى مصاف الملائكة الأخيار إذ يجعل مخافة الله وخشيته سبحانه نصب عينه.

والغرض من ذلك كله تقوية إيمانهم بالله، جل وعلا^(١)، وجعل الإنسان رقيباً على نفسه ومحاسباً لها؛ لأنه بهذه التربية الإيمانية يدرك أن الله معه بعلمه أينما كان وحيثما اتجه قال جل جلاله:

«مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ إِلَّا هُوَ رَابِّهِمْ وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرٌ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ...» ^(٢).

* سورة البقرة: آية (١٨٣).

٠ سورة البقرة: آية (١٧٩).

^(١) حسن علي حسن الحجاجي: مراجع سابق, ص (١٩٦).

^(٢) سورة الجادلة: آية (٧).

ومتى وجدت هذه الشخصية الإسلامية الفريدة فإنها تكون بالفعل مؤهلة لتحمل هم الإسلام قولهً وعملاً وعقيدةً ومنهجاً في النفس، تقدمه للناس وتحمل في سبيله الأذى والمشاق مهما عظمت^(١).

لكننا بعد أن عرفنا أهمية التربية الإيمانية فإننا بحاجة إلى تعريف الإيمان؛ ومعرفة رؤية الحسن البصري له.

تعريف الإيمان.

الإيمان كما جاء في الاصطلاح قول واعتقاد وعمل. أي أنه قول باللسان يصدق الاعتقاد ويكون العمل ثمرته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَأُوا﴾ وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

فالإيمان من خلال هذه الآية هو الاعتقاد الذي لا يخالطه ريب أو شك وهو العمل المتمثل في الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله^(٢)، لذا لا بد من التلازم بين الاعتقاد والعمل وإلا فلن يقبل الإيمان المجرد لأن إبليس كان معتقداً بالله، فقد جاء على لسانه في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿رَبُّ فَإِنَّظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَعْثُونَ﴾، ومع ذلك فقد وصفه الله بالكفر عن عمل ما أمره الله به، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَأَسْتَكَبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

^(١) حسن علي حسن الحاجي: مرجع سابق، ص (١٩٢).

* لم يرتايو: لم يشكوا.

* سورة الحجرات: آية (١٥).

^(٢) عبدالله الوظاف وآخرون: مرجع سابق، ص (٤١).

* سورة ص: آية (٧٩).

* سورة البقرة: آية (٣٤).

ولقد امتدح الله في كتابه الإيمان وأهل الإيمان في مثل قوله تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ» *.

والإيمان: عقيدة تستقر في القلب استقراراً يلزمه، ولا ينفك عنه، ويعلن صاحبها بلسانه عن العقيدة المستكنته في قلبه، ويصدق الاعتقاد والقول بالعمل وفق مقتضى هذه العقيدة^(١).

معنى الإيمان عند الحسن البصري.

يرى الحسن البصري رحمه الله أن الإيمان ليس مظهراً خاوياً ولا دعوى كاذبة وإنما هو عقيدة يصدقها عمل، فهو يقول: (ابن آدم الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني، ولكنه بما وقر في القلب وصدقه الأعمال)... ونحن نقف عند هذا النص التربوي الإيماني لنسخلص منه ما يلي:

١ - أن الإنسان لا يصل إلى الإيمان بالتمظهر والشكلية المقوته؛ لأن الإيمان لا يتحقق بالأمني المحسولة، والدعوى الباطلة التي لا تحقق هدفاً ولا تبني أملاً، وإنما الإيمان يقين في القلب يترجمه السلوك.

٢ - أن القلب ركيزة قوية، لأنه مكان الخير والشر والإصلاح والإفساد للإنسان المتمتي لهذه الأمة الحمدية، وفي الحديث: (ألا إنَّ في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)^(٢).

٣ - أن العقيدة المستقرة في القلب دون عمل يوافقها لا تكفي، ولذلك نراه يقول: (وصدقته الأعمال). وهذا أمر يؤكد قضية التلازم بين القول باللسان والاعتقاد بالقلب والعمل بالجوارح، لذلك نرى الحسن البصري يؤكد هذا الأمر بتعريف آخر للإيمان فقد قال له رجل: (يا أبا سعيد ما الإيمان؟) قال: (الصبر والسامحة). فقال

* سورة المؤمنون: آية (١).

^(١) عمر سليمان الأشقر: العقيدة في الله، ط ١٠، دار الفائق، الأردن، ٤١٥ هـ، ص (١٩).

^(٢) محمد ناصر الدين الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ٤٠٢ هـ، ج ٣، ص (١٠٢).

الرجل: (يا أبا سعيد فما الصبر والسامحة)? قال: (الصبر عن معصية الله والسامحة
بأداء فرائض الله عز وجل)^(١).

٤- وكما أن العقيدة التي لا تتحول إلى عمل يصدقها لا تنفع صاحبها، فإن
العمل الذي يقوم على غير تصديق وعقيدة لا ينفع عامله وإن كان ظاهره صلاحاً،
ألم يكن المنافقون يصلون ويقرؤون القرآن ويتصدقون ويقومون بكل الأمور العبادية
لكنهم لم يصدقوا ذلك اعتقاداً ونطقاً بالشهادتين ومع ذلك فهم في قعر جهنم.

وتصديقاً لهذا نجد الحسن البصري رحمه الله يقول: (إذا أظهر الناس العلم
وضيعوا العمل، وتحابوا بالألسن، وتباغضوا بالقلوب، وتقاطعوا في الأرحام، لعنهم الله
جل ثناؤه فأصمهم وأعمى أبصارهم).

٥- أن الإنسان لا يجد ثمرة الإيمان إلا إذا مارس العبادة بالجوارح، وكان عمله
مطابقاً لمعتقده.

ولذلك نجد الحسن يقول: (تفقد الحلاوة في ثلاثة: في الصلاة، القراءة
والذكر، فإن وجدت ذلك فامض وأبشر، وإلا فاعلم أن بابك مغلق فعالج فتحه)^(٢).

كما نجده يحدد علامات لأهل الإيمان والتقوى يعرفون بها فيقول: إن لأهل
التقوى علامات يعرفون بها: صدق الحديث، والوفاء بالعهد، وصلة الرحم، ورحمة
الضعفاء، وقلة الفخر والخيلاء، وبذل المعروف، وقلة المباهة للناس، وحسن الخلق،
وسعنة الخلق مما يقرب إلى الله عز وجل، فقد كان يقول: (بابن آدم، إِنَّكَ نَاظِرٌ إِلَى
عْمَلِكَ يُوزَنُ إِلَى خَيْرِهِ وَشَرِهِ، فَلَا تَحْقِرُنَّ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئاً، وَإِنْ هُوَ صَغِيرٌ، إِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ
سَرَّكَ مَكَانَهُ، وَلَا تَحْقِرُنَّ مِنَ الشَّرِ شَيْئاً، إِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ سَاءَكَ مَكَانَهُ). فرحم الله رجلاً
كسب طيباً، وأنفق قصدأً، وقدم فضلاً ليوم فقره وفاته.

(١) الحافظ الأصفهاني: مراجع سابق, جـ ٢، ص (٤٨).

(٢) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مراجع سابق, ص ص (٤٦ - ٥٤).

هيئات هيهات، ذهبت الدنيا بحالٍ ما لهاً، وبقيت الأعمال قلائد في أعناقكم
وقد أُسرعَ بخياركم، فما تنتظرون؟ المعينة؟ فكأن قد كان.

إنه لا كتاب بعد كتابكم، ولا نبي بعد نبيكم، يابن آدم، بع دنياك بآخرتك
ترجهمما جيغاً ولا تبىعنَ آخرتك فتخسر هما جيغاً^(١).

مفهوم التربية الإيمانية عند الحسن البصري.

من خلال ما سبق يستطيع الباحث أن يقول إنَّ التربية الإيمانية هي جملة
الأنشطة، أو جملة الأفعال من القول والفعل التي يقوم بأدائها كل من يمارس التربية
تحاه المربّي، أو التي يقوم بها الفرد مع نفسه وذلك في الحافظة على إيمانه، والقيام
بتكميله، وزيادته... ونحن نجدنا بنفس المفهوم لدى الحسن البصري فنراه مثلاً يقول:
(من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده صلاته من الله عز وجل إلا بعدها، ولا
عنه جَل شأوه إلا مقتاً)^(٢).

كما كان يقول: (الإسلام، وما الإسلام؟ السر والعلانية فيه مشتبهه، وأن
يُسلِّم قلبكَ لله، وأن يَسْلِمَ منكَ كل مسلم، وكل ذي عهد)^(٣). وهو بهذا يريد أن
تبذل الجهد التربوي مع الفرد المربى حتى يحدث عنده التوافق في الشكل والمضمون أو
في المظهر والجوهر، وهذه قيمة الإيمان والتربية معناها الحق أن يكون المربى في ظلها
الوارف وحاماها الغدق أو أن يعيش لها وبها، متبعاً لأمر الله وسنة رسوله الكريم ﷺ لا
مبتدعاً. والحسن البصري يقرر الاتباع للهدي النبوى الكريم بإتباع الرسول والاقتداء
به، كان يقول: (إنَّ الله تعالى بعث محمداً عليه السلام على علمٍ منه، اختره
لنفسه وبعثه برسالته وأنزل عليه كتابه، وكان صفوته من خلقه، ورسوله إلى عباده، ثم
وضعه من الدنيا موضعاً ينظر إليه أهل الأرض، وآتاه منه قوةً ومتلةً ثم

* لعل المقصود حالتنا الرخاء والشدة.

^(١) الحافظ الأصفهاني: مراجع سابق, جـ٢, ص(١٤٣).

^(٢) ابن الجوزي: مراجع سابق, ص (٦٠).

^(٣) صالح أحمد الشامي: مراجع سابق, ص (٤٣).

قال: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةً»، فرغب أقوامٌ عن عيشه، وسخطوا ما رضى له ربّه، فأبعدهم الله وأسحقهم).

والحسن في هذا النص يدلنا على أن النجاة والفوز هو بالاقتداء بـمـهـدي رسول الله ﷺ، والرضا بذلك، والابتعاد عن ذلك معناه الهاـلاـكـ، ويعـضـدـ ما قالـهـ قبلـ قـلـيلـ عنـ الـاتـبـاعـ لـالـهـدـيـ الـرـبـانـيـ قولـ الحـسـنـ: (الـمـؤـمـنـ لـمـ يـأـخـذـ دـيـنـهـ عـنـ رـبـهـ وـلـكـهـ أـخـذـهـ مـنـ قـبـلـ رـبـهـ). إـنـ هـذـاـ الحـقـ قدـ جـهـدـ أـهـلـهـ وـحـالـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ شـهـوـاـهـمـ، وـمـاـ يـصـيرـ عـلـيـهـ إـلـاـ مـنـ عـرـفـ فـضـلـهـ، وـرـجـاـ عـاقـبـتـهـ. فـمـنـ حـمـدـ الدـنـيـاـ ذـمـ الـآـخـرـةـ. وـلـيـسـ يـكـرـهـ لـقـاءـ اللهـ إـلـاـ مـقـيمـ عـلـىـ سـخـطـهـ).

فالحسن بهذا النص يحدد مسارات المؤمن أو التربية الإيمانية له المبنيةة من أخذه الدين من قبل رب سبحانه وتعالى. والمعرفة بقدر هذا الدين وإنه الحق الذي جـهـدـ أـهـلـهـ وـحـالـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ شـهـوـاـهـمـ، وـالـصـبـرـ عـلـيـهـ لـاـ يـكـوـنـ إـلـاـ مـنـ عـرـفـ فـضـلـ ذـكـ الحقـ، وـرـغـبـ بـمـاـ عـنـدـ اللهـ، مـنـ الـعـاقـبـةـ وـالـفـضـلـ الـعـمـيـمـ، فـيـ الدـنـيـاـ وـبـعـدـهـ فـيـ الـآـخـرـةـ.

ومن التربية الإيمانية عند الحسن البصري توجيهه فضل الله تعالى وفق ما يرضي رب سبحانه، مقتدين بهذا الفعل طريق السلف الصالح من هذه الأمة كان يقول: (رـحـمـ اللـهـ اـمـرـأـ كـسـبـ طـيـباـ وـأـنـفـقـ قـصـداـ، وـقـدـمـ فـضـلـاـ). وجـهـواـهـذاـ الفـضـلـ مـنـ الدـنـيـاـ حيثـ وجـهـهاـ اللـهـ، وـضـعـهـاـ حـيـثـ أـمـرـ اللـهـ؛ فـإـنـ مـنـ كـانـ قـبـلـكـمـ كـانـواـ يـأـخـذـونـ مـنـ الدـنـيـاـ بـلـاغـهـمـ وـيـؤـثـرـونـ بـالـفـضـلـ) ^(١). والحسن البصري يشترط لهذه التربية الإيمانية شرطين:

الشرط الأول: أن تكون هذه التربية مرتبطـةـ دائمـاـ بـكـتابـ اللهـ وـسـنةـ رسولـهـ ﷺ، قالـ: (إـنـ اللـهـ تـعـالـىـ بـعـثـ مـحـمـداـ عـلـيـهـ السـلـامـ عـلـىـ عـلـمـ مـنـهـ)، اختاره لنفسه وأنزل عليه كتابه، وكان صفوته من خلقه، ورسوله إلى عباده، ثم وضعه من الدنيا موضعـاـ يـنـظـرـ إـلـيـهـ أـهـلـ الـأـرـضـ، وـآـتـاهـ مـنـهـاـ قـوـتاـ وـبـلـغـةـ ثـمـ

سورة الأحزاب : آية (٢١).

^(١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: مرجع سابق، جـ٣، صـصـ (١٣٣ - ١٣٥).

قال: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»، فرغب أقوام عن عيشه، وسخطوا ما رضى له ربّه، فأبعدهم الله وأسحقهم. يابن آدم اذكر قوله: «وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِزَمْنَاهُ طَائِرٌ فِي عُنْقِهِ وَتَخْرُجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا»^(١٣) اقرأ كتابك كفّي بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا»، عَدْلٌ وَاللهُ عَلَيْكَ مِنْ حَسِيبِكَ نَفْسِكَ).

والشرط الثاني: أن تظل التربية الإيمانية متواصلة حتى يصير الإيمان حقيقة متجسدة في الشخص، لا يستحقها أحدٌ من الناس إلا بالشروط والأعمال الدالة على ذلك، فكان يقول: (لا يستحقُ أحدٌ حقيقة الإيمان حتى لا يعيّب الناس بعيّب هو فيه، ولا يأمر بإصلاح عيوبهم حتى يبدأ بإصلاح ذلك من نفسه، فإنه إذا فعل ذلك لم يصلح عيّباً إلا وجد في نفسه عيّباً آخر ينبغي له أن يصلحه. فإذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيّب غيره)^(١٤).

الهدف من التربية الإيمانية.

الآن بعد معرفتنا أن التربية الإيمانية هي محمل الأفعال والسلوك التي تؤدي وتمارس من أجل الحفاظ على إيمان المرئي حتى يتافق ما يخفيه في صدره ويعتقده مع ما يقوم به من عملٍ بمحواره، وكما هو معروف أن التربية الإيمانية هي مسئولية الأنبياء الله ورسله عليهم أفضل الصلاة والسلام، والبشر بإزائها شعوب وقبائل وأنماط مختلفة الإقبال والرد على الإيمان، وبذلك نستطيع أن نميز ونحدد غاية وهدف التربية الإيمانية في إيجاد الإنسان المؤمن بالله ربّاً وبالإسلام ديناً، والذي يكتسب نصيباً من العلم الرباني النافع، ويزوجه بالعمل الصالح، ويصبح همه وهاجمه، وينشره بين الناس ويتحمل الأذى في سبيله، محتسباً الأجر على الله تعالى، محققاً لقول الله تعالى:

سورة الأحزاب : آية (٢١).

سورة الإسراء: آية (١٣).

^(١٤) أبو عثمان عمرو بن بحر الحافظ: المراجع السابق، جـ ٣، ص ص (١٣٢ - ١٣٥).

﴿وَالْعَصْرِ﴾ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابَرِ﴾ *

وإذا وجد هذا الإنسان المؤمن المطلق عليه مجازاً الإنسان الصالح، وبالتالي وجد المجتمع المؤمن الصالح، الذي يحمل هم الدعوة، ويحس بالمسؤولية إزاءها والدعوة إليها، وكذا نقلها إلى البشرية كافة مصدقاً قول الله تعالى: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ***

وإذا حققت التربية الإيمانية ذلك الهدف فإننا نحكم عليها بالنجاح، وبمقدار بعدها عن هذا الهدف بمقدار قصورها وضعفها.

غير أن نجاح هذه التربية موقوف على الأدوات والوسائل التي توظف وتوجه من أجل تحقيق تلك الغاية... وتلك الوسائل والأدوات كثيرة، لكننا سنقف عندما جاء به الحسن البصري رحمه الله لندرك إلى أي حد كان هذا الرجل مفكراً تربوياً سباقاً.

أدوات أو وسائل التربية الإيمانية. (١)

١- الطاعة وقراءة القرآن وعرض الإنسان نفسه على كتاب الله، فقال: (رحم الله رجالاً خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه، فإن وافقه حمد ربه وسأله الزيادة من فضله، وإن خالفه اعتب وأناب، ورجع من قريب). ورحم الله رجالاً وعظ أخاه وأهله فقال: (يا أهلي، صلاتكم صلاتكم، زكاتكم زكاتكم، حيرانكم حيرانكم، إخوانكم إخوانكم، مساكنكم مساكنكم، لعل الله يرحمكم). فإن الله تبارك وتعالى أئن على عبدٍ من عباده فقال سبحانه: **﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالرَّكَأَةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾** ، يا بن آدم كيف تكون مسلماً ولم يسلم منك حارك، وكيف تكون مؤمناً

* سورة العصر: آية (١ - ٣).

* سورة آل عمران: آية (١١٠).

(١) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مراجع سابق, ص ص(٤٦-٦٥)

* سورة مرثيم: آية (٥٥).

ولم يأْمنك الناس). إننا نجد الحسن البصري رحمه الله يركز على الطاعة لله وحده والاقتداء بالسلف الصالح لأن ذلك يقوي الإيمان و يجعل الفرد مرتبطاً بربه أبداً ارتبط، كان يقول: (أدركت من صدر هذه الأمة قوماً كانوا إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم، يفترشون وجوههم، تحرى دموعهم على خلودهم، يساجون مولاهم في فكاك رقابهم. إذا عملوا الحسنة سرّهم، وسألوا الله أن يتقبلها منهم، وإذا عملوا سيئة ساءهم وسائلوا الله أن يغفر لها) ^(١).

٢- التذكير بالموت وذم الدنيا لأن الموت فاضح لهذه الدنيا القصيرة الحقيقة، التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة، فكان يقول: (ألا إنَّ هذا الموت قد أخر أضرَّ بالدنيا، فلا والله ما وجد ذو لبٍ فيها فرحاً. فإنِّي أكم وهذه السُّبُلُ المتفرقة، التي جماعها الصَّلَالةُ وميعادها النار).

ونراه أيضاً يقول: (ولم أسمع الله تعالى - فيما عهد إلى عباده، وأنزل عليهم في كتابه - رغب في الدنيا أحداً من خلقه، ولا رضي له بالطمأنينة فيها، ولا الركون إليها، بل صرف الآيات، وضرب الأمثال بالعيوب لها، ونهى عنها، ورغب في غيرها).

وقد بيَّنَ لعباده أنَّ الأمر الذي خلقت له الدنيا وأهلها عظيم الشان، هائل المطلع نقلهم عنه إلى دار لا يشبه ثوابها ثواباً، ولا عقابها عقاباً، لكنها دار خلود يدين ، الله تعالى فيها العباد بأعمالهم، ثم يترهم منازلهم، لا يتغير فيها العباد فيها يُؤْس عن أهلها، ولا نعيم. فرحم الله عبداً طلب الحلال جهده، حتى إذا دار في يده وجهه الذي هو وجهه ويحك يابن آدم، ما يضرك الذي أصابك من شدائ드 الدنيا، إذا خلص لك خير الآخرة) ^(٢).

^(١) أبو عثمان عمرو بن الجاحظ: مرجع سابق، جـ ٣، ص(١٣٥).

يدين: يجازي.

أي يوجه المال الذي كثُر في يده الوجهة الصحيحة.. في أعمال البر والطاعات.

^(٢) الحافظ الأصفهاني: مرجع سابق، جـ ٢، ص(١٤٠).

٣- الاقتصاد في الطعام والشراب، لأن الإنسان ما ملأ وعاءً قط شرًا من بطنه؛ ولأن من أكل كثيراً نام كثيراً وفاته خير كثير، لذلك نراه - رحمه الله - يقول (من أراد أن يخشع قلبه، ويفرز دمعه فليأكل في نصف بطنه).

٤- ومن التربية الإيمانية لدى الحسن، الإيمان باليوم الآخر والعمل له في كل الأحوال جبًا وحرصاً عليها وذلك طاعة لله أولاً وأخراً ورغبةً فيما عند الله، قال الحسن: (إنَّ الْمُؤْمِنَ عَمِلَ اللَّهَ أَيَّامًا يَسِيرَةً، فَوَاللَّهِ مَا نَدِمَ أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مِنْ نَعِيمِهَا وَرَحْنَاهَا وَلَكِنْ رَاقَتِ الدُّنْيَا لَهُ، فَاسْتَهَانَهَا وَهَضَمَهَا لِآخِرَتِهِ، وَتَرَوَدَ مِنْهَا فَلَمْ تَكُنْ الدُّنْيَا فِي نَفْسِهِ بَدَارٌ، وَلَمْ يَرْغُبْ فِي نَعِيمِهَا، وَلَمْ يَفْرَحْ بِرَحْنَاهَا، وَلَمْ يَتَعَاظِمْ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنَ الْبَلَاءِ إِنْ نَزَلَ بِهِ مَعَ احْتِسَابِهِ لِلأَجْرِ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَمْ يَحْتَسِبْ نَوَالَ الدُّنْيَا، حَتَّى مَضَى رَاغِبًا رَاهِبًا، فَهَنِئًا هَنِئًا فَأَمِنَ اللَّهُ بِذَلِكَ رُوعَتْهُ، وَسَرَّ عُورَتْهُ، وَيُسَرَّ حَسَابَهُ^(١)).

هكذا كان حال الحسن دائم التفكير في الآخرة والعمل لها بكل قوة وفي كل الأحوال، كان الحسن إذا قرأ: «اللهُمَّ التَّكَاثُرُ»^{*}، قال: نعم أهلاكم! أهلاكم عن دار الخلود، وجنة لا تبيد، هذا - والله - فضح القوم، وهتك الستر، أبدى العوار^{*}، تنفق مثل دينك في شهواتك سرفاً، وتمنع حق الله درهماً. ستعلم باللکع^{*}.

وهذه الصورة يجد حدديث دائمًا عن الآخرة وزهد الدنيا وإن صاح القول الحديث عن الآخرة أحد أساليب البناء الإيماني عند الحسن البصري، وهذا كثير في مواضعه وأحاديثه إلى الناس عامة بل وما يذكر هنا ما ذكر تلميذه حميد قال: (بينما الحسن في يوم من رجب في المسجد، وهو يمص ماءه ويجهه، تنفس تنفساً شديداً، ثم بكى حتى ارتعدت منكباته، ثم قال: (لو أن بالقلوب صلاحاً، لكيتم من ليلة

^(١) الحافظ الأصفهاني: مرجع سابق، جـ ٢، ص(١٤٦).

سورة التكاثر: آية (١).

العوار: العيب، والإشارة في قوله: هذا إشارة إلى الاشتغال بالتكاثر في الدنيا.

اللکع: اللئم والأحقن.

صيحتها يوم القيمة، إن ليلة تخَض عن صيحة يوم القيمة ما سمع الخالق يوم قط أكثر فيه من عورة بادية ولا عين باكية من يوم القيمة^(١).

٥- حفظ اللسان والجوارح، قال الحسن: (ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه)، ويقول: (من كثر كلامه كثر كذبه).

٦- تطهير النفس من أمراضها، معلوم أن الغرس لا ينمو ولا ينت ب إلا إذا كان في تربة صالحة للإنبات حالية من الأمراض والآفات، وما لم تطهير النفس من أمراضها، فإن كل الجهد المبذول لإصلاحها ستبوء بالفشل، حتى ولو كانت عبادات يؤديها المرء بجسمه، وهو يحمل بين جنبيه نفساً تكتظ بالأمراض والآثام، ولعل هذا المعنى مصدق لقول الرسول ﷺ: (من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس الله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)^(٢) ولو أن أحداً بالغ في كثرة الصلاة والصوم ثم هو لم يعالج قلبه، ولم يطهر نفسه من آفاتها، فلن يتتفع كثيراً بصلاته أو صيامه.

وأمراض النفس لدى الحسن أصول وفروع، يقول: (أصول الشر وفروعه ستة، فالأصول ثلاثة: الحسد، والحرص، وحب الدنيا. والفروع كذلك: حب الرياسة، وحب الثناء، وحب الفخر)^(٣).

ويروى عنه كذلك قوله: (أصول الشر ثلاثة: الحرص والحسد والكبر، فالكبير منع إبليس من السجود لآدم، والحرص أخرج آدم من الجنة، والحسد حمل ابن آدم على قتل أخيه). وهو حين يورد ذلك إنما يدعو إلى الحذر من هذه الأمراض وعلاج النفس منها، لأن أي جهد للتربية سيذل في نفس ملوثة بهذه الأمراض، فلن يثمر خيراً أبداً مادامت التربة غير صالحة.

وللحسن رحمة الله أقوال أخرى في بعض هذه الأمراض تناولها فيما يلي:

(١) الحافظ الأصفهاني: المراجع السابق, جـ٢، ص (١٤٤).

(٢) محمد عيسى الترمذى السلمى: سنن الترمذى, دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ت، جـ٣، ص (٨٧).

(٣) صالح أحمد الشامي: المراجع السابق ص (١٠٤).

٧ - مُجاهدة النفس ومحاسبتها، يقول الحسن البصري: إِنَّ الْمُؤْمِنَ قَوْمًا عَلَى
نفسه، يحاسب نفسه اللَّهُ، وَإِنَّمَا خَفَّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَوْمٍ حَاسِبُوْنَ أَنفُسَهُمْ فِي
الْدُّنْيَا، وَإِنَّمَا شَقَّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَوْمٍ أَخْذُوا هَذَا الْأَمْرَ عَلَى غَيْرِ مَحَاسِبَةٍ.

إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَفْجُؤُهُ الشَّيْءُ، فَيَعْجَبُهُ فَيَقُولُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَا شَتَهِيكُ، وَإِنَّكَ لَمْنَ حَاجَتِي
وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا مِنْ وَصْلَةٍ إِلَيْكُ، هَيَّهاتِ حِيلَ بَيْنِ وَبَيْنِكُ، وَيَفْرَطُ مِنْهُ الشَّيْءُ، فَيَرْجِعُ
إِلَى نَفْسِهِ فَيَقُولُ: مَا أَرَدْتُ إِلَى هَذَا؟ مَا لِي وَهَذَا؟ وَاللَّهِ مَا لِي عَذْرٌ هُنَاءُ، وَوَاللَّهِ لَا أَعُودُ
هَذَا أَبَدًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَقُولُ: لَا يَزَالُ الْعَبْدُ بِخَيْرٍ، مَا كَانَ لَهُ وَاعْظَمُ مِنْ نَفْسِهِ، وَكَانَتْ
الْمَحَاسِبَةُ مِنْ هَمَتِهِ^(١).

إِنَّ الْحَسَنَ رَحْمَهُ اللَّهُ يَدْلِلُنَا هَنَا عَلَى وَاحِدٍ مِنْ أَسَالِيبِ تَرْبِيَةِ النَّفْسِ تَرْبِيَةً إِيمَانِيَّةً،
وَهُوَ أَسْلُوبُ الْمُجَاهَدَةِ وَالْمَحَاسِبَةِ وَعَدْمِ تَرْكِ الزَّمَامِ لِلنَّفْسِ وَالْهَوَى، لِأَنَّ الْفَلَاحَ فِي كَبِحِ
حَمَّاجِ النَّفْسِ وَالْخَسْرَانِ فِي الْأَنْسِيَاقِ وَرَاءِ مَطَالِبِهَا، قَالَ تَعَالَى: «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ
رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى» (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمُأْوَى^{*}.

وَلَذِلِكَ نَرَاهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ يَصْرَحُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: (اَقْدُعُوا هَذِهِ النَّفَوسَ
فَإِنَّهَا طَلْعَةٌ، وَأَعْصُوهَا فَإِنْكُمْ إِنْ أَطْعَمْتُمُوهَا تَنْزَعُ بِكُمْ إِلَى شَرِّ غَايَةٍ، وَهَادُوهَا بِالذِّكْرِ
فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الدِّثُورِ)^(٣).

وَفِي هَذَا القَوْلِ نَرَاهُ يَرْحَمُهُ اللَّهُ يَرْشِدُنَا إِلَى دَوَاءِ النَّفْسِ أَلَا وَهُوَ الذِّكْرُ مَصْدَاقًا
لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ»^(٤).

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْحَسَنِ: (اجْعِلْ لِي أَمْرَ الدُّنْيَا، وَصَفْ لِي أَمْرَ
الْآخِرَةِ)، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: (إِنَّمَا الدُّنْيَا حَلْمٌ، وَالْآخِرَةُ يَقْظَةٌ، وَالْمَوْتُ مَتوْسِطٌ وَنَحْنُ فِي
أَضْغَاثِ أَحْلَامٍ، مِنْ حَاسِبٍ نَفْسَهُ رِبْعٌ، وَمِنْ غَفْلٍ عَنْهَا خَسْرٌ، وَمِنْ نَظَرٍ فِي الْعَاقِبَةِ

(١) صالح أحمد الشامي: مراجعة سابق، ص ١٢٤.

* سورة النازعات: آية (٤٠ - ٤١).

(٢) صالح أحمد الشامي: مراجعة سابق، ص ١٠٠ - ١٠١.

(٣) سورة الرعد: آية (٢٨).

نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن حلم غنم، ومن خاف سلم، ومن اعتبر أبصار، ومن أبصار فهم، ومن فهم علم، ومن علم عمل. فإذا زللت فارجع وإذا ندمت فقلع، وإذا جهلت فاسأل، وإذا غضبت فأمسك، واعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت النفوس عليه.

-٨- تربية الروح بالعبادة والقيام (إن الإنسان قد ينحرف أو يضل وذلك حين يغطى على روحه ركام الشهوات فيأسر الروح ويظلمها، وحينئذ فإن الروح بحاجة إلى توجيه وتحذيب)^(١) لذا سلك الحسن البصري مع نفسه مسلك العبادة كوسيلة لتربية الروح تربية إيمانية والسمو بها، قال حميد خادمه: (قال لي الشعبي يوماً: أريد أن تعلمني إذا خلا الحسن لأجتمع به خالياً. فـأعلمت بذلك الحسن. فقال: (عرفه ولیأت إذا شاء). فـخلا الحسن يوماً فأعلمت الشعبي، فبادر وأتينا مترى الحسن، فوجدناه مستقبلاً القبلة، وهو يقول: يا بن آدم لم تكن فكنت، وسألت فأعطيت، وسئلته فنحلت، بئس والله وبئك ما صنعت، فسلمنا عليه ووقفنا ساعة فما التفت إلينا ولا شعر بنا. فقال الشعبي: الرجل والله في غير ما نحن فيه، فانصرفنا ولم نجتمع به. ولقيه رجل وهو يريد المسجد في ليلة مظلمة ذات رُدْغ فقال: أفي مثل هذه الليلة تخرج يا أبا سعيد؟ فقال: يا ابن أخي هو التشديد أو الصلة. وكان رحمة الله صاحب ليل، وكان يقول: ما رأيت شيئاً من العبادة أشد من الصلاة في جوف الليل وإنما لمن أفعال المتقين.

وللليل مع الحسن البصري صلة عميقة، فقد كان يرى أن صلاة الليل فرض على المسلمين ولو قدر حلب شاة أو فواق ناقة، بل إن كان يرى أن من الحرمان عدم قيام الليل. فقد قال له رجل: يا أبا سعيد: أعياني قيام الليل بما أطيقه. فقال: يا ابن أخي استغفر الله، وتب إليه، فإنا علامة سوء، وإن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل)^(٢).

^(١) محمد قطب: مرجع سابق ص (٣٤).

^(٢) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مرجع سابق، ص ص (٢٧ - ٢٨).

وهكذا يصف لنا الحسن وسيلة لتربيـة النفس بالعبادة ألا وهي قيام الليل، فهو لا يكتفي بالفرائض وحدها بل يرى حـمل النفس على النوافل والتطوع، ولذلك نراه يقول: (إن القلوب تموت وتحيا، فإذا هي ماتت فاحملوها على الفرائض، فإذا هي حـيت فأدبوها بالتطوع).

٩- التفكير في حقيقة الموت، الموت من الحقائق التي يؤمن بها العبد ويعتقدوها ويمثل التفكير فيه عاملًا مهمًا من عوامل تزكية الروح وتربيتها، وإذا كان العبد يشغل بالأعباء المعيشية والمعاناة الدنيوية كل يوم، فإنه يجب عليه ألا ينسى في غمرة هذه الحياة أنه سيموت وأن مصيره إلى الله وأن له داراً بعد هذه الدار إما جنة وإما نار، لأن من شأن ذلك أن يرفق بالقلوب، ويسمو بالأرواح عن صراعات الحياة. يقول الحسن: (وَجَدَ فِي حَجْرٍ مُّكْتَوِّبٌ: إِنَّ آدَمَ إِنْكَ لَوْ رَأَيْتَ قَلِيلًا مَا بَقَى مِنْ أَجْلِكَ، لَزَهَدْتَ فِيمَا تَرْجُو مِنْ أَمْلَكَ، وَلَرَغَبْتَ فِي الْزِيَادَةِ مِنْ عَمَلِكَ، وَلَقَصَرْتَ فِي حِرْصِكَ وَمِيلَكَ، وَإِنَّمَا يَلْقَاكَ غَدًا نَدْمَكَ، لَقَدْ زَلتَ بِكَ قَدْمَكَ، وَأَسْلَمَكَ أَهْلَكَ وَحَشَّمَكَ، وَتَبَرَّأَ مِنْكَ الْقَرِيبَ، وَانْصَرَفَ عَنْكَ الْحَبِيبَ، وَصَرَّتْ تَدْعِيَ وَلَا تَجِيبَ).

وفي هذا القول نلاحظ أن الحسن يدعو إلى أن يكون ذكر الموت إيجابياً، يدفع المسلم إلى التزود للمعاد، والتقليل من الصراع على الدنيا، ويكون حاثاً له على العمل على زيادة رصيد الأعمال التي تنفعه بعد موته، ولذلك نراه في موطن آخر يقول: (كان الرجل من المسلمين يبلغه موت أخيه من إخوته فيقول: إن الله وإننا إليه راجعون، كدت والله إن أكون أنا السواد المختطف، فيزيده الله بذلك جداً واحتـهـاـدـاـ فردد الحسن هذا الكلام غير مرة، وما زال كذلك حتى مات موتاً كيساً على نحو مساروى ذلك عنه أسماء بن عبد)^(١).

وكان الحسن يستنكر دائمًا الغفلة عن الموت، وكثيراً ما يدعوا إلى ترقبه وانتظاره والمبادرة بالعمل قبل وقوعه، وقد روى عنه أنه قرأ يوماً: «أَلَهَا كُمُّ الشَّكَاثُ»،

^(١) صالح أحمد الشامي: مراجع سابق, ص (٤٤).
سورة التكاثر: آية (١).

ثم قال: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ: أَهُنَّ أَنفُسَنَا عَنْ دَارِ الْخَلْوَةِ، وَشُغْلُنَا عَنْ نَعِيمٍ لَا يُبَيَّدُ،
ثُمَّ قَرَأَ: «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ»^(٢) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ،^(٣) ثُمَّ قال: أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ
تَوْعِدُكُمْ مُخْلوقٌ يَمُوتُ، لَمْ يَسْتَقِرْ بِكُمُ الْقَرَارُ، فَكَيْفَ بَوْعَدْ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَالْحَيُّ الَّذِي لَا
يَمُوتُ؟ وَكَانَ إِذَا قَامَ بِالْقُرْآنِ وَأَنْتَهَى إِلَى هَذِهِ السُّورَةِ لَمْ يَتَجَاهِزْهَا، وَلَا يَزَالَ يَرْدِدُهَا
وَيَسْكُنُ إِلَى أَنْ يَنْقُطِعَ نَبْهَهُ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى).

ويريد الحسن رحمه الله من المؤمن أن يظل مرتقباً للموت في كل يوم وليلة،
لذلك كان يقول: إنكم أصبحتم في أجل منقوص، وعمل محفوظ، والموت في رقابكم،
والنار بين أيديكم وما ترون والله ذاهباً، فتوقعوا قضاء الله في كل يوم وليلة، ولينظر
أمرؤا ما قدم لنفسه.

وكان يقول: الموت معقود بنواصيكم، والدنيا تطوى من ورائكم، وما رأيت
يقيينا لا شك فيه، أشبه بشك لا يقين فيه إلا الموت. وكان يقول: (بَادِرُوا بِالْعَمَلِ
الصَّالِحِ قَبْلَ حِلْوِ الْأَجَلِ، فَإِنْ لَكُمْ مَا أَمْضَيْتُمْ، لَا مَا أَبْقَيْتُمْ)^(٤).

وهكذا يقدم لنا الإمام الحسن البصري رحمه الله عدداً من الوسائل التي يمكن
للفرد أن يربى بها نفسه إيمانياً، وأن يربى بها غيره كذلك، ولاشك أن من يأخذ بهذه
الوسائل سوف يجد ثمار هذه التربية الإيمانية متمثلة في استعلائه عن ثقله الأرض فلا
يكون عبداً لها، واستمداده لقوة من الله، قوة يواجه بها صعوبات الحياة وشدائدها وهو
رابط الجأش ساكن القلب والرؤاد، لأن روحه متعلقة بالله رب الأرباب.

ثمار التربية الإيمانية في الدارين.

لا شك أن هذه الوسائل والطرائق السابقة إذا وظفت توظيفاً سليماً فإنها
ستؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وسوف يجيئ صاحبها الخير في الدنيا قبل الآخرة.
وإننا لنجد في كلام الحسن البصري ما يحدد بعض تلك الثمار:

^(٤) سورة التكاثر: آية (٣ - ٤).

^(١) صالح أحد الشامي: المراجع السابق، ص ص (١١٢).

١- اليقين والثقة. فهو يرى أن التربية الإيمانية تثمر عند أصحابها اليقين والثقة، لذلك نراه يقول: روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (اسألوا العفو والعافية، فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية) ^(١).

ويقول الحسن رحمه الله: (ما أيقن عبد بالجنة والنار حق يقينهما إلا خشوع وذيل واستقام واقتصر، حتى يأتيه الموت).

ونظر في هذا القول لنرى نتيجة ذلك اليقين إنه خشوع واستقامة واقتصر طوال الحياة وحتى الممات، فيما لها من ثمار طيبة لتلك التربية الروحية الطيبة.

وهو يدعو العبد المؤمن إلى أن يكون واثقاً من ربه متيقناً بعطائه، بل إنه يعتبر الترول عن هذه الدرجة ضعفاً في اليقين فهو يقول: (يا ابن آدم، إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يدي الله عز وجل).

ويريد الحسن رحمه الله أن يبين لنا أهمية اليقين، فيقول: (روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لم يؤت الناس في الدنيا خيراً من اليقين والعافية فاسألوهم الله عزوجل)، ثم قال الحسن: (صدق رسول الله ﷺ، وباليقين طلت الجنة، وباليقين هرب من النار وباليقين صبر على المكروه وباليقين أديت الفرائض، وفي المعافاة خير كثير).

٢- الرجاء والخوف. يقول الحسن رحمه الله: (الرجاء والخوف مطيتا المؤمن)، وهو يرى في الخوف خيراً للنفس والروح، فقد قال له رجل: (كيف نصنع بأقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال له: (والله لأن تصحب أقواماً يخوفونك حتى يدررك الأمان، خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمدونك حتى يلحقك الخوف). وفي هذا القول دليل على أن الخوف يكون للنفس بمثابة الدافع الذي يحددها إلى العمل والجهاد حتى يحصل لها الأمن الذي لا خوف معه، إنه الأمن في دار النعيم.

ونراه يبين لنا ثمرة الخوف من الله فيقول: (من خاف الله، أخاف الله منه كل شيء، ومن خاف الناس، أخافه الله من كل شيء) فهو هنا يحدد نوع الخوف المطلوب

^(١) أخرجه الترمذى برقم ٣٥٥٨.

تزويد النفس به، إنه الخوف من الله لا من الناس؛ لأن الخوف من الناس هو صرف لنوع من العبادة إلى غير الله سبحانه، والخوف من الناس لا يزيد العبد إلا خوفاً.

وزيادة منه في التوضيح يذكر لنا الحسن أن العبد يجب أن يخاف ألا تقبل منه أعماله وأن تردد عليه فيضرب بها وجهه، فقد قيل له يوماً: (كيف أصبحت يا أبو سعيد، فقال: (والله ما من انكسرت به سفينه في لحج البحر بأعظم مني مصيبة، قيل ولم ذلك؟ قال: (لأني من ذنبي على يقين، ومن طاعتي وقبول عملي على وجلي، لا أدرى أقبلت مني أم ضرب بها وجهي؟ فقيل له: (فأنت تقول ذلك يا أبو سعيد؟ فقال: (ولم لا أقول ذلك؟ وما الذي يؤمني أن يكون الله سبحانه وتعالى قد نظر إلى وأنا على بعض هنائي نظرة مقتني بها، فأغلق عني باب التوبة، وحال بيني وبين المغفرة، فأنا أعمل في غير معتمل).

ولقد بلغ من خوفه رحمة الله أنه لما ذكر له الرجل الذي يخرج من النار بعد ألف عام بكى وقال: (يا ليتني مثل ذلك الرجل). ونراه يقول عن السلف الصالح: (والله ما تعاظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة، حين أبكاهم الخوف من الله تعالى) ^(١).

أي أن العبادات الكثيرة التي تقربوا بها إلى ربهم عزوجل لم يروها عظيمة في أعينهم، ولم يعتبروها مدخلة لهم الجنة، ولذلك بكوا خوفاً.

^(١) عمر عبد العزيز الجعفري : مرجع سابق ص (١٨٧).

٢. التربية العقلية.

لقد كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان على سائر المخلوقات بالعقل الذي هو مناط التكليف في الإنسان، وهو الذي يمكنه عن طريقه أن يتلقى العلم والمعرفة اللذين هما نور العقل وعماد التربية العقلية، قال تعالى: **«وَلَقَدْ كَرَمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّابَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا»**.

ولقد اهتم الحسن البصري كثيراً بجانب التربية العقلية، وهذا يظهر لنا من اهتمامه بالعلم والمعرفة وحثه على الحرص عليهما. وفي هذه الصفحات يتناول الباحث التربية العقلية كجانب من جوانب التربية عند الحسن، من خلال تعرضه لأهمية العلم والمعرفة وذم الجهل والتقليد ويبين نوع العلم الذي يدعو إليه الحسن البصري، ثم يذكر آداب طالب العلم وآداب العالم، ثم يخص القرآن وتعلمها بطرف من الحديث لما يراه من اهتمام الحسن البصري به على وجه الخصوص.

أهمية العلم والمعرفة.

يهتم الإمام الحسن البصري رحمه الله كثيراً بالعلم، وذلك لأنّه يرى أن صلاح الفرد والمجتمع لا يكون إلا بالعلم الذي هو مناط السعادة في الدارين، واهتمامه هذا إنما جاء من اهتمام الإسلام بالعلم والمعرفة، حتى أن الإسلام حث على طلب العلم من المهد إلى اللحد..

واعتبر الإسلام الاشتغال بالعلم **الله أفضّل من نوافل العبادات البدنية من صيام وصلاة وتسبيح ودعاء ونحو ذلك**، لأن منافع العلم تعم صاحبه والناس، ومنافع النوافل البدنية مقصورة على صاحبها^(١).

سورة الإسراء: آية (٧٠).

(١) عبد الأمير شمس الدين: المذهب التربوي عند ابن حماعة, دار أقرأ, لبنان, بيروت, ٤٠٤ هـ - ص (١٥).

ومن خلال أقوال الحسن الآتية نلمس أهمية العلم والمعرفة عنده :-

١- قال الحسن: (الدنيا كلها ظلمة إلا مجالس العلماء)^(١). ويقول: (لو لا العلم
كان الناس كالبهائم)^(٢).

٢- ويقول أيضاً: (لو كان للعلم صورة، ل كانت صورته أحسن من صورة
الشمس والقمر والنجوم والسماء)^(٣).

٣- ويريد الحسن أن يبين لنا حبه للعلم، فيقول: (باب واحد من العلم أتعلم
أحب إلى من الدنيا وما فيها)^(٤).

٤- ويبين لنا الحسن رحمة الله توابع العلم والأخلاق التي يكتسبها المتعلم
بسبب العلم، فيقول: (الحلم وزير العلم، والرفق أبوه، والتواضع سر باله)^(٥).

٥- وكان يرى رحمة الله أن شرف العلم لا يدانيه شرف، وأن طالب
العلم أشرف الناس، فقد روي أنه انصرف يوماً من مجلسه فاستأذن عليه رجل من
خراسان، فوضع بين يديه كيساً فيه خمسة آلاف درهم، وأنخرج من حقيبته رزمة فيها
عشرة أثواب من دقيق بر خراسان. فقال الحسن: (ما هذا؟) فقال: يا أبا سعيد، هذه
نفقة، وهذه كسوة. فقال له: (عافاك الله، ضم إليك نفقتك وكسوتك، فلا حاجة لنا
بذلك). إنه من جلس في مثل مجلسي هذا، وقبل من الناس مثل هذا، لقى الله تعالى يوم
القيمة لا خلاق له)^(٦).

من الأقوال السابقة يتبيّن لنا كيف ينظر الحسن إلى العلم، وأنه يراه أشرف
الأشياء، وأعظمها فلا يعدله مال ولا سلطان، بل إنه يعلو ولا يعلى عليه.

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله, ط٢، المكتبة السلفية، د ب، ١٣٨٨هـ، جـ١، ص (٦١).

(٢) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مراجع سابق, ص (٤١).

(٣) صالح أحمد الشامي: مراجع سابق, ص (١١٦).

(٤) المراجع السابق, ص (١٤٦).

(٥) أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب, مكتبة الثني، القاهرة، د ت ، جـ١، ص (١٤١).

(٦) المراجع السابق, جـ١، ص (١٤٤).

ذم الجهل والتقليد.

يرى الحسن البصري أن جهل الناس بهم وعدم معرفتهم له، هي سبب كل ما دخل على الناس من أخطار وهموم، فقد قيل له: (يا أبو سعيد من أين أتي على الخلق؟ قال: (من قلة الرضا عن الله عز وجل)، فقيل له: (فمن أين دخل عليهم قلة الرضا عن الله عز وجل؟ قال: (من جهله بالله، وقلة المعرفة به)^(١).

وكان يرى أن العلم يدفع الجهل، وإن الذي لا ينفعه علمه فسوف يضره جهله، يقول: (اقرأ القرآن ما نهاك^(٢)، فإذا لم ينفك فلست تقرؤه، رب حامل فقه غير فقيه، ومن لم ينفعه علمه ضره جهله)^(٣).

نوع العلم الذي يدعوه إليه.

كان الحسن رحمة الله يرى أن هناك علوماً لا غنى عن تعلمها، إذ ها تقويم الحياة، فقد قيل إن رجلاً من المتكبرين دعا يوماً فناداه يا أبو سعيد، فقال: (شغلك بالدوانيق وجمعها منعك يا ابن أخي أن تقول: يا أبو سعيد)، ثم قال: (تعلموا رحمة الله العلم للأديان والطب للأبدان، والنحو لتقويم اللسان)^(٤).

فهو هنا يرى أنه لا بد من تعلم العلوم الشرعية التي بما يعرف الناس دينهم ويحفظونه من التحريف والزيادة والنقصان، ولا بد أيضاً من تعلم الطب إذ به تchan الأبدان وتحفظ من الهلاك والأمراض لأن المسلم منهي عن أن يقتل نفسه، قال تعالى: ﴿أَوَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ *.

كما أنه لا بد من تعلم النحو وعلوم العربية ليصان بها اللسان، لأن اللغة لو أصيبت باللحن دخل النقص على فهم الناس للدين.

^(١) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مراجع سابق, ص (٥٩).

^(٢) أي ما دمت تنتهي بنهاية.

^(٣) صالح أحمد الشامي: مراجع سابق, ص (١٥١).

^(٤) جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي: مراجع سابق, ص ص (٤٦ - ٤٧).
سورة النساء: آية (٢٩).

وقد كان الحسن رحمه الله يشتغل في الأمر بتعلم النحو اجتناباً للحن، فكان يقول: (من لحن في القرآن فقد كذب على الله؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ يَبْيَنُ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(١)).

آداب طالب العلم عند الحسن البصري.

١- التعلم المبكر.

يرى الحسن البصري أن أفضل مراحل التعليم، مرحلة الصغر، حيث تتميز بالنشاط وفراغ الذهن الذي يدو كالصفحة البيضاء، لم يشغله بأمور الدنيا، ولم يرتبط بمسئوليها، لذلك نراه يقول: (طلب العلم في الصغر كالنقش على الحجر، وطلب العلم في الكبر كالنقش على الماء)^(٢).

٢- التخلق بأخلاق العلم.

يرى الحسن البصري أن المتعلم لا بد أن يتخلق بأخلاق هذا العلم، وإلا لم يكن منتفعاً بما يعلم، فنجد له يقول: (من طلب العلم ثم لم يثبت أن يرى ذلك في خشوعه وزهده وتواضعه)^(٣). وكان يقول عنمن يطلب العلم بقراءة القرآن وتدبّره: (والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن، يؤمن به، إلا كثر حزنه، وقل فرحته، وكثير بكاؤه، وقل ضحكته، وكثير نصبه وشغلته، وقلت راحته وبطالتها).

٣- أن يتأنب بآداب مجالسة العلماء.

يقول الحسن: (إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع منهم، أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول، ولا تقطع على أحد حديثه).

* سورة فصلت: آية (٤٢).

^(١) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مرجع سابق, ص (٤٧).

^(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار, طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، مطبعة المؤسسة المصرية ، القاهرة، مصر، ١٩٦٣م، جـ ٢، ص (١٢٣).

^(٣) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مرجع سابق, ص (٤٨).

٤- أن يعمل بما يعلم.

يحذر الحسن رحمه الله كثيراً من أن يكون العمل بخلاف العلم فيقول المرء بلسانه خلاف ما يعمل بجواره، لذلك كان يقول: (لا تكن من يجمع علم العلماء، وطرائف الحكماء، ويجرئ في العمل مجرئ السفهاء).

وفي كتابه لعمر بن عبد العزيز: (ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، ومن علم عمل). وكان يقول فيمن سبق من السلف: (قد كان الرجل يسمع بالباب من أبواب العلم، فيتعلمها ويعمل بها، فيكون خيراً له من الدنيا وما فيها، لو كانت لها فوضعها في آخرة).

ويقول: (اعلموا ما شئتم أن تعلموا، فوالله لا يؤجركم الله تعالى عليه حتى تعملوا، فإن السفهاء هستهم الرواية، وإن العلماء هم هم الرعاية). وقال: (إن الله لا يعبأ بذى قول ورواية، وإنما يعبأ بذى فهم ودرأة)^(١).

وقد كان يحذر كثيراً من إظهار العلم مع تضييع العمل، ويرى أن ذلك مما يستوجب سخط الله ولعنته، فيقول: (إذا أظهر الناس العلم، وضيّعوا العمل، وتحسّبوا بالألسن وتبغضوا بالقلوب، وتقاطعوا في الأرحام، لعنهم الله جلّ ثناؤه، فأصمّهم وأعمى أبصارهم)^(٢).

٥- أن يوازن بين العلم والعبادة، بحيث لا يطغى أحدُهما على الآخر.

يقول الحسن رحمه الله: (العامل على غير علم، كالسائل على غير طريق، والعامل على غير علم، ما يفسد أكثر ما يصلح). فاطلبوا العلم طلباً لا يضر بترك العبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بترك العلم، فإن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم، حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ ولو طلبوا العلم، لم يدهشهم على ما فعلوا - يعني الخوارج -).

(١) صالح أحمد الشامي: مرجع سابق، ص ١١٥-١٧٣.

(٢) أبو طالب المكي: مرجع سابق، ج ١، ص ١٣٣.

آداب العالم.

ونعالجها على النحو التالي :-

١- أن يستغنى بعلمه الآخرة.

يشترط الحسن للعالم أن يطلب الآخرة بعلمه لأنه إن لم يفعل مات قلبه وحرّم نعمة العلم. سأله مالك بن دينار يوماً: (ما عقوبة العالم؟) قال: (موت القلب)، قال: (وما موت القلب؟) قال: (طلب الدنيا بعمل الآخرة)^(١). وفي رواية (فإنه إذا أحب الدنيا طلبها بعمل الآخرة، فعند ذلك ترحل عنه برّكات العلم ويقى عليه اسمه)^(٢).

وينصح الحسن العلماء بألا يجعلوا همهم من مجالسهم الحصول على رضا الناس وثنائهم، وأن يمتنوا أنفسهم دائماً بثواب الله، فقد قيل له: (يا أبا سعيد إن قوماً يحضرُون مجلسك يحفظون عليك سقطات كلامك ليعتموك بذلك). فقال: (يا ابن أخي لا يكن في ذلك عليك شيء. فإني طمعت نفسي في دخول الجنان، ومحاورة الرحمن، ومرافقة الأنبياء عليهم السلام، ولم أطمعها في السلامة من الناس)^(٣).

٢- أن يصون كرامته ويستغنى بعلمه.

فلا ينظر إلى ما في أيدي الناس، ولا يتزلف لأحد بعلمه لأن الذي آتاه الله خير مما عند الناس، لذلك نراه يقول: (إن العلماء كانوا قد استغناوا بعلمهم من أهل الدنيا وكانوا يقضون بعلمهم على أهل الدنيا ما لا يقضى أهل الدنيا بدنياهم فيها. وكان أهل الدنيا يذلون دنياهم لأهل العلم رغبة في علمهم). ثم يتتابع مستكراً ما تحول إليه بعض علماء عصره فيقول: (فاصبح أهل العلم اليوم يذلون علمهم لأهل الدنيا رغبة في دنياهم، فرغب أهل الدنيا عنهم، وزهدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم).

^(١) صالح أحمد الشامي: مراجع سابق, ص ص (١٤٣ - ١٤٤).

^(٢) أبو الفداء إسماعيل بن كثير: مراجع سابق ج ٩, ص (٢٦٨).

^(٣) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي : مراجع سابق, ص (٤٨).

وقد حدث أن خرج الحسن من عند ابن هبيرة والي العراق من قبل يزيد بن عبد الملك، فإذا هو بالقراء على الباب، فقال: (ما يجلسكم هنا، تريدون الدخول على هؤلاء الخباء؟ أما والله ما مجالستهم بمحالستهم الأبرار، تفرقوا فرق الله بين أرواحكم وأجسامكم) ^(١).

من أجل ذلك نرى الحسن رحمه الله يتوجه بهذه النصيحة إلى أمثال هؤلاء، فيقول: (ترفعوا عن بعض الأمر، فإن الرجل ليأكل الأكلة ويدخل المدخل، ويجلس المجلس يغير قلبه، ويذهب دينه، ولا يشعر) ^(٢).

٣- أن يتحلى بأخلاق العلم.

يرى الحسن البصري أن العلم إن لم يتحلى صاحبه بأخلاقه فلا فائدة فيه، فقد سأله فرقد السخي [ت ١٣١هـ] يوماً عن شيء فأجابه. فقال: (إن الفقهاء يخالفونك؟!) فقال الحسن رحمه الله: (تكلتك أملك فريقاً، وهل رأيت فقيهاً بعينك؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة، البصير بدینه، المداوم على عبادة ربّه، الورع الكاف نفسه عن أعراض المسلمين، العفيف عن أموالهم، الناصح لجماعتهم) ^(٣).

وهذه الأخلاق لو تأملناها لوجدناها ضرورية للعلم، فلو أن عالماً أحب الدنيا وعمل من أجلها، ولم يكن لديه بصيرة وفهم في الدين وكان قليل العبادة، ولم يكن ورعاً وكان يستحل أعراض المسلمين وأموالهم، ولا ينصح لجماعتهم، فمثل هذا يكون ضره أكثر من نفعه، بل إنه يكون أشد هدماً للدين الله من الجاهل بجهله.

^(١) الحافظ الأصفهاني: حلية الأولياء، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٨٧هـ، جـ ٢، ص (٥١).

^(٢) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مرجع سابق، ص (٤٨).

^(٣) أبو حامد الغزالي: مرجع سابق، جـ ١، ص (٣٢).

٤- أن يؤدي ما عليه من واجب.

للعلماء دور عظيم في تربية الأمة وإرشادها، فهم قادتها ومصايبها التي هم
تكتسي، وعلى العلماء واجب النصح للأمة وتصحيح مسارها متى حادت عنه، ولقد
أخذ الله العهد من قبل على الذين آتاهم الكتاب أن يقوموا بمحقده، فقال سبحانه:
﴿وَرَأَدَ أَخْذَ اللَّهِ مِيَثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لِتَبَيَّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُنُمُونَهُ﴾*
وجب على كل صاحب علم أن يبلغه، وليس هناك حد للعلم الذي به ينبغي البلاغ،
بل هو عند أقل ما يعلم ولو آية من كتاب الله.

وعن شيبان أنه سمع الحسن يقول لأحد بنى الشخير: (حدثنا يا غلام. فقال: إنا لم
نبلغ هذا، يا أبا سعيد. قال الحسن رحمه الله: وأينا بلغ هذا؟ ود الشيطان لو تمكن من هذه
(أي من أن يترك التناصح بهذه الحجة)، والله لو لا ما أعقد الله على العلماء لم ننطق).

إننا في هذا النص بحد الحسن رحمه الله ينبه إلى مدخل خطير من مداخل
الشيطان على العلماء، فقد يلبس على العالم أنه ليس أهلاً للنصح ولا للتحديث وإن
عليه خاصة نفسه، فيكتم العالم علمًا يعلمه فيلجم هو بلجام من نار يوم القيمة،
وتعيش الأمة تائهة لا تجد من علمائها من يهديها الصواب، وبذلك يكون الشيطان
قد ربع، والحسن بذلك ينبه على هذا المدخل حتى يكون العلماء على حذر منه
فيتقوه، ولذلك نرى الحسن في موضع آخر يحث العلماء على النصح ويغيّر لهم به
فيقول: (أحب العباد إلى الله، الذين يحببون الله إلى عباده، ويعملون في الأرض نصراً)^(١).

٥- أن يحسن استغلال المواقف التعليمية.

يرى الحسن رحمه الله أن مهمة العالم لا تقف عند الدرس وحده، بل يجب أن
يستغل المواقف ليعلم منها أتباعه لما لذلك من أثر نافع، وقد كان الحسن يسلك بنفسه
هذا المسلك فنراه مرة وقد قال رجل في مجلسه: (ليهنيك الفارس - يريد التهنئة

* سورة آل عمران: آية (١٨٧).

^(١) عمر عبدالعزيز الجغير: مرجع سابق، ص (١٦٥).

بالمولود - فقال له الحسن: فلعله حامر - أي ذو الحمار -؟ إذا وهب الله لرجل ولدأ
فقل: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، وبلغ أشدّه، ورزقت بره).

قال فرقد: دخلنا على الحسن فقلنا: يا أبا سعيد، ألا يعجبك من محمد بن
الأهشم؟ قال: (ماله؟). قلنا: دخلنا عليه آنفًا، وهو يجود بنفسه، فقال: (انظروا إلى
ذاك الصندوق، فيه ثمانون ألف دينار - أو قال: درهم - . لم أؤد منها زكاة، ولم أصل
منها رحمة، ولم يأكل منها محتاج)، فقلنا: يا أبا عبدالله، فلمن كنت تجمعها؟ قال:
لروعه الزمان، ومكاثرة الأقران، وجفوة السلطان. فقال الحسن: (انظروا من أين أتاه
شيطانه، فخوفه روعة زمانه، ومكاثرة أقرانه، وجفوة سلطانه). ثم قال: (أيها الوارث
لا تخدعن كما خدع صويحبك بالأمس. جاءك هذا المال، لم تتعجب لك فيه يمين، ولم
يعرق لك فيه جبين، جاءك من كان له جموعاً منوعاً، من باطل جمعه، ومن حق منعه،
ثم قال الحسن: (إن يوم القيمة لنذ حرسرات، الرجل يجمع المال، ثم يموت ويدعه
لغيره، فيرزقه الله فيه الصلاح والإنفاق، في وجوه البر، فيجدد ماله في ميزان غيره)^(١).

من هذا الموقف يتبيّن لنا كيف استغل الحسن رحمه الله هذا الموقف ليعظ
إخوانه هذه الموعظة المؤثرة، ومن مواقفه الأخرى: أنه مر برجل يضحك، فقال: (يا
ابن أخي جزت الصراط؟ فقال: لا، فقال: فهل علمت إلى الجنة تصير أم النار؟
قال: لا، فقال: ففييم الضحك عافاك الله؟ والأمر هول. فقيل: ما رئي الرجل ضاحكاً
حتى مات)^(٢).

٦ - أن يراعي العالم عند حديثه حالة المتعلمين.

من المبادئ التربوية الهامة والأداب التي رأى الحسن أن يتأنب بها العالم، ألا
يحدث الناس إلا وهم مقبلون على حديثه، وذلك خافة السامة عليهم والملل. فهو
يقول: (حدثوا الناس ما أقبلوا عليكم بوجوهكم).

^(١) أبو الفداء إسماعيل بن كثير: مراجع سابق, جـ ٩، ص (٢٧٣).

^(٢) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مراجع سابق, ص (١٢٣).

ونحن نفهم من ذلك أفهم إن لم يقبلوا على العالم بوجوههم فعلية أن يكف عن الحديث إليهم لأن الفائدة عندئذ ستكون قليلة.. وتلك فائدة تربوية مهمة تشتد حاجتنا إليها في مجال التربية والتعليم.

تعلم القرآن وحفظه.

يخص الحسن البصري تعلم القرآن بجانب من أقواله ومواعظه، وهذا يدلنا على اعتنائه بتعلم القرآن وتلاوته وحفظه، ومن أقواله نستطيع أن نلحظ ما يلي:

١- أنه يدعو قارئ القرآن إلى الاغتناء به. فيقول: (والله مادون القرآن من غنى، ولا بعده من فاقه)^(١). معنى هذا أن الذي أوي القرآن لا ينبغي له أن يمد عينيه إلى ما في أيدي الناس إذ كله عرض زائل، وهو أغنى الناس بالقرآن.

٢- أنه يرى أن حامل القرآن الحقيقي هو الذي يتحلّق بخلقه وينتفع به، أما من يتخذونه بضاعة، ويحفظون حروفه دون عمل به فأولئك ليسوا من حملته. يقول رحمة الله: (حملة القرآن ثلاثة نفر: رجل اتخذه بضاعة، ينقله من مصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس. ورجل حفظ حروفه وضيّع حدوده، واستدرّ به الولاة، واستطال به على أهل بلده وقد كثر هذا الضرب في حملة القرآن لا كثّرهم الله عز وجل. ورجلقرأ القرآن، فوضع دواعه على داء قلبه فسهر ليلته، وهملت عيناه، تسربل الخشوع، وارتدى الوقار، واستشعر الحزن، ووالله لهذا الضرب من حملة القرآن أقل من الكثير الأحمر، هم يسقي الله الغيث، ويترى النصر، ويدفع البلاء)^(٢).

٣- أن المقصود عنده من تعلم القرآن ليس مجرد تلاوته وقراءته، وإنما هو العمل بما فيه، والانتهاء بنهايه، وذلك هو معنى تدبر القرآن عند الحسن رحمة الله يقول: (إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان، لا علم لهم بتاؤيله، لم يأتوا الأمر من قبل أولئك) قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدْبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَاب﴾ وما

^(١) صالح أحمد الشامي: مرجع سابق، ص(١١٥).

^(٢) ابن عبد ربّه: العقد الفريد، تحقيق سعيد العريان، دار الفكر، د ب، د ت، جـ ٢، ص(٨٩).

سورة ص: آية (٢٩).

تدبر آياته إلا اتباعه، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كله، فما أسقطت حرفاً واحداً، وقد والله أسقطه. ما يُرى له القرآن في خلق ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: والله إني لأقرأ السورة في نفس. لا والله ما هؤلاء بالقراء، ولا بالعلماء ولا الحكماء ولا الورعة، ومني كانت القراءة هكذا، أو يقول مثل هذا، لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء).

خلاصة.

هكذا يتبيّن لنا مدى حرص الحسن البصري على التربية العقلية للمسلم من خلال العمل على زيادة التحصيل العلمي والمعرفي بصورة مستمرة، مع البعد عن التقليد الأعمى والجهل والتعصب مع حرص المتعلم على أن يتحلى بأخلاق العلم وآدابه، وكذلك العالم، ومع الاهتمام الخاص بالقرآن الذي هو غذاء الروح والعقل معاً.

٣. التربية الأخلاقية.

حسن الخلق صفة إنسانية سامية الأبعاد تامة الأركان والحديث عنها يشمل كل ما ورد في الإسلام من آداب ومبادئ وأخلاق. قال رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا بَعَثْتُ لِأَنْتَمْ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) ^(١).

والخلق عبارة عن (هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعًا سميت الهيئة: خلقاً حسناً، وإن كانت الصادرة منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة: خلقاً سيئاً) ^(٢).

ولقد وصفت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - خلق رسول الله ﷺ فقالت: (كان خلقه القرآن، أما تقرأ: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ») ^(٣).

وعن الحسن رحمه الله في قوله: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ»، قال: (أدب القرآن) ^(٤). ومن هذا نلمس أن كل فعل حدث عليه القرآن وأمر به، فرسول الله ﷺ سريع التنفيذ له مترجمًا ذلك إلى سلوك عملي، وكل فعل نهى عنه وحذر منه أبعد ما يكون ﷺ عنه، فهو النموذج والمثال الخير للصحابية رضوان الله عليهم، وللناس بعامة قبل ذلك كله فسيرته هي الترجمة الحقيقة للإسلام.

والحسن البصري في فكره التربوي يتناول الإسلام منهج حياة، ويوضح الغاية من خلق الإنسان، وكمال إنسانيته بين سمة التربية التي تبني هذا الإنسان وتقوده باتجاه الكمال ويدرك أنواعاً من العبادات وصوراً من الآداب التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً

^(١) محمد إسماعيل البخاري: الأدب المفرد، مطبع الإرشاد الحديثة، حمص، سوريا، ١٣٨٨هـ، ص (١٠١).

^(٢) الجرجاني علي بن محمد بن علي: التعريفات، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٨هـ، ص (١٣٦).
سورة القلم: آية: (٤).

^(٣) محمد بن حمود بن زيد الطبرى: تفسير الطبرى، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج ٢٩، ص (١٨).

^(٤) محمد عبدالرحيم: مرجع سابق، ج ٢، ص (٣٧٥).

بالكلمات العامة للأخلاق. قال رحمة الله: (تأدبوا رحمة الله بآداب الله، وحافظوا على ما في كتب الله، تكونوا من أولياء الله)^(١).

كما يتناول مفردات الأخلاق مثل: الصدق، الجود، العفو، البذل، الاحتمال، القناعة، الإيثار، وحسن الخلق إلى غير ذلك.

وتقسم الأخلاق عموماً إلى: (أخلاق فردية، أخلاق أسرية، أخلاق اجتماعية، أخلاق دولية، أخلاق دينية)^(٢)، وهي في الإسلام تقوم على ركيزتين هما: الحسن والقبح، وهاتان الركيزتان هما الفطرة السليمة والعقول المستقيمة؛ فأي سلوك استحسنته هذه الفطرة وتلك العقول أصبح من الأخلاق الفاضلة، وأي سلوك استقبحته أصبح كذلك من الأخلاق الدنية: (...وعلى الرغم من أن النفس هي مجمع الغرائز والأهواء والشهوات والمخاوف والمطامع فإنها تستحسن محسن الأخلاق وتستقبح مساوتها، وهي بطبيعتها تميل إلى أن تعامل الآخرين بالخلق الحسن وتفر من أن تعامل بالخلق القبيح)^(٣).

يقول ياجن: (الخلق يدل على الصفات الطبيعية، في خلقة الإنسان الفطرية على هيئة مستقيمة متناسقة، كما تدل الأخلاق على الصفات التي اكتسبت وأصبحت كأنما خلقت مع طبيعته)^(٤).

لكن الفطرة والعقول قد يعجزان في بعض الأحيان عن اتخاذ حكم بأنَّ هذا حسن وذاك قبيح، فدليلها، ومرشدتها هو الشرع الكريم والمتمثل في كتاب الله وسنة رسوله.

^(١) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مرجع سابق، ص (٣٧).

^(٢) محمد عبدالله دراز: دستور الأخلاق في القرآن، ط ٨، تعریف وتحقيق عبد الصبور شاهین. بيروت، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، ص (٨١٦).

^(٣) عبدالرحمن الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٤١٧هـ، ج ١، ص (٦٩).

^(٤) مقداد ياجن: التربية الأخلاقية في الإسلام، ط ١، مكتبة الحاخامي، القاهرة، مصر، ١٩٧٧م، ص (٣٤).

ويتناول البحث هنا مفهوم التربية الأخلاقية وال الحاجة إليها، وأهم مصادرها، والغاية منها، وأساليبها، ثم نذكر صوراً من الأخلاق الفاضلة، والتي تعرض لها الحسن البصري في نصائحه وفق ما جاء في فكر الحسن البصري.

مفهوم التربية الأخلاقية.

تعتمد التربية الأخلاقية على تعويد الناشئ على الأخلاق الفاضلة والمثل العليا والسمحاء الحميدة حتى تصبح مكتسبات راسخة وسمات ثابتة يهناها في الدارين الدنيا والآخرة، وتجنيبه الأخلاق السيئة أمر مطلوب فالطفل: (... ينشأ على ما عوده المربى في صغره...).^(١)

ويعني حسن الخلق بشاشة الوجه وطلاقته، والجود، والصدق، وبذل المعروف وكف الأذى. سئل الحسن رحمه الله عن حسن الخلق، ما هو؟ فقال: (البذل، العفو، الاحتمال).^(٢).

كما يقول ابن القيم: (قال الترمذى: قال عبد الله بن المبارك: حسن الخلق: طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى).^(٣)

وحسن الخلق عند الحسن البصري يرتكز على الصدق، والجود، والعفو، والبذل، والإيثار، والقناعة، والحلم، وترك الحرص، والحسد والأفعال القبيحة، وهو عنده إحدى ثمرات العلم والمعرفة بل من أفضل ثمراته، لذا أصبح لزاماً على المربيين تعليم من تحت أيديهم من الطلبة والناشئين العلم الذي يكسبهم الأخلاق الفاضلة؛ كان يقول: (العلم خير تراث، والأدب أزيدن خَدِين، والتقوى خير زاد، والعبادة أربع بضاعة، والعقل خير وافد، وحسن الخلق خير قرين، والحلم خير وزير، والقناعة أفضل غنى، والتقوى خير معين، وذكر الموت أوعظ واعظ).

(١) ابن القيم الجوزية: تحفة المودود بأحكام المولد، ط١، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩١هـ، ص(٢٤٠).

(٢) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مراجع سابق، ص (٣٥).

(٣) ابن القيم الجوزية: تمذيب سنن أبي داود، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠، جـ٧، ص(١٦١).

وأن حسن الخلق عند الحسن البصري يقوم على ركيزتين: التأدب مع الله أو التأدب بآداب الله والمحافظة على ما في كتب الله قال الحسن ناصحاً في هذا الباب: (تأدوا رحمة الله بآداب الله، وحافظوا على ما في كتب الله، تكونوا من أولياء الله)،^(١) هذا أولاً، أما الثانية فهي مخالطة الناس بالأخلاق الكريمة، قال: (خالطوا الناس بالأخلاق الكريمة، وزايلوهُمْ في الأفعال القبيحة)^(٢).

وجماع الأمر في حسن الأخلاق الحسنة مراقبة الله تعالى والخوف منه، والعلم به والرجاء فيه. قال ابن القيم: (الخوف منه والرجاء والإنبابة والحلم والوقار واللب والعقل والعفة والكرم، والإيثار على النفس والنصيحة لعباده والرحمة لهم والرأفة وخفض الجناح والعفو عن مسيئهم والصفح عن حانيهم وبذل الإحسان لكافتهم ودفع السيئة بالحسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر في مواطن الصبر والرضا بالقضاء واللين للأولياء والشدة على الأعداء والصدق في الوعد والوفاء بالعهد والإعراض عن الجاهلين والقبول من الناصحين واليقين والتوكّل والطمأنينة والسكينة والتواصل والتعاطف والعدل في الأقوال والأفعال... والتحذير عن سبل أهل الضلال وتبين طرق الغي وحال سالكيها، والتوصي بالصبر والمحض على إطعام المسكين، وبسوال الدين وصلة الأرحام وبذل السلام لكافة المؤمنين إلى سائر الأخلاق الحمودة والأفعال المرضية التي أقسم الله على عظمتها^(٣)، فقال تعالى: «وَالْقَلْمَ وَمَا يَسْطُرُونَ(١) هَمَّا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْتُونِ(٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونِ(٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ»^(٤).

فهذه الأخلاق ومثلها هي ثرة القرآن والعلم الشرعي. وما يؤكد هذه الحسنة البصري شمول التربية الخلقية وذلك في معرض حديثه عن العلم حيث قال: (الفهم

^(١) التزيل: التباين والتفرق، قال تعالى: (فَرِيلَنَا بَيْنَهُمْ).

^(٢) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مراجع سابق, ص (٤٠).

^(٣) ابن القيم الجوزية: مفتاح دار السعادة ومنتشر ولاية أهل العلم والإرادة, دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، جـ ١، دـ ت، ص ص (١١٥-١١٦).

^(٤) سورة القلم: آية (٤ - ١).

وعاء العلم، والعلم دليل العمل، والعمل قائد الخير، والهوا مركب المعاصي والمال داء المتكبرين، والدنيا سوق الآخرة، والويل كل الويل لمن قوى بنعم الله على معاصيه).

وقال أيضاً: (إذا لم تكن حليماً فتحلم وإذا لم تكن عالماً فتعلم، فما تشبه رجل بقوم إلا كان منهم).

وللحسن البصري رحمه الله عنابة كبيرة في تحريك المهم وتنمية العزائم إلى طاعة الله، والصبر والحلم والأخلاق ومكارم الأخلاق فقد أفرد ابن الجوزي فصلاً كاملاً في الكتاب الذي جمعه من أقوال الحسن بعنوان: (آداب الشيخ الحسن بن أبي الحسن البصري)^(١).

النهاية إلى التربية الخلقية.

إن الحاجة إلى التربية الخلقية ماسة ذلك لأن آثارها الطيبة تعكس بالضرورة على الفرد والمجتمع على حد سواء، حيث إن آثار إهمالها تفتت بالفرد والمجتمع ، لهذا يجب الاهتمام والعنابة بما منذ بداية مراحل العمر الأولى للإنسان، أي من سن الطفولة، يقول ابن القيم في ذلك: (... وما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه..).

فاكثر الناس الذين ينحرفون في أخلاقهم يكون ذلك بسبب سوء التربية التي نشأوا عليها، يقول ابن القيم: (...ولهذا نجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها).

كما أن الحاجة إلى التربية الخلقية تُحتمم على المربي تجنيد الناشئ (... إذا عقل مجالس اللهو والباطل والغباء وسماع الفحش، والبدع ومنطلق السوء، فإنه إذا علق بسمعه عسر عليه مفارقته في الكبر وعز على ولية استنقاذه منه؛ فتغير العوائد من

^(١) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مرجع سابق، ص (٣٥).

أصعب الأمور يحتاج صاحبها إلى استحداث طبيعة ثانية، والخروج عن حكم الطبيعة صعب^(١).

مصادر التربية الأخلاقية.

١ - إنَّ المصدر الأول والرئيس للتربية الأخلاقية عند الحسن البصري هو القرآن الكريم، الذي ربِّي الأمة الموصوفة في كتاب الله بأنها: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ...»^{*}.

والذي كان خلق رسول الله ﷺ كما ذكر ذلك الحسن البصري حيث قال مفسراً الآية: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ». قال: (أدب القرآن)^(٢).

وكان الحسن يستدل دائمًا بالقرآن فهو مثلاً يقول: (لو شاء الله عز وجل بجعلكم أغنياء لا فقير فيكم، ولو شاء بجعلكم فقراء لا غني فيكم، ولكن ابتلى بعضكم ببعض لينظر كيف تعلمون. ثم دل عباده على مكارم الأخلاق، فقال جل جلاله: «وَيُؤْتُرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شَحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»).

٢ - والمصدر الثاني الذي يستقي منه الحسن البصري في التربية الأخلاقية هو سنة الرسول الكريم ﷺ وكذلك سيرته العطرة التي تعتبر تطبيقاً فعلياً وعملياً للمبادئ الإسلامية العظيمة ونظمها الكاملة فرسول الله كان قمة في أخلاقه وحلمه، ولقد أورد الحسن البصري أحاديث عدة نذكر منها الآتي^(٣):

^(١) ابن القيم الجوزية: مراجع سابق, ص ص (٢٤٠-٢٤١).

سورة آل عمران: آية (١١٠).

^(٢) محمد عبد الرحيم: مراجع سابق, جـ ٢, ص (٣٥٧).

سورة الحشر: آية (٢٩).

^(٣) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مراجع سابق, ص (٣٦).

١- حديث الأمانة.

(لقد فرض الإسلام على المسلمين الأخذ بخلق الأمانة، وحرم عليهم أن يسلكوا بسلوك الخيانة، فمن كان أميناً كان مطيناً لربه في إسلامه، ومن كان خائناً كان عاصياً لربه^(١)). وقد اهتم الحسن البصري بالأمانة فكان يقول رحمه الله: (ابن آدم إنك لن تجمع إيماناً وخيانة، كيف تكون مؤمناً ولا يأمنك جارك؟ أو تكون مسلماً ولا يسلم الناس منك أليس قد روی عن النبي ﷺ أنه قال: (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)^(٢).

٢- حديث إخافة الجار.

كان يقول رحمه الله: (ابن آدم إنك لن تجمع إيماناً وخيانة، كيف تكون مؤمناً ولا يأمنك جارك؟ أليس قد روی عن النبي ﷺ أنه قال: (ليس بمؤمن من خاف جاره بوائقه)^(٣).

٣- حديث أهل المعروف.

وكان يقول رحمه الله إن رسول الله ﷺ قال: (أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة)^(٤)، وذلك أن الله غفر لهم ذنوبهم، مما أسلدوه من المعروف إلى خلقه في دار الدنيا، ثم يقول لهم يوم القيمة: (هبوا حسنااتكم لمن شتم قد غفرت لكم سيئاتكم) فيهبون حسناهم فيكونون أهل المعروف في الآخرة كما كانوا في الدنيا^(٥).

^(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: مرجع سابق ص (٦٤٧).

^(٢) ابن الجوزي: مرجع سابق، ص (٣٨)، والحديث رواه الإمام أحمد /١٣٥، ١٥٤، ٢١٠، ٢٥١، والبيهقي في السنن الكبرى، جـ٦، ص (٢٨٨)، وابن حبان الاحسان، جـ١، ص (٣٦١).

^(٣) محمد بن إسماعيل البخاري: من حديث أبي شرير في الآداب، باب: إثم من لا يأمن جاره بوائقه، جـ١، ص (٤٤٣)، بلفظ والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه. ومسلم في الإيمان، باب تحريم إثداء الجار: جـ١٠، ص (٤٦).

^(٤) محمد عبدالله الحكم النيسابوري: المستدرک على الصحيحین، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ. تحقيق مصطفى عبدالقادر عطاء، جـ٤، ص (٣٥٧). هذا الحديث صحيح الإسناد.

^(٥) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مرجع سابق، ص (٣٩)، والحديث رواه الحكم: جـ١، ص (١٢٤)، وأبو نعيم في الحلية: جـ٩، ص (٣١٩)، وصححه في الجامع برقم: ٢٠٣١.

يلاحظ الباحث اعتناء الحسن البصري هنا بطاقة من الأخلاق الإسلامية، مثل: الأمانة، الجود والمعروف، ومتولة أهل المعروف في الدنيا والآخرة.

غاية التربية الخلقية.

إن الغاية من التربية الخلقية عند الحسن البصري هي تحقيق العبودية لله المتفرد بالجلال وكمال الخصال، لأنها هي الركيزة الأساسية في جلب السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة، ولأن الله خلق الإنسان وجعله خليفة في الأرض، فقال تعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...».

فلا سعادة، ولا فلاح للإنسان إلا بإتباع منهج الله واحتساب سيء الأخلاق، والتحلي بأفضليها، قال الحسن: (خالطوا الناس في الأخلاق الكريمة، وزايلوهم في الأفعال القبيحة).

كما قال أيضاً: (لقد علمكم السلف الصالح الآداب ومكارم الأخلاق فتعلموا رحمة الله^(١)).

إن صاحب الأخلاق الفاضلة والسلوك السوي يحظى بسعادة الدارين، أما من اتصف بالأخلاق الفاسدة فقد ضيّع السعادة في الدارين، ولذا فما أحوج المسلم إلى عبادة تتحقق في مقتضاها الإيمان الحق فتغرس في نفسه نبتة الخير وتسرق نبتة الشر وتحبّي القلوب وتنمي الأفكار النيرة، بل إن طاعة الله لها الأثر الكبير على الأخلاق الفاضلة والسلوك السوي.

طرائق التربية الخلقية.

من طرائق التربية الخلقية عند الحسن البصري.

١- الاتفاق بين الأخلاق الحسنة والأخلاق القبيحة، حيث إنه كان

* سورة البقرة: آية (٣٠).

^(١) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مراجع سابق, ص (٤٥).

يقول مقتدياً بأقوال الصحابة الكرام في مخالطة الناس في الأخلاق الفاضلة حيث قال سيدنا عمر ابن الخطاب رض: (خالطوا وزايلوا) *

وقال الحسن: (خالطوا الناس في الأخلاق الكريمة، وزايلوهם في الأفعال القبيحة).

فهذا يدل على إتقناته بالصحابة الكرام وعنهجهم الثابت المثبت في التربية الأخلاقية والخلقية وما يدخل تحت هذه الفقرة قوله: (اثنان لا يصطحبان أبداً: القناعة والحسد، واثنان لا يفترقان أبداً: الحرص والحسد) ^(١).

٢- الحث على الأخلاق الكريمة: كان الحسن البصري يحث الناس عامة في عصره على التحلی بالأخلاق الكريمة وينهى عن الأخلاق الذميمة؛ لأن الدين الإسلامي دين الأخلاق الحميدة، قيل: (تساب رجالاً بحضوره الحسن، فقام المسبوب وهو يمسح العرق عن وجهه، ويتلوي: «ولَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنْ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ»).

فقال الحسن: (الله دره عقلها والله حين ضيعها الجاهلون)، وقال: (ابن آدم لتصيرن أو لتهلكن).

وقال لقد روي أن رجلاً شتم أبا ذر رحمه الله، فقال: (إن بيبي وبين الحنة عقبة إن أجزتها فأنا خير مما تقول، وإن عوج بي دونها إلى النار فأنا أشر مما قلت، فانته أيها الرجل فإنك تصير إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور).

٣- التحذير من النمام والناقل للأخبار: الحسن البصري ينفر من الذي ينقل الأحاديث والأخبار بقصد إفساد القلوب والنميمة حتى يبقى المجتمع متamasكة أركانه وأواصره، كان يقول: (احذر من نقل إليك حديث غيرك فإنه سينقل إلى غيرك حديثك).
يلاحظ أن الإمام الحسن البصري يحذرنا من خلق ذميم وخطير على الفرد والمجتمع ويدعونا إلى الحذر الشديد من ينقل الأخبار بصورة مطوية حالية من العدل

* التزاييل: التباعين، والتفرق، قال تعالى: (فَرِيلَنَا بِنَهْمٍ).

^(١) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: المرجع السابق، ص ص (٤٥ - ٥٢).

سورة الشورى: آية (٤٣).

والإنصاف فهو بذلك لا يبني مجتمعاً سليماً من الحقد والغل. كما أنه يقول: (ثلاثة لا غيبة فيهم، الفاسق المعلن بفسقه، أن يذكر ذلك منه، وصاحب البدعة أن يذكر بدعته، والإمام الجائز أن يُذكَر بمحوره).

٤- نتائج حسن الخلق: بين الحسن البصري نتائج حسن الخلق الخيرة في موعظه وأقوال عده ذكر أن يحسن الخلق بين العبد وأخيه وبين العبد وخالقه حيث قال: (روي أن الله جل جلاله قال لآدم عليه السلام: (يا آدم أربع فيهن جميع الأمر لك ولو لولدك من بعده، واحدة لي وواحدة لك، وواحدة بيتي وبينك، وواحدة بينك وبين الناس. فأمّا التي لي: فإن تعبدني لا تشرك بي شيئاً، وأمّا التي لك فعملك أجزيك به، أفتر ما تكون إلية، وأمّا التي بيتي وبينك، فعليك الدعاء وعلى الإجابة، وأمّا التي بينك وبين الناس فأن تصحبهم بما ت يريد أن يصحبوك به).

أن مناط الأمر أن المعاملة الطيبة بين العبد وربه تكسبه محبة الله، وكذلك معاملته مع العباد تكون بما يحب من الخلاق الحميـدة وهذا ما يدلـك من النص المذكور.

صور من الأخلاق.

١- الصبر.

أمر الله تعالى بالصبر وأمر أحب الخلق إليه باتباعه لحكمه، وأخير أن صبر الرسول ﷺ بالله، وأثني على الصابرين أحسن الثناء، وضمن لهم أعظم الجزاء، وقرن الصبر بمقامات الإسلام والإيمان والإحسان^(١).

عدّ الحسن البصري، الصبر أحد الأخلاق السامية والسلوك القويم، لأن الخير كلّ الخير لن يناله الفرد المسلم إلا بتربية النفس على الصبر فهو (أي الصبر) أحد كنوز الجنة، وهو الخير كلّه فالصبر تحقق الآمال والطموحات وبه ينال الإنسان أعلى الدرجات، وقد ذكر الحسن البصري أقاويل كثيرة منها، قوله:

(١) ابن القيم الجوزية: هذيب مدارج السالكين، هذيب عبد المنعم صالح العلي، وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة، دبي، مطبعة كاظم، ١٤١٧هـ، ص (٣٥٥).

(أيها الناس إنكم لا تتألون ما تحبون إِلَّا ترك ما تشتهون، ولا تدركون مَا تأملون إِلَّا بالصبر على ما تكرهون)، كما قال - أيضاً - (الصبر كثر من كنوز الجنة، وإنما يدرك الإنسان الخير كُلُّه بصبر ساعة)^(١). وكان يقول: (الرضاى صعب شديد، وإنما معلو المؤمن الصبر)^(٢).

هذه إذن أفكار تربوية يطرحها الحسن ويدعونا إلى الأخذ والتحلي بها وتقديمه وردة ذكية الرائحة للناشئ ليجعلها نصب عينيه، يقتن سلوكه وفقها ويسير على منوالها. كما كان يقول: (... ابن آدم لتصبرنْ أو لتهلكنْ...).

وكان يقول: (من أُعطي درجة الرضاى كفى المؤمن، ومن كفى المؤمن صبر على المحن).

والصبر عند الحسن ينقسم قسمين، أحدهما صبر عند المصيبة، والأخر عن المعصية، ومن تخلى بذلك ووطن نفسه نال أفضل الصبرين حيث كان يقول: (الصبر صبران، صبر عند المصيبة، وصبر عن المعصية، فمن قدر على ذلك فقد نال أفضل الصبرين)^(٣).

ونرى الحسن رحمة الله يدعو إلى الصبر على الحق حتى ينقلب صاحبه إلى الله وهو صابر محتسب فيقول: (تصبروا وتشددوا فإنما هي ليالي تعد، وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت، فانقلبوا بصالح ما بحضرتكم، إن هذا الحق أجهد الناس، وحال بينهم وبين شهواتهم، وإنما يصبر على هذا الحق من عرف فضله وعاقبته).

^(١) علي سلطان محمد الهروي القاري: المصنوع، ط٤، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ٤٠١٤ هـ، تحقيق: عبدالفتاح أبوغدة، جـ١، ص (٦٦).

^(٢) أبو الفداء ابن كثير: مراجع سابق، جـ٩، ص (٢٧٢).

^(٣) جمال الدين ابو الفرج بن الجوزي: مراجع سابق، ص ص (٣٧ - ٣٨).

إنه صبر من نوع خاص، هو صبر أصحاب المبادئ على الحق الذي يحملونه حتى يأتي وعد الله، فيظهر الله الحق الذي معهم أو يقضوا هم دونه فينقلبوا إلى ربهم شهداء فائزين.

ويريد الحسن رحمه الله أن يبين فضيلة الحلم والصبر، فيقول: (ما تجرب عبد جرعة أعظم من جرعة حلم عند الغضب، وجرعة صبر عند المصيبة).

وكان رحمه الله يرى أن المؤمن بحاجة إلى صبر على دنياه وفتنته، فنجد له يكتب إلى عمر بن عبدالعزيز عندما استختلف فيقول: (أما بعد، فإن الدنيا دار مخيفة، إنما أهبط آدم من الجنة إليه عقوبة، وأعلم أن صرعتها ليست كالصرعة، من أكرّها يهـن، ولها في كل حين قتيل، فـكـنـ فـيـهاـ ياـ أمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ كـالـمـدـاويـ جـرـحـهـ، يـصـبـرـ عـلـىـ شـدـةـ الدـوـاءـ، خـيـفـةـ طـوـلـ الـبـلـاءـ وـالـسـلـامـ) ^(١).

ثم إن الذي يتعرف إلى ربه ويسيّر في طريقه بحاجة هو كذلك إلى الصبر، ولذلك يقول الحسن: (رحم الله امرأً عرف ثم صبر، ثم أبصر فصبر، فإن أقواماً عرفوا فانتزع الجزء أبصارهم، فلا هم أدركوا ما طلبوا، ولا هم رجعوا إلى ما تركوا).

وللحسن قول في شطري الخير اللذين هما الشكر والصبر، فإن العبد الذي يؤتاهما قد أوثق الخير كله يقول: (الخير الذي لا شرّ فيه، هو الشكر مع العافية، والصبر عند المحن، فكم من منعم عليه غير شاكر، وكم من مبتلى بمحنة وهو غير صابر) ^(٢).

وهكذا نجد أن الحسن البصري رحمه الله يهتم كثيراً بتربية النفس على الصبر الذي هو حبس لها على ما تكره؛ وذلك إيماناً منه بأن الصبر هو أبشع علاج لجزاء النفس وتتردها، وهو مهما كان مرّ المذاق فإن عوقيه طيبة؛ لأن خير العيش ما أدركه المرء بعد طول صبر، هذا في الدنيا أما في الآخرة فللصابرين جراء بغير حساب.

^(١) الحافظ الأصفهاني: مرجع سابق، جـ٢، ص(٤٨)ـ(٤٩).

^(٢) صالح أحمد الشامي: مرجع سابق، ص (١٠٣).

٢- العفو والبذل، والاحتمال.

هذه الصفات الثلاث يرى الحسن البصري أنها من ركائز الأخلاق الحسنة، من خلالها تربى النفس الإنسانية وتسمو إلى درجة عالية، يمكن غرسها في نفس الناشئ. سأله رجل عن حسن الخلق، ما هو؟ فقال: (البذل، والعفو، والاحتمال).

فهذه خلال أخلاقية يستفاد منها في تربية الناشئ اليوم، كما قال - أيضاً - (مروءة الرجل صدق لسانه، واحتمال مؤونة إخوانه، وبذله المعروف لأهل زمانه، وكفه الأذى عن جيرانه). وحضاً منه على البذل، نراه يحذر من الشعف يقول: (والله ما لقيت هذه الأمة، وما عظت به هذه الأمة ثم ذكر أوليائهم، وتبادلهم، وتعاطفهم وتراحمهم، فقال عنهم: حتى أن أحدهم ليكسر عظم أخيه عظماً عظماً: هات درهماً هات درهماً! وهذا عاض عليه، وهذا ملح عليه؟!!).

٣- الإيثار.

يرى الحسن البصري أن الإيثار أحد الأخلاق الفاضلة، بل جعلها من مكارم الأخلاق معضداً ما يذهب إليه بكلام رب العزة والجلال الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه حيث كان يقول: (... لو شاء الله عز وجل لجعلكم أغزياء لا فقير فيكم، ولو شاء لجعلكم فقراء لا غني فيكم، ولكن ابتلوني بعضكم ببعض لينظر كيف تعملون. ثم دل عباده على مكارم الأخلاق، فقال جل جلاله: **«وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصِّاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»**).

وقال: (كنا نعد البخيل منا الذي يقرض أخاه الدرهم، إذ كنا نعامل بالمشاركة والإيثار، والله لقد كان أحد من رأيت وصحت يشق إزاره فيؤثر أخاه بنصفه، ويبقى له ما بقي، ولقد كان الرجل من كان قبلكم يصوم، فإذا كان عند فطره، مرّ على بعض إخوانه فيقول: (إني صمت هذا اليوم لله، وأردت إن تقبله الله

مني أن يكون لك فيه حظ، فهلم شيئاً من عشائق، فيأتيه الآخر ما تيسر من ماء وتمر يفطر عليه، يبتغي أن يكسبه أجرأ، وإن كان غنياً عن الذي عنده^(١).

إن الحسن البصري هنا يريد أن يرتفع بنا إلى هذا المستوى السامي الذي كان عليه السلف الصالح، وأسلوب التربية الأخلاقية الذي ينتهجه هنا هو أسلوب التربية بالقدوة وضرب المثل، وهو أبلغ الأساليب تأثيراً، وكأنه رحمة الله وهو يسورد تلك الأمثال يقول بلسان حاله:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلا ح

٤- الصدق.

(الاستكمال بالصدق في كل شأن وتحريه في كل قضية، والمصير إليه في كل حكم، دعامة ركينة في خلق المسلم، وصيغة ثابتة في سلوكه)^(٢).

ومن الصفات الكريمة والأخلاق الفاضلة لدى أبي سعيد خلق الصدق، وبهذا الخلق اتصف الرسول الكريم ﷺ قبل بعثته حيث كان عليه الصلاة والسلام يلقب بالصادق الأمين، وذلك لما كان عليه من سلوك تربوي قويم، يقول الحسن: (مروءة الرجل صدق لسانه، واحتماله مؤونة إخوانه، وبذله المعروف لأهل زمانه، وكف الأذى عن جيرانه)^(٣).

إذاً السلوك التربوي القويم يقوم على دعائم وأركان يعضده، فالصدق يعد عند الحسن البصري من المرءة، وأكرمها من صفة كريمة وتربيه عظيمة، إذا اتصف الرجل بصدق اللسان.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي

(١) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مرجع سابق، ص (٣٥)، سورة الحشر: آية (٩).

(٢) محمد الغزالي: خلق المسلم، ط ١٢، دار القلم، دمشق، ١٤١٦ هـ، ص (٣٥).

(٣) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مرجع سابق، ص (٣٥).

إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً^(١)، وقد سُئل الحسن: (أي الأخلاق أَفْضَل؟) فقال: (الجود والصدق)^(٢).

ويرى الحسن البصري أن من الصدق الوفاء بالوعد، وهو يجعل الصدق في الوعد أمارة على الكرم والكياسة، كما يرى أن إخلال الوعيد أو المماطلة دليل على اللؤم والخيانة فنجد أنه يقول: (عدة الكريم فعل وتعجيز، وعدة اللئيم تسويق وتطويل).

٥- الاستغناء عما في أيدي الناس.

وهو من الأخلاق الرئيسية التي يجب أن يربى المسلم نفسه عليها كما يرى الحسن رحمه الله، فها هو يقول: (لا أذهب إلى من يواري عنِّي غناه، وييدي لي فقره، ويغلق دوني بابه، وينتني ما عنده، وأدع من يفتح لي بابه، وييدي لي غناه، ويدعوني إلى ما عنده).

إن المسلم في نظر الحسن ، عزيز الجانب فهو غني بربه عن الناس، وزاهد بما عنده عما في أيدي الآخرين لا يمد عينيه إلى ما متع الله به غيره من عرض الدنيا، وهذا أمر يحتاج إلى تربية ومجاهدة على طول الزمان.

وهو يرى رحمه الله أن المسلم يظل عزيزاً محتفظاً بكرامته ما لم يمد عينيه إلى ما في أيدي الناس، فيقول: (لا تزال كريماً على الناس، ولا يزال الناس يكرمونك، ما لم تتعاط ما في أيديهم، فإذا فعلت ذلك استخفوا بك، وكروهوا حديثك، وأبغضوك).

وصدق الحسن، فهو يترجم حديث رسول الله ﷺ: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس)^(٣). ويؤصل كلام الأعرابي من قبل حين قال: (خذ من شئت تكن أسيئه، وأعط من شئت تكن أميره، واستغن عن تكن نظيره).

^(١) الإمام زكريا يحيى بن شرف النووى، رياض الصالحين، الطبعة التاسعة عشرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، ص (٦٦).

^(٢) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مراجع سابق، ص (٣٩).

^(٣) أحمد بن أبي بكر إسماعيل الكنائى: مصباح الزجاجة، ط ٢، دار العربية، بيروت، ١٤٠٣ هـ، تحقيق محمد المنتهى الكشناوى، ج ٤، ص (٢١٠).

ثم نرى الحسن رحمه الله يدل الراغب في تربية نفسه على هذا الخلق، على وسيلة تساعد في ذلك، وهي: ألا ينظر إلى من هم أعلى منه في الدنيا، بل ينظر إلى من هم دونه، لأن ذلك حري به ألا يزدرى نعمة الله عليه وأن يستغنى عما في أيدي الناس، فيقول: (إن الرجل ليدخل المدخل، ويجلس المجلس، أو يأكل الأكلة، فيغير قلبه، فإياكم والدخول على أهل البسطة، فإن الدخول عليهم يغير قلب الرجل، فيتسخط ما في يديه).

٦- التواضع.

يرى الحسن البصري رحمه الله أن التواضع الحقيقي هو الذي لا يرى لنفسه فضلاً على أحد بل أنه لا يرى أحداً إلا ورأه أفضل منه، فلقد سئل رحمه الله عن التواضع، فقال: (هو أن تخرج من بيتك، فلا تلقى أحداً إلا رأيت له الفضل عليك). ويستنكر الحسن البصري رحمه الله أن يتكبر الإنسان بنعم الله وهو الذي لا غنى له عن ربه، ولا قيمة له بدونه، ولذلك لما رأى الحسن رحمه الله نعيم بن رضوان يمشي مشية المتكبر، قال: (انظروا إلى هذا، ليس فيه عضو إلا والله تعالى فيه نعمة وللشيطان لعنة)^(١).

إن عباد الله الحقيقيين ليسوا أولئك الذي يمشون مشية المتكبرين، بل هم الذي وصفهم الله بقوله: «الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا»^{*}، يقول الحسن عندما ذكر هذه الآية: (المؤمنون قوم ذلل، ذلة - والله - الأسماع والأبصار والجوارح، حتى يحس بهم الجاهل مرضى، والله ما بالقوم من مرض، وإنهم لأصحاب القلوب ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنهم من الدنيا علمهم بالأخرة. وقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن - والله - ما أحزنهم حزن الناس، ولا تعاظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة، أبكاهم الخوف من النار. وأنه من لم يتعزز بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا

^(١) صالح أحد الشامي: مرجع سابق، ص (١٠٢).

* سورة الفرقان: آية (٦٣).

حسرات، ومن لم ير الله عليه نعمة إلا في مطعم أو مشرب، فقد قل علمه، وحضر عذابه).

ونحن نرى الحسن في دعوته إلى التواضع، يدعو إلى الإخلاص فيه، وعدم التظاهر بالتواضع مع خلو القلب منه، ولذلك فهو يعيّب على أصحاب هذا التواضع الكاذب فيقول: (إن قوماً جعلوا تواضعهم في ثيابهم، وكثيرهم في صدورهم، حتى لصاحب المدرعة بمدرعته، أشد فرحاً من صاحب المطرف بمطرفه)^(١).

٧- الاقتصاد في المأكل والمشرب.

ومن بين الأخلاق التي يرى الحسن البصري أن المسلم بحاجة إلى أن يربى نفسه عليها: أن يعود نفسه على الاقتصاد وعدم السرف في المأكل والمشرب، بل إنه يستنكر على أولئك الذين يجعلون الطعام والشراب همهم حتى أنهم ليأكلون فوق ما يطيقون. عن عقبة الراسبي قال: دخلت على الحسن، فوافيته يتغذى خبزاً ولحماً، فقال: (هلم إلى طعام الأحرار). فقلت: أكلت، لا أستطيع أن أكل، فقال: (سبحان الله!! ويأكل المسلم حتى لا يستطيع أن يأكل؟!)^(٢).

بل إن الأمر عند الحسن رحمة الله لا يقف عند حد الاقتصاد في الطعام فحسب، بل إنه يدعو إلى أن يجوع المرء نفسه؛ لأنه يرى الجوع طريقاً إلى الحشية، فقد قيل له يوماً: يا أبا سعيد أي شيء يدخل الحزن في القلب؟ فقال: (الجوع). قيل: فأي شيء يخرجه؟ قال: (الشبع). وكان يقول: (روي عن النبي ﷺ أنه قال: (ما من عبد جوع نفسه إلا لم يكن لأحد ثواب أفضل من ثوابه ذلك اليوم إلا من جاء بمثل ما جاء به - يريد من صام لله سبحانه -). ثم يقول: (المسلم لا يأكل في كل بطنه، ولا تزال وصيته تحت جنبه)^(٣).

* المدرعة: ثوب من الصوف، والمراد ما دلّ من الثياب على الزهد، والمطرف: رداء من الخز.

^(١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الحاخامي، القاهرة، ١٤١٨هـ، جـ٣، ص(١٥٣).

^(٢) صالح أحمد الشامي: مراجع سابق، ص (١٣٨).

^(٣) عبدالله بن المبارك: كتاب الرهد، تحقيق الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٨٦هـ، ص (٩٢).

بل إن الحسن رحمه الله يتدرج بنا في مسالك التربية حتى إنه ليزيد أن نصل إلى الحد الذي نرى فيه السرف في الطعام والشبع معصية يجب التوبة منها فهو يقول:
(توبوا إلى الله من كثرة النوم والطعام)^(١).

٨- شكر النعم.

لقد علمنا الإسلام أن دوام النعم وزيادتها إنما هي رهن بالشكر الدائم عليها، ففي القرآن قول الله تعالى: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ». ولذلك نرى الحسن رحمه الله يدلنا على طريق من طرق الشكر على النعم، وهو ذكر هذه النعم والتحدث به لا على سبيل الفخر والعجب، وإنما على سبيل التحدث بالفضل، أي من باب: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَعَدَّتْ». يقول الحسن رحمه الله: (أكثروا ذكر هذه النعم، فإن ذكرها شكرها)^(٢).

٩- عدم الركون إلى الظلمة وعدم الطغيان في النعمة.

ويرى الحسن أنهم أساس صلاح الأخلاق كلها، فهو يقول: (حصلتان من العبد إذا صلحتا صلح ما سواهما: الركون إلى الظلمة، والطغيان في النعمة، قال الله عز وجل: «وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ»، وقال سبحانه: «وَلَا تَطْغُوا فِيهِ فَيَحْلُّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي»^(٣)، بل إنه يرى أن من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصي الله في أرضه).

لقد أوضح الإسلام (ضرر الظلم بالمجتمع كله، لا بالظالم وحده، وأن الناس إذا لم يأخذوا على يد الظالم أو شرك الله أن يعمهم بعذاب من عنده، لذا كان حرص

^(١) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مرجع سابق، ص (٢٦).

سورة إبراهيم: آية (٧).

سورة الصاف: آية (١١).

^(٢) ابن المبارك: الرهد، ص (٥٠٣).

سورة هود: آية (١١٣).

سورة طه: آية (٨١).

^(٣) أبو حامد الغزالي: مرجع سابق، ٨٧/٢.

الإسلام على العدل، وعدم الاندفاع في نصرة الظالم، وإن كان أخاً أو قريباً أو حليفاً^(١).

١٠ - حفظ اللسان.

وهو من أهم الأخلاق التي يجب أن يربى عليها المسلم؛ لأن اللسان هو الآفة التي هلك بها الأولون والآخرون من المفرطين، لذلك وجب على المرء أن يتربى على خلق حفظ اللسان لأنه: (ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه)، كما قال الحسن، وهو القائل أيضاً: (من كثر كلامه كثر كذبه). ومن حفظ اللسان عدم التحدث بسر الغير لأن ذلك من الخيانة كما يرى الحسن رحمه الله، يقول: (إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك). ومنه كذلك عدم ذكر الغير إلا بخيار؛ لأن ذكر الغير كما قسمه الحسن ثلاثة: (الغيبة، والبهتان، والإفك). وكل في كتاب الله عز وجل، فالغيبة: أن تقول ما فيه، والبهتان: أن تقول ما ليس فيه، والإفك: أن تقول ما بلغك^(٢).

١١ - تلازم الأخلاق.

تلازم الأخلاق الفاضلة وتترابط فغالباً ما يكون مجتمعةً في شخص أكثر من صفة كريمة فالصادق قد يكون أميناً جواداً، فنوعاً، حليماً، باذلاً للمعروف صادقاً فيما يقول يحب الخير للناس وينصح لهم، كما أن الأخلاق الدينية قد تكون متلازمة هي - أيضاً - فالكنوب، يكون خائناً للأمانة مخادعاً ماكراً لا ينكر منكرأ، ولا يؤمن بفضيلة أو خلق كريم، ومع هذا ظاهره التلازم بين الأخلاق الجميلة والذميمة ليس أمراً مطروداً في كل حال وآن، وكذا ليس في جميع الأخلاق فيلاحظ أن بعض الناس قد يكون كريماً شهماً لكنه يحمل صفة ليست كريمة أو أن لديه بعض الصفات الذميمة ولا أدل على ذلك ما جاء عن رسول الله ﷺ حينما سُئل عن المؤمن أيكون جباناً، أيكون بخيلاً. قال (نعم)، أيكون كذاباً. قال: (لا)^(٣).

^(١) محمد يوسف موسى: الأخلاق في الإسلام، ط٢، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٢هـ، ص (٣٦).

^(٢) أبو حامد الغزالى: مراجع سابق، ١٤٤/٣.

^(٣) الإمام مالك بن أنس: الموطأ، الطبعة الأولى، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٤١٤هـ، جـ ٢، ص (٩٩٠).

والحسن البصري في أقواله وأحاديثه عن الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة التي يحب أن نربى عليها الناشئة ونغير سلوكها في نفوسها تعرّض إلى جملة من الأخلاق الفاضلة سبق عرضها. ونذكر هنا قوله - إضافة إلى ما ذكر - قال: (اثنان لا يصطحبان أبداً، القناعة والحسد، واثنان لا يفترقان أبداً: الحرص والحسد)^(١).

فالذى نلحظه أنه يقرن بين الصفات الأخلاقية فالحسد خلق ذميم، والقناعة خلق كريم، لكن الحرص والحسد مقتناعان وكلاهما خلقان ذميمان بل إن جمع الشر كلّه في أصول وفروع فهو يقول: (أصول الشر وفروعه ستة: فالأصول ثلاثة: الحسد، والحرص، وحب الدنيا. والفروع كذلك: حب الرياسة، وحب الثناء، وحب الفخر)^(٢). كما أنها نلاحظ ربط الحسن البصري بين الأخلاق الفاضلة في أقواله كان يقول: (العلم خير تراث، والأدب أذين حذين، والتقوى خير زاد، والعبادة أربع بضاعة، والعقل خير وافد وحسن الخلق خير قرين، والحلم خير وزير، والقناعة أفضل غنى، والتوفيق خير معين...).

ويقول كذلك مبيناً تلازم الأخلاق الفاضلة في المسلم: (من علامات المسلم: قوة في لين، وحزم في دين، وإيمان في يقين، وحكم في علم، وحبس في رفق، وإعطاء في حق، وقصد في غنى، وتحمل في فاقة، وإحسان في قدرة، وطاعة معها نصيحة، وتورع في رغبة، وتعفف وصبر في شدة، لا ترديه رغبته، ولا يبتدره لسانه، ولا يسبقه بصره، ولا يغلبه فرحة، ولا يميل به هواه، ولا يفضحه لسانه، ولا يستخفه حرصه، ولا تقصر به نيته)^(٣).

^(١) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي : مرجع سابق، ص (٥٢).

^(٢) ابن عبد ربه: مرجع سابق، ١٥١/٢.

^(٣) أبو الفداء بن كثير: مرجع سابق، ٢٧٠/٩.

رابعاً. التربية الاجتماعية.

لاشك أن التربية الاجتماعية ضرورة للمحافظة على الحياة الإنسانية متواصلة فعالة، وبدون هذه التربية تفقد الحياة معناها التعاوني الذي يتحقق في المفعة والصلة، وهذه التربية جانب مهم جداً في تشكيل شخصية المسلم، لأنها كفيلة بإعداده إعداداً متوازناً ليكون فرداً نافعاً لنفسه وبمجتمعه تغرس فيه الفضائل الاجتماعية النبيلة.

(وتسعى التربية الاجتماعية إلى إقامة مجتمع متعاون متماسك عن طريق تنمية الشعور الجماعي لدى الفرد، وترسيخ إحساسه بالانتماء إلى المجتمع^(١)).

وتشمل هذه التربية دوائر العلاقات الاجتماعية التي تتحقق في المؤمنين الصفة التي ميزهم الله بها في قوله تعالى: «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ»^{*}، لأن الفرد لا يعيش وحده بل يتعامل في المجتمع ويتأثر بما فيه، فيكون عضواً نافعاً في هذا المجتمع، حيث إن شبكة علاقاته داخل المجتمع تخلق له حقوقاً وتفرض عليه واجبات، كما يقول الإمام الغزالي رحمه الله: (اعلم أن الإنسان إما أن يكون وحده أو مع غيره، وإذا تعذر عيش الإنسان إلا بمحالطة من هو من جنسه لم يكن له بدًّ من تعلم آداب المحالطة، وكل محالط ففي محالطته أدب، والأدب على قدر حقه، وحقه على قدر رابطته التي بها وقعت المحالطة^(٢)).

وقد أشار الحسن البصري في أقواله وما روی عنه من آثار إلى هذه الأمور إشارات مهمة، تستوقف الدارس لها ليتأملها، نحاول في الصفحات التالية الوقوف على ملامح التربية الاجتماعية، حيث نتحدث عن التعاون وعلاقة الأخوة كمحور

^(١) عبدالفتاح أحمد فؤاد: في الأصول الفلسفية للتربية عند مفكري الإسلام، ط١، منشأة المعارف ، مصر، الاسكندرية، ١٩٨٣ ص (٧٢).

* سورة الفتح: آية (٢٩).

^(٢) أبو حامد الغزالي: مرجع سابق، جـ٢، ص(١٧٥).

للتربيـة الاجتمـاعـية، وذـكر بعض الأمـور التي تـغـذـي الشـعـور الـاجـتمـاعـي بـيـن الأـفـرـادـ والأـمـورـ التي تـقـسـدـ هـذـاـ الشـعـورـ، ثـمـ نـخـتـمـ ذـلـكـ بـخـلاـصـةـ لـلـتـرـبـيـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ.

محور التـرـبـيـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ.

إنـ منـ أـبـرـزـ صـفـاتـ الـمـسـلـمـ الصـادـقـ حـبـهـ لـإـخـوانـهـ وـأـصـدـقـائـهـ، حـبـاـ سـامـيـاـ مـجـرـداـ منـ كـلـ مـنـفـعـةـ، بـرـيـئـاـ مـنـ أـيـ غـرـضـ، إـنـهـ الحـبـ الـأـخـوـيـ الصـادـقـ الـذـيـ اـسـتـمـدـ صـفـاءـهـ منـ مشـكـاةـ الـوـحـيـ وـهـدـيـ النـبـوـةـ، فـكـانـ نـسـيـجـ وـحـدـهـ فيـ الـعـلـاقـاتـ الـبـشـرـيـةـ، وـكـانـ آـثـارـهـ فيـ سـلـوكـ الـإـنـسـانـ الـمـسـلـمـ فـرـيـدـةـ فيـ تـارـيـخـ الـعـامـالـاتـ^(١)، فـكـانـ مـنـ آـثـارـ الـتـعـاـونـ.

ويـعـتـبـرـ التـعـاـونـ مـحـورـ التـرـبـيـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ؛ لأنـهـ هوـ الـأـسـاسـ فيـ اـسـتـقـرارـ حـيـاةـ الـجـمـعـيـةـ وـإـرـسـاءـ الـعـلـاقـاتـ بـيـنـ أـفـرـادـهـ، وـوـاجـبـ التـرـبـيـةـ هـنـاـ أـنـ تـعـدـ الـفـرـدـ لـيـكـونـ عـضـوـاـ فيـ جـمـعـيـةـ يـخـدـمـهـ بـكـلـ مـاـ يـمـلـكـ، وـيـسـخـرـ كـلـ قـدـرـاتـهـ فيـ إـسـعـادـ جـمـعـيـهـ وـفـضـطـهـ، وـيـحـرـصـ فيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ عـلـىـ تـمـاسـكـ هـذـاـ الـجـمـعـيـةـ وـتـرـابـطـهـ مـحـقـقاـ قولـ الرـسـولـ ﷺـ: (المـؤـمـنـ لـلـمـؤـمـنـ كـالـبـنـيـانـ يـشـدـ بـعـضـهـ بـعـضـاـ وـشـبـكـ بـيـنـ أـصـابـعـهـ)^(٢).

(وـهـنـاكـ أـلـوـانـ مـنـ التـكـافـلـ الـاجـتمـاعـيـ فيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ، سـوـاءـ كـانـ بـيـنـ الـفـرـدـ وـنـفـسـهـ، أـوـ بـيـنـ الـفـرـدـ وـالـجـمـعـيـةـ، فـكـلـ فـرـدـ فيـ الـجـمـعـيـةـ مـسـئـولـ عـنـ هـذـاـ التـكـافـلـ، وـمـنـ آـنـوـاعـ هـذـاـ التـكـافـلـ.

ـ الـأـمـرـ بـالـمـعـرـوفـ وـالـنـهـيـ عـنـ الـمـنـكـرـ.

ـ الـتـعـاـونـ عـلـىـ الـبـرـ وـالـتـقـوـىـ.

ـ الـتـوـاصـيـ بـالـحـقـ، وـالـصـبـرـ، وـالـمـرـحـةـ.

ـ الـبـرـ بـالـفـتـنـاتـ الـضـعـيفـةـ وـالـفـقـيرـةـ^(٣)، وـهـذـهـ الـأـمـورـ كـلـهـاـ دـاـخـلـةـ تـحـتـ مـحـورـ التـرـبـيـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ.

^(١) محمد علي الماشي: شخصية المسلم كما يصورها في الإسلام الكتاب والسنة، ط٧، دار الشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٧هـ، ص (١٣٣).

^(٢) صحيح البخاري، جـ٢، ص (٨٦٣).

^(٣) علي خليل أبو العينين: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٥، ص (١٢٨).

وفيما روي عن الحسن رحمه الله من أقوال نلمس هذا المحور الاجتماعي واضحًا، حيث ينudge يدعوه إلى التعاون والترابط بين أفراد المجتمع المسلم، بحيث تتحقق فيه الأخوة التي يميز بها المؤمنون مصداقاً لقول الله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْرَوَةٌ»^(١)، وهذه الأخوة الإسلامية هي التي توجب التعاون الذي هو محور التربية الاجتماعية، وهذا التعاون وتلك الأخوة يشمران ما يعرف بالشعور الاجتماعي، وهو أن يشعر المسلم بشعور أخيه، فيشاركه همومه وألامه وأفراحه، حتى لا يشعر الفرد أنه وحده في هذا المجتمع، ويدعو الحسن البصري إلى عدة أمور تغذى الشعور الاجتماعي، وهي:

١- المعاملة بالإيثار.

يقول الحسن رحمه الله: (كنا نعد البخيل مثنا الذي يفرض أخاه الدرهم، إذ كنا نعامل بالمشاركة والإيثار، والله لقد كان أحد من رأيت وصحبت يشق إزاره فيؤثر أخاه بصفته ويقى له ما بقى، ولقد كان الرجل من كان قبلكم يصوم فإذا كان عند فطراه مر على بعض إخوانه فيقول: إني صمت هذا اليوم لله، وأردت إن تقبله الله مني أن يكون لك فيه حظ، فهلم شيئاً من عشائرك فأياه الآخر ما تيسر من ماء وتمر يعطر عليه يستغي أن يكسبه أجراً، وإن كان غنياً عن الذي عنده)^(٢).

يريد الحسن بذلك أن يرسم لنا صورة لذلك المجتمع المسلم الذي يجمعه شعور واحد ويصل في القرب بين أفراده إلى أن يقتسم الأخوان الإزار، ويشترك أحدهما أخاه فيأجر صيامه.

٢- رعاية الرجل بيت أخيه في غيبته.

يدرك الحسن البصري عن السلف أن الرجل منهم يرعى أهل بيت أخيه بعد موته أربعين سنة على ما يقول رحمه الله: (أدركت أقواماً وإن الرجل منهم ليخلف أخاه في أهله وولده أربعين سنة بعد موته)^(٣).

* سورة الحجرات: آية ١٠.

^(١) صالح أحمد الشامي: مراجع سابق, ص ص (٥٥-٥٦).

^(٢) جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي: مراجع سابق, ص (٣٦).

٣- أن يكون المسلم صدراً حانياً ومرآة لأخيه المسلم.

الحياة لا تخلو من مكدرات ومعكرات، ومن ثم كان الفرد محتاجاً إلى أحد يشاركه همه، ويشكو إليه من الناس، فإذا ما عدم المسلم الأخ الشقيق، فهذا ما يرفضه الحسن البصري رحمه الله بل إنه يتساءل مستنكراً بقوله: (إلى من يشكو المسلم إذا لم يشك لأخيه المسلم؟ ومن ذا الذي يلزم من نفسه مثل الذي يلزمها، إن المسلم مرآة أخيه المسلم، يبصره عيده، ويغفر له ذنبه. قد كان من قبلكم من السلف الصالح، يلقى الرجل فيقول: (يا أخي ما كل ذنبي أبصر، ولا كل عيوب أعرف، فإن رأيت خيراً فصرني وإذا رأيت شرًا فانهني)، ثم يقول: وقد كان عمر بن الخطاب رض يقول: رحم الله أمراً أهدى إلينا مساوينا، وكان أحدهم يقبل موعدة أخيه فيتتفع بها) ^(١).

وكان الحسن يقول: (المؤمن شعبة من المؤمن، يحزن إذا حزن، ويفرح إذا فرح، إنَّ به حاجته، إنَّ به علته، إنه يكلفه - أي يحبه - ... وهو مرآة أخيه، إن رأى منه ما لا يعجبه سدده وقومه، ووجهه، وحاطه في السر والعلانية) ^(٢).

٤- أن يتحلى المسلم بسلامة الصدر والسخاء والرحمة.

يروي الحسن لنا حديثاً يدعو إلى سلامة الصدر، وان تكون نفس المسلم سخية، وأن يتحلى المسلم بخلق الرحمة لكل المسلمين، وتلك صفات من شأنها أن تعمق الشعور الاجتماعي لدى المسلم، يقول الحسن: روى أن رسول الله صل قال: (إنَّ بدلاء أمتي لا يدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام، ولكن يدخلونها برحمة الله وسلامة الصدور، وسخاوة الأنفس، والرحمة لجميع المسلمين) ^(٣).

^(١) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مراجع سابق, ص (٤٧).

^(٢) صالح أحمد الشامي: مراجع سابق, ص ص (١٣٩-١٣٨).

^(٣) الحافظ المنذري: الترغيب والترهيب, ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ج ٣، ص (٣٤٩).

٥- أن يعامل المسلم الناس بما يحب أن يعاملوه به.

في عبارة موجزة نرى الحسن رحمه الله يذكر لنا محور التربية الاجتماعية والتعامل مع الناس، وهو أن يعاملهم المسلم بما يحب أن يعاملوه به. قال رحمه الله: (أوحى الله إلى آدم عليه السلام بأربع خصال، وقال: فيهن جماع الأمر لك ولولدك، واحدة لي وواحدة لك وواحدة بينك وواحدة بينك وبين الخلق. فأما التي لي: تعبدني ولا تشرك بي شيئاً، وأما التي لك: فعلمك أجزيك به أفقري ما تكون إليه، وأما التي بينك وبينك: فعليك الدعاء وعلى الإجابة، وأما التي بينك وبين الناس فتصح بهم بالذى تحب أن يصحبوك به)^(١).

٦- أن يحرص المسلم على نفع كل من حوله.

يقول الحسن رحمه الله: (أربع من كنَّ فيه أدخله الله الجنة، ونشر عليه الرحمة، من بر والديه، ورفق مملوكة، وكفل اليتيم، وأعان الضعيف)^(٢). فهذه الخصال الأربع تقوم على أساس الترابط الاجتماعي الذي يفرضه الدين وتحتممه القيم الإسلامية النبيلة.

ويرى الحسن البصري رحمه الله أن انتماء المسلمين إلى ملة واحدة، يوجب لبعضهم حقوقاً على البعض الآخر لابد من أدائها فيقول: (يجب على المسلم لأهل ملته أربعة أشياء: معونة محسنهم، وإجابة داعيهم والاستغفار لمذنبهم، والدعوة إلى الحق لمذبهم)^(٣).

يرى الحسن البصري أن قضاء المسلم حاجة أخيه المسلم خير له من اعتكاف سنة، فعن حميد الطويل قال: دخل الحسن على ثابت البناي لينطلق في حاجة لرجل، فقال ثابت: إني معتكف. فقال الحسن: (لأن أقضى حاجة أخي لي مسلم، أحب إلى من اعتكاف سنة). وكان يقول: (روي أن منادياً ينادي يوم القيمة، ليقم من كان له

^(١) أبو حامد الغزالي: مراجع سابق, جـ٢، ص(١٨٠).

^(٢) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مراجع سابق, ص (٣٦).

^(٣) دار المعارف: الحسن البصري, في (حملة الكتاب), المجلد ١٢، دار المعارف، السنة الثامنة، جـ٢، القاهرة، مصر، ١٣٧٢، ص (٢٥٣).

أجر على الله، فلا يقوم إلا رجل قضى لأخيه حاجة، أو عفى له عن مظلمته أو أسدى إليه نعمة^(١).

ويقول أيضاً: (من وافق من أخيه المسلم شهوة، أو قضى له حاجة غفر له ما تقدم من ذنبه). ويريد الحسن كذلك أن يصل التعاون الاجتماعي بين المسلمين إلى حد أن يصير مال الأخ مال أخيه، وكأنه يعود بنا إلى خصيصة مجتمع الأنصار الذي مدحه الله بقوله: «وَيُؤْتُرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاَّةٌ»^(٢)، فنرى الحسن يقول: (ما من نفقة إلا والعبد يحاسب عليها إلا نفقته على والديه فمن دوهما أو نفقته على أخيه في الله، وصاحبه في طاعته، فإنه روي أن الله سبحانه وتعالى يستحب أن يحاسبه عليها).

بل إن الحسن يزيل الكلفة بين الأخرين بحيث أن أحدهما لا يستأذن أخيه في أن يأكل من طعامه فيقول: (إذا دخل الرجل بيت صديقه فلا بأس عليه أن يتناول مما حضر من طعامه وفاكهته وغير إذنه).

٧- حضور الجنائز.

لا شك أن مشاركة المسلم أخيه عند مصيبيته يرضي نفس المصاب، ويخفف عنه وطأة مصيبيته، ولذلك كان من حق المسلم على أخيه المسلم أن يشيع جنازته، ونحن نرى الحسن البصري يرغب في هذا الأمر لما فيه من الشواب والأجر، فيقول: (احرصوا على حضور الجنائز فإن فيها ثلاثة أجور: أجراً لمن عزى، وأجراً لمن صلّى، وأجراً لمن وارى)، ثم يقول: (وقد روي أن من تبع جنازة حتى توارى غفر له سبعون موبقة^(٣)).

^(١) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مرجع سابق، ص (٤٣).

سورة الحشر: آية (٩).

^(٣) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مرجع سابق، ص (٤٥).

٨- أن يقوم بحق المجتمع في النصيحة والموعظة.

(النصيحة المخلصة الصادقة في القول والعمل من أو كد الواجبات الدينية، ومن أسمى الصفات الفاضلة التي يجب أن يتحلى بها المسلم في خلقه ومعاملاته، وقيامه بمسئولييات تجاه أهله وأقاربه وغيرهم من يتولى أمرهم ويرعى شؤونهم^(١).

لقد حثنا الإسلام على النصيحة، وبين حق المسلمين فيها، حتى أن النبي ﷺ جعلها الدين كله، فقال: (الدين النصيحة . قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: الله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم^(٢)). ومن تمام الشعور الاجتماعي أن يقوم الفرد بهذا الحق تجاه أهله وإخوانه، ولذلك نجد الحسن البصري رحمه الله يرحب المسلم في ذلك ، فيإن الله تبارك وتعالى أثني على عبد من عباده، فقال: «وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاءِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا»^(٣).

٩- أن يؤدي حق جيرانه ويتحمل أذاهם.

معلوم أن: (الجوار يقتضي حقاً وراء ما تقتضيه أخوة الإسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة^(٤). وللجوار في الإسلام متلة عظيمة يدل عليها قول الرسول ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره)^(٥). وقال عليه الصلاة والسلام: (لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه)^(٦). وقد قيل له ﷺ يوماً: (إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها). فقال ﷺ: (هي في النار).

^(١) عبد الحميد الصيد: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، طرابلس، سنة ١٩٨٤م، ص (٧١٦).

^(٢) مسلم بن الحجاج النيسابوري: مراجع سابق جـ ١، ص (٧٤).

سورة مريم: آية (٥٥).

^(٣) صالح أحمد الشامي: مراجع سابق، ص (١٤٩).

^(٤) أبي حامد الغزالي: مراجع سابق، جـ ٢، ص (١٩٣).

^(٥) متفق عليه من حديث أبي شريح.

^(٦) أخرجه البخاري من حديث أبي شريح.

ولذلك نرى الحسن البصري رحمه الله يكثر من الحديث على تحسين هذه العلاقة فيقول: (ليس حسن الجوار كف الأذى، وإنما حسن الجوار احتمال الأذى)^(١). ويقول أيضاً: (ابن آدم عف عن محارم الله تكون عابداً، وارض بما قسم الله تكون غنياً، وأحسن جوار من تجاور تكون مؤمناً، وأحبب للناس ما تحب لنفسك تكون عدلاً، وأقلل الصحك فإنه يحيي القلب كما يحيي البدن). وكان يقول: (مرءة الرجل: صدق لسانه، واحتماله مؤونة إخوانه، وبذله المعروف لأهل زمانه، وكفه الأذى عن جيرانه)^(٢).

فتحن بحده في هذه الأقوال ينص على أن حسن الجوار ليس هو فقط كف الأذى وإنما هو احتمال أذى الجيران، ونراه كذلك يوصي من أراد أن يكون مؤمناً حقاً أن يحسن جواره من جاوره.

بل نراه يجعل كف الأذى عن الجيران آية على المرءة وحسن الخلق. وفي ذلك كله ما يدل على أهمية علاقة الجوار، بل إننا بحده يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فيرى أن صلة الرحم وتتفيس الغم عن المعموم والإحسان إلى الجار أولى من حج التطوع لمن كان يتغى الأعمال وجه الله، فيقول:

(يقول أحدهم: أحج، أحج.. قد حججت، صل رحمة، نفس عن مغموم،
أحسن إلى جار)^(٣).

من مفاسدات الشعور الاجتماعي.

يرى الحسن البصري أن هناك أموراً تفسد الشعور الاجتماعي وتباعد بين الأفراد في المجتمع المسلم، ولذلك فهو يذكرها على سبيل التهذيب والتحذير من ناحية، وحتى يلتزم الأفراد بأضدادها من ناحية أخرى، ومن هذه الأمور ما يلي:

^(١) صالح أحمد الشامي: مرجع سابق، ص (١٣٩).

^(٢) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مرجع سابق، ص ص (٦١-٣٥).

^(٣) صالح أحمد الشامي: مرجع سابق، ص ص (١٤٢-١٤٣).

١- التقارب في العافية والتبعاد عند الشدة.

يقول رحمه الله: (أيها الناس ما بالنا نتقارب في العافية، وإذا نزل البلاء تبيناً، ما هكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ، نعوذ بالله من خلاف عليهم).

٢- احتكار السلع.

يرى الحسن رحمه الله، أن الإثم واقعٌ من احتكر طعاماً يطلب إغلاء منه والناس في حاجة إليه، لأن هذا يعني أن مثل هذا الفرد لا يوجد داخله شعور اجتماعي يمن حوله من إخوانه المسلمين، يقول رحمه الله: (من حبس الطعام أربعين يوماً يطلب إغلاعه، ثم لو طحنه وخبزه، وأطعمه المساكين، لم ينج من إثمها، ولا يسلم من ذنبها). ولعل السبب في ذلك أن هذا الشخص لم يشارك الناس ظرفهم، ولم يكن ساعة حاجتهم إلى الطعام عوناً لهم.

٣- أن يدخل المسلم بماله على أخيه المسلم.

يريد الحسن رحمه الله أن يصل الشعور الاجتماعي بين المسلمين إلى حد أن يصير مال المسلم مالاً لأخيه، ولذلك فهو يرى أن الأخوة قد تخرج إذا كان المسلم حريصاً على الكسب المادي من أخيه فيقول: (ليس من المروءة أن يربح الرجل على أخيه).

وهو يرى أن المعاملة في الدينار والدرهم محل قويٍّ يكشف صدق الشعور الاجتماعي من زيفه فيقول: (ما بالنا يلقى أحدهنا أخاه فيخفى السؤال عنه، ويدعوا له، ويقول: غفر الله لنا ولك وأدخلنا جنته، فإذا كان الدينار والدرهم، فهيهات!! ويحكم! ما هكذا كان السلف الصالح، فعلام تركتم الإقداء وقد أمرتم به؟!).^(١)

الخلاصة.

مما سبق يتضح لنا أن الحسن البصري رحمه الله قد أشار إشارات بالغة الأهمية فيما يخص التربية الاجتماعية، وعلاقات الفرد المسلم داخل المجتمع، وهو ما ينبغي أن

^(١) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي: مرجع سابق، ص ص (٤١).

نوعي به النشء عند تربيتهم، لأن هذه الأمور من شأنها أن تضمن استمرارية الحياة داخل المجتمع المسلم في جو من الحب والودّ والإخاء، ضمن إطار التشريع الإسلامي والقيم الإنسانية النبيلة؛ وقد ظهر ذلك في تلك الأمور التي رأى الحسن رحمه الله أنها تغذى الشعور الاجتماعي والأخوة بين المسلمين، وكذلك في تحذيره من بعض الأمور التي من شأنها أن تقطع الأواصر وتباعد الأفراد وتزق الشعور الاجتماعي بينهم.

هذه الأقوال والإشارات التي رويت عن الحسن البصري إنما تبع من ثقافته الإسلامية الأصيلة واعتماده في فهم دينه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين.

ويمكن القول بأن الفرد إذا ألزم نفسه بما جاء من أقوال تخص التربية الاجتماعية، فإنه سيتحقق هدف التربية الاجتماعية الذي هو تنمية الشخصية الفردية لتتكيف مع ذلك المجتمع المسلم الذي يعيش الفرد فيه، ومن خلال تشرب الأفراد هذه القيم الاجتماعية الإسلامية وتطبيقها في واقع الحياة الاجتماعية لتكون التربية هنا قد أدت دورها المنشود.

وإذا كان هذا الفصل قد ناقش ملامح التربية في عصر الحسن ، وكذلك أهدافها وأساليبها و مجالاتها عند الحسن البصري على النحو الذي تم بيانه، فإنه بذلك قد أجاب عن السؤال الثالث والأخير من البحث – ما أهم الأفكار التربوية التي نادى بها الإمام البصري؟

الفصل الخامس.

(حصاد البحث).

مخطط الفصل.

(أولاً): نتائج البحث.

(ثانياً): مقتراحات البحث.

(ثالثاً): المصادر والمراجع.

(رابعاً): الملحقات.

الفصل الخامس

(حصاد البحث)

ناقشت هذا الفصل على النحو التالي :-

أولاً: (نتائج البحث)

في ضوء ما انتهى إليه البحث من فضول للدراسة وفي ضوء قراءاته ، يصوغ عدداً من النتائج على النحو التالي :-

١- يتضح لنا من دراسة شخصية الحسن البصري أنه كان شخصية فعالة ومؤثرة، يعني أنه كانت له مشاركاته في المجتمع من حوله، سواء في الأحداث السياسية أو الأحوال الاجتماعية، وهذا يؤكد لنا أن العلماء العاملون هم الذين يؤدون دورهم في مجتمعاتهم، ولا ينزعلون عن الناس ولا ينطرون على أنفسهم؛ لأنهم لو فعلوا ذلك لما كانوا أوفياء للعلم الذي أدرجه الله بين جوانبهم، ولما كانوا مؤدين للأمانة التي حملوها.

٢- أن الحسن البصري تأثر في آرائه التربوية بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وأنه استعان بتجاربه وتحليله للواقع الاجتماعي في عصره مما يجعل آرائه محل احترام وتقدير لأنها منضبطة بضوابط الشرع من جهة، وخبرة بالحياة من جهة أخرى، لذلك فهي ليست مثالية خيالية، وإنما هي أفكار ومفاهيم عملية قابلة للتطبيق فالدين الإسلامي بلا شك صالح لكل زمان ومكان.

٣- أن خصائص التربية عند الحسن البصري إسلامية، ويستنتج من ذلك أن التربية الإسلامية هي السائدة في عصره، لأن الدولة الإسلامية على الرغم مما كان بها من اضطرابات سياسية كانت تحكم الشريعة الإسلامية في شؤون حياتها، وكان للعلماء دورهم البارز، فكان الحسن البصري واحداً من هؤلاء العلماء الذين عنوا بالمفاهيم التربوية وصياغتها بأسلوب تربوي عملي يساعد المربين على التطبيق.

٤- أن دور العلماء المربيين من أمثال الحسن البصري دور ثقته الأمة، وهي في أمس الحاجة إليه، لأن أمثال هؤلاء تقوم الأمم على أكتافهم ليس في حياتهم فحسب، بل وبعد موتهم كذلك، على نحو ما قال الإمام علي عليه السلام للكميل : "... مات خزان الأموال

وهم أحياء، و العلماء أحياء بعد موتهم، أجسادهم مفقودة و آثارهم في القلوب مشهودة" أو كما قال رسوله.

٥ - أن المنهج الصحيح لتكوين الشخصية المسلمة السوية إنما هو المنهج الذي يوازن بين متطلبات الروح والجسد ومتطلبات الدنيا والآخرة، وأنه لا بدّ أولاً من التسلح بالعلم والمعرفة والاهتمام بالقرآن وحفظه ، لتوسّس على ذلك التربية الإيمانية المرتبطة بـالله واليوم الآخر. ومن هذه التربية الإيمانية ننطلق إلى تربية الروح وتطهير النفس وتزكيتها، كل ذلك وصولاً إلى جيل يخلق الناس بخلق حسن وذلك هو دور التربية الأخلاقية التي تمثل القدوة فيها الدور الأكبر .. فإذا ما تحسنت الأخلاق ضمن المجتمع سلوكيات مستقيمة منضبطة بضوابط الشرع وذلك هو دور التربية الاجتماعية وبذلك تكون الحياة دينًا والدين حياة فتحت حق غاية التربية الإسلامية في الفرد المسلم والمجتمع المسلم.

٦ - أن للعلم والمعرفة أكبر الدور والأثر في بناء الشخصية المسلمة، وأن الحسن البصري صور الناس عند انعدام العلم بالبهائم، وهو في ذلك صادق، لأن العلم النافع وحده هو الذي يرفع كرامة الإنسان على بقية الحيوانات، وبه تكتمل كرامة الله للإنسان، فكأن من فقد العلم النافع كمن اخْطَ بنفسه إلى درجة البهيمة.

٧ - أنه يمكن الاستفادة من التوجيهات والأراء والمبادئ التربوية للحسن البصري في تربيتنا المعاصرة، من ذلك مثلاً الاستفادة من توجيهاته فيما يتعلق بالتعلم المبكر وآداب العام والتعلم، وآداب مجالسة العلماء، والعمل بالعلم والموازنة بين العلم والعبادة، وصون المتعلم والعالم لكرامته وعلمه، وأن يؤدي العالم ما عليه من واجب نحو مجتمعه، وأن يحسن استغلال المواقف التعليمية، وأن يراعي حالة المتعلمين إلى غير ذلك من جوانب تلزمنا في التربية المعاصرة، مع توظيف هذه التوجيهات بما يناسب العصر، كما يمكن للمعلم أن يتحلى بآداب العام التي ذكرها الحسن البصري ليكون قدوة للتلاميذة.

٨ - أظهر البحث أن المصادر التي يجب أن تستقي منها التربية الإسلامية تمثل في: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وتأثير الأقوال والأفعال التي تلقيناها عن سلفنا الصالح ومن علمائه المخلصين فقهاء ومحدثين هي مصادر الفكر التربوي عند الحسن البصري، وهي المصادر التي يجب الالتزام بها وعدم التفريط في اتباعها والحرص على

هديها، لنصوص الناشئة المسلمة صياغة تتجسد فيها قيم الإسلام وتعاليمه السامية لكي تكون مجالاً للممارسة الفعلية في كل ميادين الحياة، وفي أولها ميدان التربية والتعليم مع الاستفادة من معطيات الحياة المعاصرة ومنجزات الحضارة الحديثة بما لا يتعارض مع هذه الأصول، ولا يحرم الأمة كذلك من الاستفادة من نتائج الفعل البشري المعاصر.

٩ - اعنى الحسن البصري بالتربيـة المتكاملة الشاملة التي تراعـي جميع جوانـب الشخصية، باعتبارها وحدة مترابطة تتكامل فيها هذه الجوانـب التي تـنمـيـها التـرـبيـة بـحيـث يتحقق للـمـسـلـمـ النـمـوـ المتـوازنـ، وـقـدـ تـمـثـلـ عـنـاـيـةـ الـحـسـنـ بـالـتـرـبـيـةـ المـتـوازنـةـ منـ خـلـالـ تـنـاـولـهـ لـبعـضـ الـمـيـادـينـ التـرـبـويـةـ مـثـلـ: التـرـبـيـةـ العـقـلـيـةـ مـنـ خـلـالـ الـعـلـمـ وـالـعـرـفـةـ وـالـتـرـبـيـةـ الـخـلـقـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ وـالـرـوـحـيـةـ وـالـإـيمـانـيـةـ.

١٠ - أن اهتمام الحسن البصري بالتربيـةـ الـخـلـقـيـةـ كانـ كـبـيرـاـ، وـقـدـ أـظـهـرـ الـبـحـثـ تـركـيزـ عـلـىـ الـأـخـلـاقـ الـحـمـيدـةـ الـفـاضـلـةـ الـتـيـ تـعـدـ تـوجـيهـاـ لـلـحـيـاةـ إـلـاسـلـامـيـةـ، وـوـسـيـلـةـ مـنـ وـسـائـلـ الـاـرـتـقاءـ بـالـفـردـ وـالـمـجـتمـعـ وـتـحـقـيقـ السـلـوكـ الـأـمـلـ،ـ كـذـلـكـ يـعـتـبرـ الـحـسـنـ أـنـ التـرـبـيـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ مـيـادـينـ لـلـعـلـاقـاتـ إـلـاـنسـانـيـةـ،ـ وـقـدـ تـضـمـنـتـ عـنـدـهـ الـعـدـيدـ مـنـ الـعـلـاقـاتـ وـالـآـدـابـ الـاجـتمـاعـيـةـ الـتـيـ تـدـورـ حـوـلـ الـفـردـ وـالـمـجـتمـعـ وـالـتـيـ تـعـدـ ثـرـةـ لـلـتـرـبـيـةـ الصـالـحةـ وـالـخـلـقـ الـكـرـيمـ.

١١ - كانـ الـحـسـنـ شـدـيدـ الـعـنـاـيـةـ بـاستـقـامـةـ الـمـعـلـمـيـنـ وـإـكـسـاـبـمـ الـصـفـاتـ الـشـخـصـيـةـ وـالـعـلـمـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ الـتـيـ تـؤـهـلـهـمـ لـيـكـونـواـ أـفـرـادـ صـالـحـينـ لـأـنـفـسـهـمـ وـلـلـمـجـتمـعـ،ـ وـقـدـ أـورـدـ الـحـسـنـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـصـفـاتـ الـتـيـ يـحـبـ أـنـ يـتـحـلـيـ بـهاـ الـمـعـلـمـ،ـ مـثـلـ: التـلـمـ الـمـبـكـرـ وـالـتـخلـقـ بـأـخـلـاقـ الـعـلـمـ وـالـتـأدـبـ بـآـدـابـ بـمـحـالـسـ الـعـلـمـاءـ وـالـعـمـلـ بـالـعـلـمـ وـالـمـوازـنـةـ بـيـنـ الـعـلـمـ وـالـعـبـادـةـ،ـ وـهـذـهـ الـصـفـاتـ يـمـكـنـ الـاستـفـادـةـ مـنـهـاـ مـنـ قـبـلـ الـعـالـمـ وـالـمـعـلـمـ.

١٢ - أنـ الـمـرـيـنـ فـيـ أـمـسـ الـحـاجـةـ إـلـىـ الـأـخـذـ بـفـكـرـةـ الـحـسـنـ عـنـ التـرـبـيـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـبـخـاصـةـ فـيـ هـذـاـ زـمـانـ الـذـيـ ضـعـفـتـ فـيـهـ هـذـهـ الرـوـابـطـ وـضـعـفـتـ عـرـاـهـاـ،ـ وـقـدـ تـحـدـثـ الـحـسـنـ فـيـهـاـ مـعـتمـداـ عـلـىـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةــ عـنـ الـأـسـبـابـ الـتـيـ تـوـثـقـ الـعـلـاقـاتـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـكـذـلـكـ الـأـسـبـابـ الـتـيـ تـضـعـفـهـاـ،ـ مـاـ يـفـيدـ الـمـعـلـمـيـنـ فـيـ تـنـمـيـةـ عـوـاطـفـ الـأـبـنـاءـ نـحـوـ الـأـبـاءـ وـالـأـمـهـاتـ وـالـأـهـلـ وـالـجـيـرانـ وـكـلـ مـنـ يـحـيـطـ بـهـمـ.ـ فـيـحـاـوـلـ الـمـعـلـمـوـنـ تـعـرـيـضـ الـتـلـاـمـيـذـ لـلـمـوـاـقـفـ الـإـنـسـانـيـةـ

وإنشاء الجمعيات الخيرية داخل المدارس لتنمية هذه العلاقات والقيام بأعمال الخير والخير داخل المدرسة وخارجها.

١٣ - اعتمد الحسن البصري في توجيهاته التربوية على أسلوب الاقتداء وضرب المثل والمقارنة بين جيل السلف وجيل الخلف، وذلك أسلوب تربوي ناجح يؤكده لنا أسلوب الرسول ﷺ في التعليم والتوجيه حين كان يضرب المثل ويوجه إلى الاقتداء، بل هو طريق تعلمنا من الرسول ﷺ الذي أرسله الله قدوة وإماماً لنا وقال فيه عز من قائل سبحانه: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ) . [سورة الأحزاب/٢١].

١٤ - والشيء الذي يختتم به الباحث نتائج دراسته هو التأكيد على أن شخصية الحسن البصري وأراءه العلمية والفكرية، قد أثرت في معاصريه وفيمن جاءه من بعده حتى اليوم.

ثانياً: (المقترحات)

في ضوء نتائج البحث وفي ضوء خبرته ،يحاول الباحث صياغة بعض المقتراحات وهو يرجو أن تفيد في تربية النساء بحيث تكون ممكنة التغيير والاستفادة منها ،حيث إن المفاهيم التربوية لدى الحسن البصري تحتوي على فوائد جمة يمكن الإفاده منها في محيط الأسرة والمجتمع وكذلك في محيط المسؤولين عن إعداد المناهج والمعلمين والمتعلمين و الدعاة وحملة الرسالة الإسلامية لبناء المسلمين وأجيالهم .
ويمكن أن نشير إلى تلك المجالات إشارات يسيرة كما يلي:-

١- في محيط الأسرة:

لا شك أن الأسرة هي المؤسسة التربوية الأولى التي ينشأ فيها الفرد، ويقع على عاتق الوالدين مسؤولية تربية أبنائهم منذ نعومة أظافرهم على إخلاص العبادة لله وحده، والعمل على مرضاته سبحانه في كل أمور حياتهم الدينية والدنيوية، وعلى التحلّي بالأخلاق الإسلامية الفاضلة ليس في الظاهر وحده، بل وفي الباطن أيضاً، وعليهم تزويد أبنائهم بالقيم الإسلامية الاجتماعية، كل ذلك رغبة في إعدادهم ليشاركون في مجالات الحياة بشقي أنواعها على هدي الإسلام ومنهجه الحكيم.

ونذكر هنا أن من أهم طرائق تعلم الطفل في أسرته: التقليد والمحاكاة، وهذا ما أكد عليه الحسن البصري في اهتمامه بجانب القدوة كما اتضح من النتائج^(١)، ولذلك فإن الأسرة سوف تجد ما يساعدها على تربية الأبناء وتنميتهم تنمية متکاملة متوازنة في جوانبهم العقلية الروحية والاجتماعية على ضوء ما ورد من جوانب التربية لدى الحسن البصري^(٢).

كما يمكن للوالدين أن يستفيدوا من آداب العالم والمتعلم التي وردت في هذه الرسالة ليلزمَا نفسيهما بتلك الآداب ليكونا قدوة طيبة للأبناء^(٣).

^(١) الرسالة: الفصل الرابع، ص ص (١٠٧-١١٠).

^(٢) الرسالة: الفصل الرابع، ص ص (١١٩-١٣٧).

^(٣) الرسالة: الفصل الرابع، ص ص (١٤٠-١٤٧).

٢- في محيط المجتمع المسلم:

إذا كان للأسرة دورها الخطير الذي سبق أن أشرنا إليه، فإنها ليست المؤسسة الوحيدة التي تناط بها مهمة تربية النشء، ولكن هناك العديد من المؤسسات الأخرى داخل المجتمع مثل: المسجد والمدرسة والعشيرة تشارك في هذه المسؤولية، ومهمة هذه المؤسسات استكمال دور البيت المسلم في تحقيق التربية الإسلامية لأبنائه، وتحقيق أكبر قدر من التكافل بين البيت المسلم و مختلف المؤسسات داخل المجتمع بهدف الوصول إلى تربية جيل مسلم مثالي.

ويمكن الاستفادة هنا من جانب التربية الاجتماعية التي تمارس داخل المجتمع، والتي ركز عليها الحسن البصري كثيراً واهتم بها، وكذلك التربية الخلقية التي تمارس داخل المجتمع وبين أفراده^(١).

٣- القائمون على إعداد المناهج الدراسية:

المؤسرون عن وضع المناهج والمقررات الدراسية لأبناء الأمة الإسلامية عليهم أن يتزموا بأهداف التربية الإسلامية وأساليبها وعليهم أن يرعوا شمولية المناهج لمختلف نواحي التربية التي أوردها الحسن البصري والمتمثلة في الدراسة^(٢)، والباحث يأمل أن يكون فيما أورده من جوانب التربية هنا ما يسترعي انتباه المسؤولين على اختلاف مهماتهم التربوية، فينتقوا من أفكار الحسن البصري ومفاهيمه التربوية ما يساعدهم على أسلمة المناهج مع ربط جميع مواد التعليم التي يتلقاها الأفراد بعضها ببعض، ومع مراعاة التدرج في هذه البرامج الدراسية المعدّة، مع وضع المفاهيم والأفكار التي أشار إليها الحسن البصري ضمن المناهج الدراسية المقررة مع تطويقها بما يناسب أعمار المتعلمين وقدرائهم.

٤- المعلمون:

لا شك أن المعلم هو المسؤول الأول عن تنفيذ العملية التربوية، ولا يصح أن يبدأ المعلم عمله من فراغ، بل يجب أن يؤهل تأهيلاً تربوياً يجعله مدركاً تاماً للإدراك خطورة

^(١) الرسالة: الفصل الرابع، ص (١٦٧-١٧٦) وكذلك ص (١٤٧-١٦٦).

^(٢) الرسالة: الفصل الرابع، ص (١٠٧-١١٧).

الدور الذي قوم به، ويرى الباحث أن من الواجب تعميق ثقافة المعلمين الإسلامية وذلك باطلاعهم على ما كتبه المربون المسلمين قديماً وحديثاً عن التربية الإسلامية ومن هؤلاء الحسن البصري فهو وإن كان لم يمؤلف كتاباً في التربية لكن مفاهيمه وأفكاره يمكن أن تدرس في صميم المنهج التربوي - كما جاء في ثنايا هذه الرسالة - ولسوف يجد المعلم فيها مفهوماً متاماًًاً متكاملاًًاًً عن التربية الإسلامية كما هي عند الحسن البصري الذي اهتم بالمربي عقلاًً وروحاًً وقلباًً وخلقاً، كما سيجد المعلم في هذا البحث بعض الآداب التي يجب عليه التأدب بها ليكون قدوة حسنة لطلابه، ولسوف يجد أسلوب المقارنة وضرب الأمثال من الأسلوب التربوية النافعة التي يمكنه الاستعانة بها^(١).

٥- المتعلمون:

يرى الباحث أن المتعلمين سوف يجدون في هذه الرسالة بعض الآداب التي يلزم بها طالب العلم، والتي أوردها الحسن البصري^(٢) وبذلك تتم العملية التربوية في إطار من الآداب، بحيث يؤدي كل طرف منها الواجب المنوط به، فتشعر لنا هذه التربية ثماراً يانعة وأجيالاًً واعية يمكنها حمل رسالة الإسلام وقيادة الأمة بها.

٦- لم تدرس شخصية الحسن البصري الدراسة الكافية ولم يمحض تراثه العلمي ويز بالشكل الذي يتبع للأجيال القادمة الاستفادة منه، لذلك يقترح الباحث أن تبني الجامعات فكرة إحياء تراث هذا المربي الجليل، فتنشأ مكتبة للحسن البصري فتحقق فيها آثاره العلمية، وتدرس من خلالها جوانب شخصيته، كما يقترح إنشاء مكتبة تربوية إسلامية تراثية تجمع كل البحوث التربوية التراثية.

٨- يوصي الباحث عقد بعض المؤتمرات التي تركز على طرق إحياء التراث التربوي الإسلامي للعلماء المسلمين، بحيث يستفيد منها كل من يبحث في هذا المجال، وبحيث يتم الكشف عن المنهج التربوي لدى علماء المسلمين وبخاصة في عصور ازدهار العلم والحضارة الإسلامية التي كان فيها المسلمون رواد العلم.

^(١) الرسالة: الفصل الرابع ، ص ص (١٠٧-١١٧).

^(٢) الرسالة: الفصل الرابع، ص ص (١٥٦-١٦٦).

٩ - أنه لابد لنا من دراسة شخصيات المربين الأوائل من الصحابة والتابعين ومن خلفهم من سلفنا الصالح، والاستفادة من أفكارهم التربوية الأصلية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لأننا سوف نجد أن بعض هؤلاء الأعلام يسبقون في ميدان التربية إلى مفاهيم وقواعد، قد لا يتوصل إليها العاملون في ميدان التربية الحديثة الآن إلا بعد جهد جهيد.

نذكر هذا لنؤكد أنه لا بد من نظرية إسلامية متميزة لنقي أمتنا المسلمة أحذار النظريات المستوردة، والمناهج التربوية المخلوقة التي لن تقدم بها الشعوب، ولن تحمل بها مشكلاتها، بل إن ذلك سوف ينبع للشعوب المسلمة التبعية الفكرية والثقافية والتربوية التي هي أعظم خطراً من الاحتلال العسكري بمحنوده.

إن هذا يقتضي أن نرجع إلى الفكر الإسلامي الأصيل وإلى دراسة إنتاج أعلامه من المربين والفقهاء والحدثين أمثال الحسن البصري وغيره من سلفنا الصالح.

ثالثاً: (فهرس المصادر والمراجع)

أولاً: المصادر :-

أ- القرآن الكريم وعلومه.

١- القرآن الكريم

٢- التفسير:

١- محمد جرير يزيد الطبرى: تفسير الطبرى, دار الفكر, بيروت, لبنان, ١٤٠٧ هـ.

٢- محمد عبد الرحيم: تفسير الحسن البصري, دار الحديث, القاهرة, ١٩٩٢ م.

ب- الحديث النبوى الشريف:-

١- أحمد بن أبي بكر إسماعيل الكنانى: مصابح الزجاجة, دار العربية, بيروت, لبنان, ١٤٠٣ هـ, ط٢, تحقيق: محمد المنتقى الكشناوى.

٢- أحمد بن الحسين علي موسى أبو بكر البيهقي: سنن البيهقي الكبرى, مكتبة دار البارز, مكة المكرمة, السعودية, ١٤١٤ هـ, تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

٣- أحمد شعيب أبو عبد الرحمن النسائي: السنن الكبرى, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ١٤١١ هـ, ط١, تحقيق: عبدالغفار البنداوى وآخرون.

٤- أحمد علي المثنى أبو يعلى الموصلى التميمي: مسند أبي يعلى, ط١, دار المأمون للتراث, دمشق, سوريا, ١٤٠٤ هـ, تحقيق: حسين سليم أسد.

٥- ابن القيم الجوزية: هذیب سنن أبي داود, تحقيق أحمد محمد شاكر, ومحمد حامد الفقى, دار المعرفة, بيروت, لبنان, ١٤٠٠ هـ.

٦- النووي: رياض الصالحين, مؤسسة الرسالة, بيروت, ط١٩.

٧- علي بن أبي بكر الهيثمي: مجموع الزوائد, دار الريان للتراث, القاهرة, مصر, ١٤٠٧ هـ.

٨- علي عمر أبو الحسن الدارقطنى البغدادى: سنن الدارقطنى, دار المعرفة, بيروت, لبنان, ١٣٨٦ هـ.

٩- محمد عبدالله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ١٤١١ هـ, ط١, تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

- ١٠ محمد علي محمد الشوكاني: نيل الأوطار, دار الجليل, بيروت, لبنان, م ١٩٧٣.
- ١١ محمد عيسى أبو عيسى الترمذى السلمى: سنن الترمذى, دار إحياء التراث العربي, بيروت, لبنان, د ت.
- ١٢ محمد ناصر الدين الألبانى: صحيحة الجامع الصغير وزيادته, ط ١, المكتب الإسلامي, بيروت لبنان, ١٤٠٢ هـ.
- ١٣ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: صحيحة مسلم, دار إحياء التراث العربي, بيروت, لبنان, د ت, تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

ثانياً: الرسائل العلمية:-

- ١ أحمد إسماعيل البسيط: الحسن البصري مفسراً, رسالة ماجستير منشورة, طبع دار الفرقان, عمان, الأردن, ط ١, ١٩٨٥ م.
- ٢ حسن بن علي: الفكر التربوي عند ابن القيم الحجاجي, دار حافظ للنشر والتوزيع, الطبعة الأولى, جدة السعودية ١٤٠٨ هـ.
- ٣ عمر بن عبدالعزيز الجعبي: الحسن البصري وحديثه المرسل, رسالة ماجستير, ط ١, دار البشير للنشر والتوزيع, عمان, الأردن, ١٤١٢ هـ.
- ٤ عمر يوسف كمال: مقدمة تفسير الحسن البصري, رسالة ماجستير منشورة, الجامعة العربية, أحسن العلوم, كراتشي, ١٤١٣ هـ.
- ٥ صلاح عيد حماد شبير: تصویر جدید لتنظيم دراسة مادة الأصول الإسلامية في التربية, رسالة ماجستير, ١٤٠٢ هـ.

ثالثاً: المعاجم:-

- ١ أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق ابن النسلم: ت (٣٧٨ هـ): الفهرست, طهران, إيران, ١٩٧١ م, تحقيق رضا.
- ٢ أقوت شهاب الدين أبو عبدالله الحموي: معجم البلدان, دار صادر, بيروت.
- ٣ علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات, ط ٤, بيروت, دار الكتاب العربي, ١٤١٨ هـ.
- ٤ محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب, ط ١, بيروت, لبنان, دار صادر للطباعة الحديثة, ١٤٠٧ هـ.

رابعاً: الوثائق والدوريات :-

- ١ مجلة الكتاب, القاهرة, مصر, مجلد ١٢, دار المعارف, السنة الثامنة، ١٣٩٢ هـ.
- ٢ مجلة الأزهر, الأزهر الشريف, القاهرة, مصر, مجلد ٢٥, رجب ١٣٧٣ هـ.
- ٣ محلية الفيصل, مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية, الرياض, السعودية, العدد ١٩٨, ذو الحجة ١٤١٣ هـ.

خامساً: الكتب :-

- ١ أبو الحسن علي الحسن الندوبي: رجال الفكر والدعوة في الإسلام, مطبعة جامعة دمشق, دمشق, د.ت.
- ٢ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندى: صبح الأعشى, المؤسسة المصرية العامة, القاهرة, مصر, د.ت.
- ٣ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن حلكان: وفيات الأعيان وأبناء الزمان, تحقيق إحسان عباس, دار صادر, بيروت, د.ت.
- ٤ أبو الفداء إسماعيل ابن كثير: البداية والنهاية, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ١٩٨٥ م.
- ٥ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة, دار الفكر, بيروت, لبنان, ١٩٧٨ م.
- ٦ أبو حامد محمد بن أحمد الغزالى: إحياء علوم الدين, المكتبة التجارية, القاهرة, مصر, د.ت.
- ٧ أبو حامد محمد بن أحمد الغزالى: خلق المسلم, دار القلم, دمشق, ط ١٢, ١٤١٦ هـ.
- ٨ أبو زكريا بن شرف الدين النووي: هذب الأسماء واللغات, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان د.ت.
- ٩ أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب, مطبعة مصطفى الحلبي, القاهرة, مصر, ١٩٦١ م.
- ١٠ أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن, دار الكتب المصرية, القاهرة, مصر, ١٩٦٧ م.

- ١١ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيان, مكتبة
الخانجي، القاهرة، مصر، ١٩٦٠ م.
- ١٢ - أبو عمرو بن يوسف ابن عبد البر: الاستيعاب, دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨ م.
- ١٣ - أبو محمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة: عيون الأخبار, طبعة مصورة عن طبعة
دار الكتب، وطبعه المؤسسة المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٦٣ م.
- ١٤ - إحسان عباس: الحسن البصري سيرته وشخصيته, دار الفكر
العربي، القاهرة، مصر، ١٩٥٢ م.
- ١٥ - أحمد بن عبد الله أبونعيم الخبلي: حلية الأولياء, دار الكتاب
العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٧ م.
- ١٦ - أحمد سالمة الوظاف عبد الله وأخرون: كتاب الإيمان, ط١، دار
القلم، بيروت، لبنان، ١٩٨٢ م.
- ١٧ - أحمد فؤاد الأهواي: التربية الإسلامية, دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٤٠٠ هـ.
- ١٨ - ابن الجزري: التسهيل لعلوم الترتيل, دن، د ت.
- ١٩ - ابن القيم الجوزية: تحفة المودود بأحكام المولود, تحقيق عبد القادر
الأرناؤوط، ط١، مكتبة دار البيان، دمشق، سوريا، ١٣٩١ هـ.
- ٢٠ - ابن القيم الجوزية: تمذيب مدارج السالكين, تمذيب عبد المنعم صالح العلي
العزي، وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية
المتحدة، دبى، مطبعة كاظم، د ت.
- ٢١ - ابن القيم الجوزية: مفتاح دار السعادة ونشر ولاية أهل العلم والإرادة, دار
الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت.
- ٢٢ - ابن حجر أبو الفضل شهاب الدين العسقلاني: تمذيب التمهذيب, دار
الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٨٤ م.
- ٢٣ - ابن عبد ربه، أحمد بن محمد: العقد الفريد, تحقيق سعيد
العربيان، دار الفكر، بيروت ، لبنان، د ت.
- ٢٤ - ابن عبد البر: جامع يسان العلم وفضله, ط٢، المكتبة السلفية، د
ب، ١٣٨٨ هـ، ٦١/١.
- ٢٥ - احمد غسان: الحسن البصري، أراه، معتقداته، آدابه وزهراته, ط١، دار
قتيبة، دمشق، سوريا، ١٩٨٢ م.

- ٢٦- الحافظ الأصبهاني: حلية الأولياء، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٨٧هـ.
- ٢٧- الحافظ المنذري: الستر غيب والستر هيبة ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، جـ٣، ص(٣٤٩).
- ٢٨- الحسن البصري: الزهد، تحقيق محمد عبدالرحيم محمد، دار الوليد، جدة، السعودية، ١٩٩١م.
- ٢٩- الحنبي أبو الفلاح عبد الحفيظ بن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الأفاق، بيروت، لبنان، د.ت.
- ٣٠- الحنفی مصطفی سعید: الحسن بن يسّار البصري الحکیم الواعظ، دار القلم، دمشق، سوريا، د.ت.
- ٣١- الذهبی: العبر في خبر من غير، طبعة الكويت، الكويت ، ١٩٦٣م.
- ٣٢- السيد الشحات أحمد حسن: دراسات في الفكر الستربوي الإسلامي، ط١، مكتبات دار إحياء التراث الإسلامي ، المدينة المنورة، السعودية، ١٤١٢هـ.
- ٣٣- المزي، يوسف عبد الرحمن بن يوسف: هذیب الکمال، مطبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.
- ٣٤- اليحيى بْن إِبْرَاهِيم : الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري، جمعاً وتوثيقاً ، ط١، دار المهرجة ، ١٤١٧هـ .
- ٣٥- جابر عبد الحميد جابر، وكاظم أحمد خيري: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ١٩٧٨م.
- ٣٦- جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي: أداب الشيخ الحسن البصري، تحقيق سليمان بن مسلم الحرش، دار المراجع الدولية للنشر ، الرياض، السعودية، ط١٤١٤هـ.
- ٣٧- حامد سالم عايض الحربي: التربية في عهد الرسول، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة، السعودية، السنة السابعة عشرة، العدد ١٨٦ عام ١٤١٩هـ.
- ٣٨- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، مكتب النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٦٤م.

- ٣٩ - حسن علي شاذلي: تاریخ التشريع الإسلامي, دار الإتحاد العربي للطباعة، القاهرة، مصر، د.ت.
- ٤٠ - خیر الدين الررکلی: الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان، ١٩٨٤ م.
- ٤١ - راغب زغلول النجار: أزمة التعليم المعاصر، ط١، مكتب الفلاح، الكويت، الكويت، ط١، ١٤٠٠ هـ.
- ٤٢ - صالح أحمد الشامي: مواقع الحسن البصري، ط١، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، ط١٤١٨، ١٤١٨ هـ.
- ٤٣ - طاش کرى زاده: مفتاح السعادة ومصباح السيادة، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيد آباد، الهند، ١٣٩٧ هـ، ج٢، ص(٣٤).
- ٤٤ - عبد الأمير شمس الدين: المذهب التربوي عند ابن جماعة، دار أقرأ، بيروت، لبنان، ١٤٠٤ هـ.
- ٤٥ - عبد الباسط بدر: أصول البحث العلمي ومناهجها، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ١٩٧٥ م.
- ٤٦ - عبدالحميد الصيد: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٤ م.
- ٤٧ - عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ط٢، دار الفكر، دمشق، سوريا ١٩٩٢ م.
- ٤٨ - عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي ، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ١٩٦٣ م.
- ٤٩ - عبد الرحمن حسن جبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط٤، دار القلم، دمشق، سوريا، ١٤١٧ هـ.
- ٥٠ - عبد الرحمن رافت باشا: صور من حياة التابعين، ط١٥ ، دار الأدب الإسلامي ، القاهرة، ١٤١٨ هـ.
- ٥١ - عبد الشافى محمد عبد اللطيف: موسوعة تاريخ الإسلام، شركة سفير، ط١ ، القاهرة، مصر، ١٩٩٦ م.
- ٥٢ - عبدالعال حسن: التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ١٩٧٨ م.
- ٥٣ - عبدالغنى عبود: في التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، ط١ ، القاهرة ١٩٧٧، ص (١٤٨).

- ٤- عبد الفتاح أحمد فؤاد: في الأصول الفلسفية للتربية عند مفكري الإسلام, منشأة المعارف, ط١, الإسكندرية, مصر, ١٩٨٣ م.
- ٥٥- عبدالله بن المبارك المروزي: الزهد, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ١٣٨٦ هـ.
- ٥٦- عز الدين أبو الحسن ابن الأثير: الكامل في التاريخ, القاهرة, مصر, المطبعة الأميرية, ١٢٩٠ هـ.
- ٥٧- عز الدين التميمي وآخرون: نظارات في التربية الإسلامية, ط١, دار البشير, عمان, الأردن, ١٤٠٥ هـ.
- ٥٨- علي الحمادي: مساحة للتأمل, ط١, دار ابن حزم, بيروت, لبنان, ١٤١٩ هـ.
- ٥٩- علي بن علي بن محمد أبو العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية, تحقيق عبدالله التركي وشعيب الأرناؤطي, مؤسسة الرسالة, بيروت لبنان, ١٤١٣ هـ.
- ٦٠- علي بن علي بن محمد الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية, تحقيق عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط, بيروت, مؤسسة الرسالة ١٤١٣ هـ.
- ٦١- علي خليل أبو العينين: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم, ط٢, القاهرة, دار الفكر العربي, ١٩٨٥ م.
- ٦٢- علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي, ط٨, دار المعارف, القاهرة, مصر, ١٣٩٧.
- ٦٣- عمر سليمان الأشقر: العقيدة في الله, الطبيعة العاشرة, الأردن, دار النفائس, ١٤١٥ هـ.
- ٦٤- عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون, دار العلم للملاتين, بيروت, لبنان, ط٤, ١٩٨٤ م.
- ٦٥- فؤاد سوسكين: تاريخ التراث العربي, طبع جامعة الإمام محمد بن سعود, الرياض, السعودية, د.ت.

- ٦٦- مازن مطبقاني: من أعلام المسلمين عبد الحميد بن باديس, ط١، دار القلم، دمشق، سوريا، ١٤١٠ هـ.
- ٦٧- محمد ابن سعد: الطبقات الكبرى, دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.
- ٦٨- محمد المادي عفيفي: الأصول الفلسفية للتربية, مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٤ م.
- ٦٩- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: تذكرة الحفاظ, دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤ هـ.
- ٧٠- محمد بن إسماعيل البخاري: التاريخ الكبير, دار الفكر، طبعة حديثة، وطبعه الهند حيدر آباد، الهند، د.ت.
- ٧١- محمد بن إسماعيل البخاري: الأدب المفرد, مطباع الإرشاد الحديثة، حمص، سوريا، ١٣٨٨ هـ.
- ٧٢- محمد حسن عقيل موسى: نزهة الفضلاء تذيب سير أعلام النبلاء, ط١، دار الأندلس الخضراء، جدة، السعودية، ١٤١١ هـ.
- ٧٣- محمد رواس قلعي: موسوعة الحسن الفقيهي, دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٤٠٩ هـ.
- ٧٤- محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن, دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ١٩٨٠ م.
- ٧٥- محمد عبدالله دراز: دستور الأخلاق في القرآن, ط٨، تعریف وتحقيق د. عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د.ت.
- ٧٦- محمد عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين, دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٧١ م، ص ص (١٦٦، ١٦٥).
- ٧٧- محمد علي الهاشمي: شخصية المسلم كما يصوغها في الإسلام الكتاب والسنة, ط٧، دار الشائور الإسلامية، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤١٧ هـ.
- ٧٨- محمد قطب: منهج التربية الإسلامية, ط٥، دار الشروق، القاهرة، مصر، ١٤٠١ هـ.
- ٧٩- مقدار ياجن: التربية الأخلاقية في الإسلام, ط١، مكتبة الحاجي، القاهرة، مصر، ١٩٧٧ م.